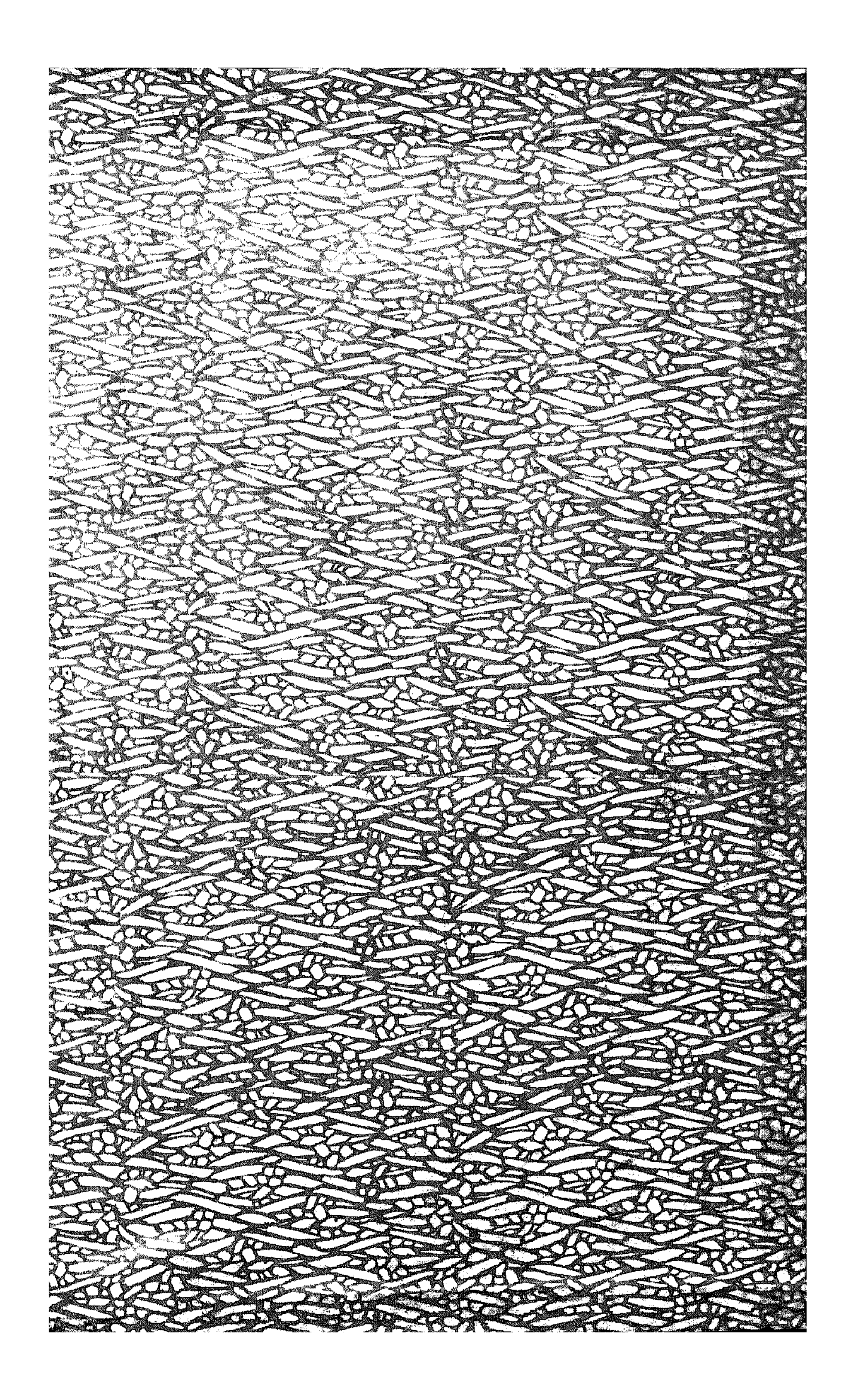
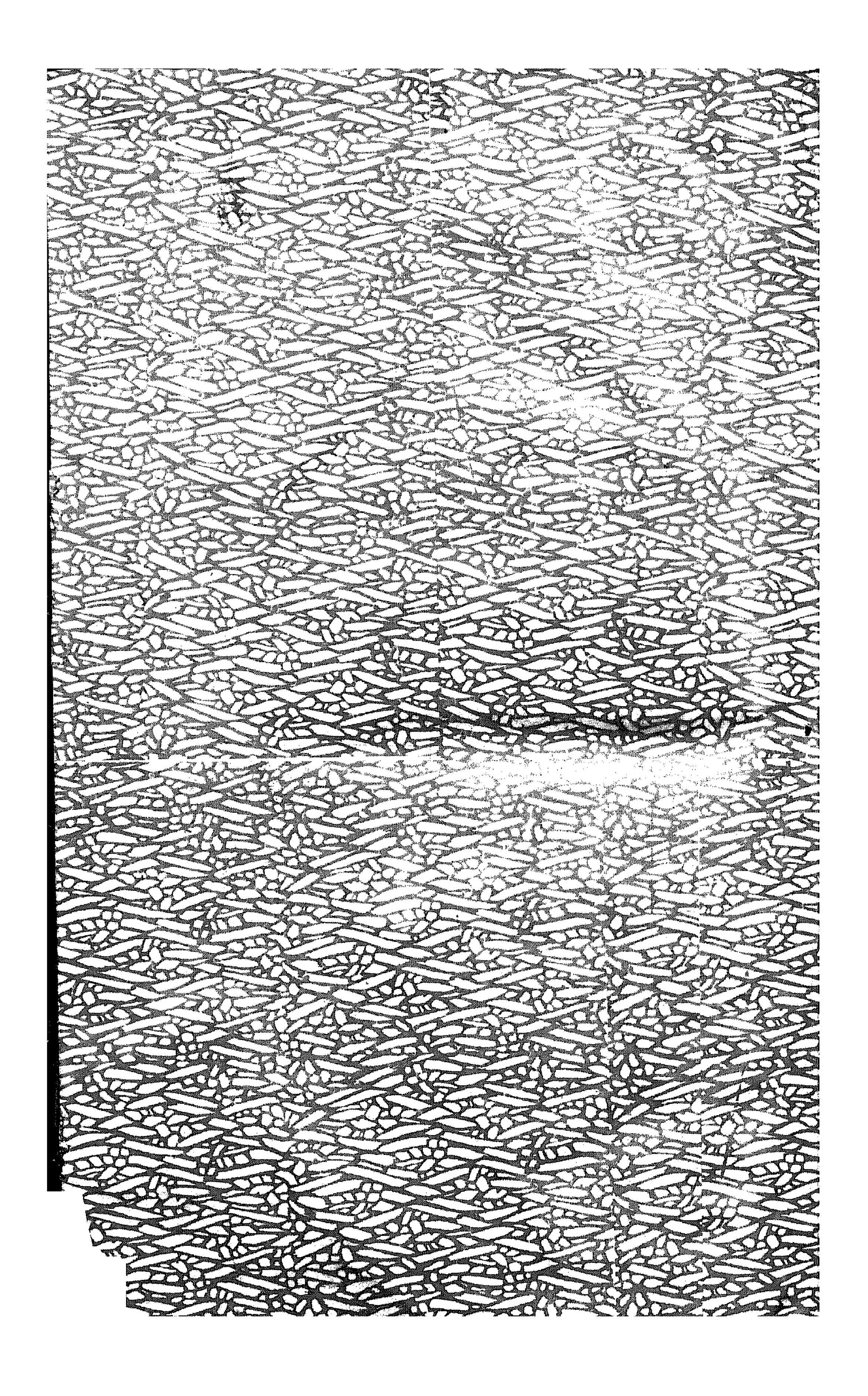
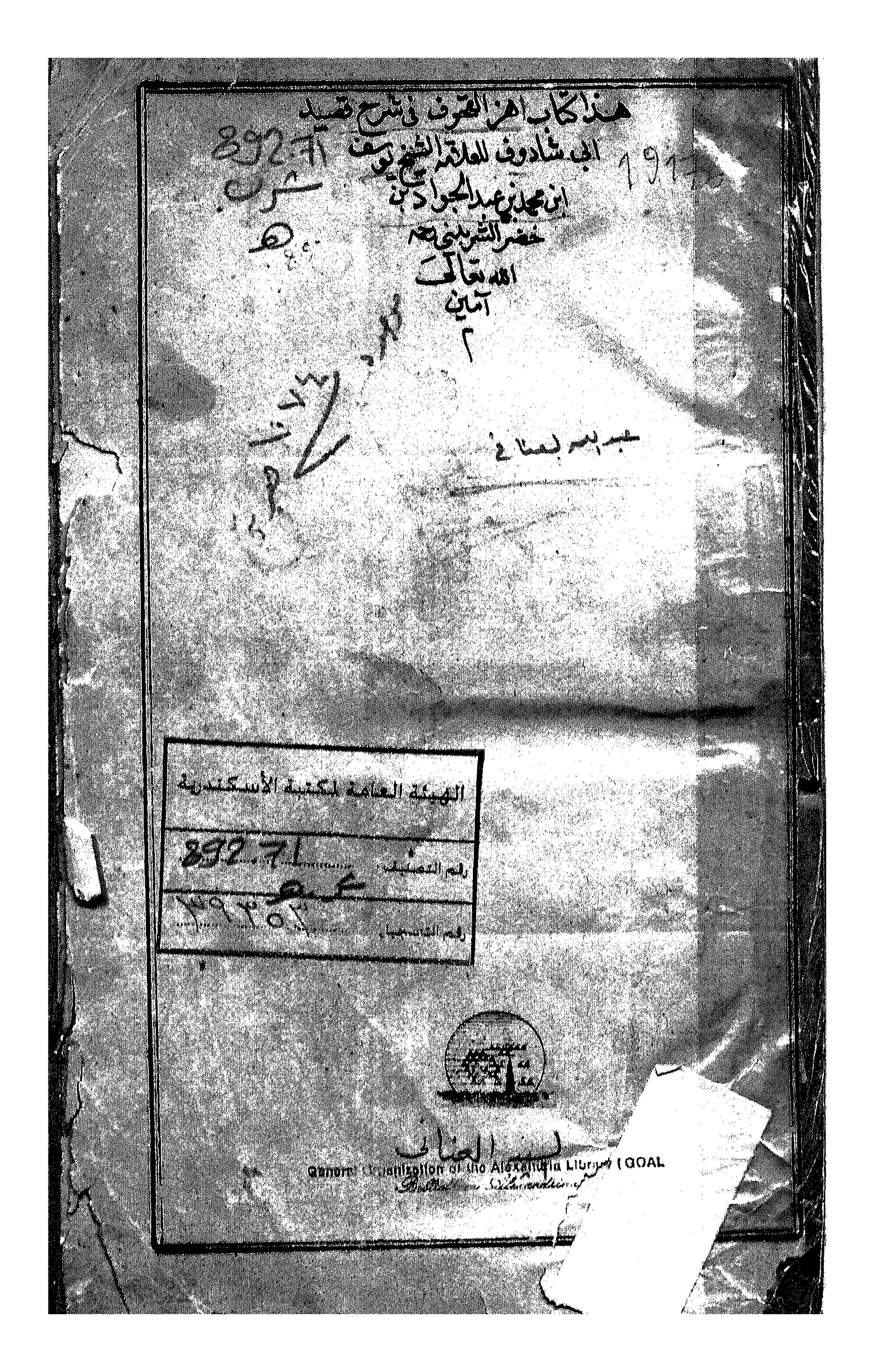

Bibliotheca Alexandrina
0103580







هذا كتاب اهز القحوف في شرح قصيد
ابي شادوف للعلامة الشيخ يوسف
ابن محمد بن عبد الجواد بن
خضر الشربيني رحمه
الله تعالى
آمين
٢

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة

الحمد لله الذى شرف نوع الانسان بنطق اللسان وخصه بعموم الفضل والامتنان
وهيأه لادراك حقائق المعرفة والبيان وتوجه بتاج الكرامة والبراعة والاتقان
وجعل الطبائع مختلفة والاخلاق متباينة على ممر الازمان وميز صاحب الذوق
السليم بلطافة الذات وحلاوة اللسان وخص اضداده بسوء الخلق وكثافة
الطبع كعوام الريف اراذل الجيران والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث
من افضل جرثومة العرب من عدنان المخصوص بجوامع الكلم ولوامع التبيان
وعلى آله واصحابه الذين جعلهم الله اقطابا فى جواهر العلم افنان وصلاة وسلاما
دائمين متلازمين فى كل وقت وآوان وبعد فيقول العبد الفقير الى الله تعالى
يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى كان الله له ورحم سلفه انه ممن عنى
من نظم الارياف الموصوف بكثافة اللفظ بلا اختلاف المشابه فى رصه لطين
الجوالس وجرى ذكره فى بعض المجالس قصيد ابى شادوف الحاكى لبعر
الخروف او طين الجروف فوجدته قصيدا ياله من قصيد كانه عمل من سد يد
او رص من قحوف الجريد فالتمس منى من لا تسعفنى مخالفته ولا يمكننى الا
طاعته ان اضع عليه شرحا كريش الفراخ او غبار العفاش وزوابع السباخ يحل الفاظه
السخيفه ويبين معانيه الذميمه ويكشف القناع عن وجه لغاته القشرويه
ومصادره الفشكليه ومعانيه الركيكه ومقاصده العبيطه والفاظه الخربطه
وان اتمه بحكايات غريبه ومسائل هباليه عجيبه وان اتحفه بشرح لغات الارياف
التى هى فى معنى ضراط النمل بالاختلاف واشعارهم المختلفة من بحر التغابيط
واشتقاق بعض كلماتها التى هى فى الصفات تشبه الشراميط ووقائع وقعت لبعضهم بالنفاق
فى القاهرة ومصر وثغر بولاق وذكر فقهائهم الجهال وعلمائهم الذى
يشبه ما النخال وفقرائهم الاجلاف واحوال الاوباش منهم والاطراف
وذكر نسائهم عند الهراش وملاعبتهن فى الفراش التى هى تشبه نط القرود
او زريبة للهنود وان اورد بعد كلام المتن بمعنى اذا قراها السامع يحكى
طعم البول واذا اقتطفت من يانع ثمار لفظها الناظر فكانك قد قطفت
زبل العجول واذا نظرت الى اشعاره فكانها رص القلقيل واذا تاملت عفاشة
كلامه فكانك تلوك زبل الخيل وان اصرح فيه ببعض نكات هزليه وحكم
هباليه على سبيل المجون والخلاعه والدبدبه والصقاعه حتى يشتهر شرح هذا
القصيد من دمياط الى رشيد واسوان لا يخلو منه اقليم ولا بلد من بلاد الصعيد
وبان لا يخلو سامعه من تواتر الالفاظ التى كالوابش او ربما اعترى

قارئه ضرب من الطراش فهو ان مر على المسامع يمر كالريح واذا مجه الطبع كالمرض للصحيح كما قال الشاعر الفصيح المتقط لشعره من الدر الوضيح

اذا حققت ان اللفظ صوت   وان الصوت معنى يا فصيح
فحقق ان تاليفي كلام   تلذ به المسامع وهو ريح

وفي المثل في البحر سمك يفسي نار قالوا كان الماء يطفيه قال هذا كلام اسمعوا الى خليه ولا باس بوصف هذا الشرح بابيات كانها بول البنات فاقول

كتاب قد حوى فن الولايش   كتاب قد اتى مثل الفراش
كتاب فيه اوراق وحبر   وقول صادق مع قول لاش
وفيه يا اخي من كل معنى   اذا ما ذقته طعم الحشاش
والفاظ به تحكي لبول   عليها رونق مثل العماش
وفيه مسائل جارت هبالا   عليها سابل مثل القماش
وبه النظم مثل الثوب رصا   وفيه مسائل جاءت بلاش
انا طالعته حقا وصدقا   فلا تامن سريعا من طراشه

وكل هذا لمناسبة الفاظ القصيد وطل معانيه التي تحكي خوف الحريد فالشارح لا يخرج عن كلام الماتن كما هو عادة القاطن في هذا الفن والظاعن فيا له من شرح لو وضع على الجبل لتدكدك ولو نقش على عامود الصوان لتحرك ولو برجر لتشطر ولو القي في اليم لتكدر فهو جدير بان يرقم ببول الجحوش على جدران الكنائس وحقيق بان يسطر على بيوت الاخلية ببول العرائس وان يلقى على رؤس المزابل ولحق بان يرسم على جدران المكاسل فهو شرح عديم النظير في الكافة لكونه في معنى اوصاف الرعافة وليس له شبيه في التفاله لكونه في وصف ذوي الرذالة واعلم ان كل شرح لابد له من اسم يناسبه وعلم عليه يقاربه (وقد سميت) هذا الشرح هز القحوف بشرح قصيد ابي شادوف والطلب من القريحة الفاسدة والفكرة الكاسدة الاعانة على كلام اعرفه من بنات الافكار واسطره في الاوراق من فشار وان يكون من بحر الخرافات والامور الهباليات والخلاعة والمجون ولفظ يحاكي كلام ابن سودون فقد يلتذ السامع بكلام فيه الضحك والخلاعة ولا يميل الى قول فيه البلاغة والبراعة لان النفوس الآن متشوقة الى شيء يسليها

ففي مذهبي ان الخلاعة راحة * تسلي هموم الشخص عند انغماضه

وزماننا هذا لا يعيش فيه الا من عنده طرف من التمسخر والخلاعة والدبدبة والصقاعة

ولهذا قال الشاعر مات من عاش بالفصاحة جوعا وحظي من يعوّد او يتمسخر وقد تساق الارزاق لمن لا يدرك الخط في الاوراق ويحرم صاحب البلاغة ولا يجد من القوت بلاغة ولهذا قال الشاعر

رزق التيوس يجيئها بسهولة وذووا الفصاحة رزقهم مسجون
ان كان حرماني لاجل فصاحتي فامنن علي من التيوس اكون

وقال البوصيري الاديب رحمه الله تعالى موالياً

رب الفصاحة عديم الذوق تعفه ابلم والابلم التيس متصدر ومتعظم
يا رب ان كان حرماني كما تعلم امنن علي اكون تيس بن تيس ابلم

وقال ابن الراوندي

يا قاسم الرزق كم ضاقت بي الحيل ما انت متهم قل لي من اتهم
تعطي اليهود قناطيراً مقنطرة من اللجين ورحلي ما لها قدم
اعطيتني حكماً لم تعطني ورقاً قل لي بلا ورق ما ينفع الحكم

فالشخص يكون مع زمانه بحسب حاله ويداري وقته بما يناسب لاحواله ويكون حذراً من دهره وصولته ويرقص للقرد في دولته ويباشر الناس على قدر احوالهم ويدور معهم وينسج على منوالهم ويندرج في مدارج غلماتهم ويظهر في مظاهر براعاتهم كما قال بعضهم * ودارهم ما دمت في دارهم وحيهم ما دامت في حيهم * وحسن العشرة مع بعضهم * يعذر الكل على بعضهم * وقيل ان بعض الملوك مات امامه فقال للوزيره وخواص دولته انظروا لنا اماما يكون ورعا زاهدا فيه ورع وهدو نفس فاجتمع رأيهم على رجل بالمدينة فيه هذه الاوصاف الا انه فقير الحال فارسل الملك عليه فلما حضر بين يديه اكرمه وعظمه واعلى منزلته وصيره ارزق من وقد اثر ولبس عليه النعم فلما رأى نفسه في هذه الحالة تعاظم على ابناء جنسه واحتقرهم وترك مداراة الناس ولم يعتبرهم واحتقر ارباب الدولة فاتفق رأيهم على مكيدة يهلكونه بها فلما كان يوم الجمعة واراد الملك ان يصلي في بعض المساجد ارسل السجادة ففرشت له في ذلك المسجد فدخل وجلس عليها هو وذلك الامام وكان اتفاقهم على ذلك انهم اصطنعوا صليب صغير من الذهب والجوهر واعطوه لرجل من خواص الملك ممن يكتم السر وجعلوا له جعلا وقالوا له ضعه تحت السجادة تحت جبهة الامام بحيث انه لا يشعر بذلك ففعل ذلك فلما فرغ الناس من صلاة الجمعة واراد الملك الانصراف واخذ الفراش السجادة فرأى الصليب فعرضه على الملك فانكره وقال لارباب دولته ما هذا الامر فانه قد رؤي هذا الصليب تحت جبهة الامام فقالوا هذا كافر ومستتر علينا فغضب الملك وامر بقتله فلما مرت جنازته انشد بعضهم يقول

ان رأيت الله تعالى صالحاً سفيها عد لا وهما فقط امام وانا بر... بقول

كان لا يدري مداراة الورى * ومداراة الورى امر مهم

فالسلامة في مداراة الناس وحسن الانطباع معهم بلطف الايناس وان يكون الشخص متنقلا في اطوارهم دائرا حيث دوارهم كما صرح بذلك بعض الادباء

فطورا تراني عالما ومدرسا * وطورا تراني فاسقا ومفلسا

وطورا تراني في المزامر عاكفا * وطورا تراني سيدا ورئيسا

مظاهر ان حققت سرها * تريك بدورا قبلت وشموسا

ولنشرع الآن فيما وعدنا ونمارح بابر ورقصنا والشخص يغلب عليه علمه وفنه والزام لا يجيء ذ فنه وقبل الخوض بحر هذا الكلام والمشابهة لمن جنس النظام نذكر ما وقع لعوام بعض اهل الريف ووصف طعمهم الكثيف واخلاقهم الرذيله وذواتهم الهبيله واسمائهم المقلبه وحروفهم المشقلبه وقصاتهم المشرمطه واشعارهم المخلبطه ونسائهم المزعجات وما لهم من الدواهي والبليات فنقول اما سوء اخلاقهم وقلة لطافتهم فمن كثرة معاشرتهم للبهائم وملازمتهم لشيل الطين والعفار وعدم اكتراثهم باهل اللطافه وامتزاجهم باهل الكثافه فكانهم خلقوا من طينة البهائم كما قال في ذلك الناظم

لا تعجب الفلاح لو انه * ناخذ اربابها صاعدة

ثيرانهم قد اخبرت عنهم * بانهم من طينة واحده

فهم لا يخرجون من طور الكثافة لملازمتهم المحراث والجرافه وهم وحوفهم حول الاجران وطردهم في الملق والغيطان ودورانهم حول الزرع ونظرهم في الحصيده والقلع ودوسهم في الجلة والطين وعدم اكتراثهم بالصلاة والدين اذا الواحد منهم لا يعرف غير الحزام والنبوت والنقرة والبلنوت والساقية والقرقلة وشيل الطين والجلة والعياط والغاغ والظلطة والزماره والحدوة خلف قفاه ومزراقه وهزرداه وحزام الليف والتبن والشنيف وخلقته المشرمطة وصورته المخلبطة وطربوشه الدنس وزره المفلس وطرده للغارات والدواهي والبليات ومشيه حافي في الحر والحلافي وعياطه في الظلام بالسعدا وياحرام فيجتمع عليه اللوم ويقع منهم على البلاد الهجوم وهم سعدا وحرام ويخرج اليهم الاخوان بالتمام فيقع بينهم الحرب والعناد ويخرب بسببهم البلاد وتنقطع الطريق على العدو والصديق ويترتب على ذلك المفاسد وتمتنع لمن بلادهم الفوائد وكل هذا من قلة عقلهم وكثرة جهلهم وسوء اخلاقهم وعدم اتفاقهم اذ كلهم في الظاهر سلوى وكثيرا عندهم مثل الديون وايضا عندهم قلة الوفاء وعدم الامانة والصفا لا يؤدون القرض ولا يعرفون السنة من الفرض ان عاملتهم اكلوك وان نصحتهم ابغضوك وان اقمت لهم

الشرع رفضوه وان اتت لهم الجانب قتلوه العالم عندهم حقير والظالم عندهم
كبير امورهم معاندة وليس عندهم فوائد عندهم قابض المال اعز من العم والخال
سود الوجوه اذا رأوا معروفا انكروه كما قال الشاعر في المعنى

اهل الفلاحة لا تكرمهم ابدا ... فان اكرامهم في عقبه ندم
يبدو الصلاح بلا ضرب ولا الم ... سود الوجوه اذا لم يظلموا ظلموا

اذا اقاموا افراح لا تكون الا بالعياط والصراخ والصياح وشدة الاضطراب والكرب
وربما وقع فيها البطح والضرب وشاهدنا كثيرا من افراحهم وما يقع فيها من عدم
نجاحهم وسيأتي كيفية افراحهم واعراسهم وعدمه وقوتهم مع جلالة سهم
واما اكرامهم للضيوف فهو هز الاردية والمقوف والجلوس على المساطب
ونفش اللحى والشوارب وان حصل منهم الكرم بالاضطرار يكون العدس والبيسار
والكشك الحامض بالفول او نوع من المدامس والبقول ولو مكث الشخص منهم
مدة في مصر ودمياط لم يكتسب من اللطافة قيراط وبعض اكابرهم المشار اليه
والمعول في الامور عليه اذا طلع مصر لمقابلة الامير او قضاء حاجة من الوزير
ترى عليه لبس محبوب ومع ذلك يمشي حافي بلا مركوب وامورهم ليس لها انضباط
واحوالهم شياط وعياط وورد هم عند الاسحار التفكر في الغنم والابقار *
وتسبيحهم في الظلام هات الشوت والحزام وحط العلف وهات الكلف
قال الشاعر في المعنى

لا تسكن الارياف ان رمت العلا * ان المذلة في القرى ميراث
تسبيحهم هات العلف حط الكلف * علق لثورك جاءك الحراث

فهم لا يرحمون صغيرا ولا يوقرون كبيرا عورا تهم عند الاستنجاء على الماء مكشوفة
وثيابهم بالنجاسة مكفوفة يجمعون لحساب المال في المساجد وليس فيهم راكع
ولا ساجد اولادهم دائما عريانين وتراهم في صورة المجانين الرحمة فيهم قليلة
والرأفة متروكة ذليلة كما انه يكتب لطرد النمل بلا مرا ارحل ايها النمل كما
رحلت الرحمة من قلوب شيوخ القرى (ومن وصايا الامام مالك) للامام
الشافعي رضي الله تعالى عنهما لا تسكن القرى فيضيع علمك وقال
سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى لبعض تلامذته عليك بسكنى
المدن فان المقت اذا نزل في بلاد الريف طوفان يكون في المدن كحال الرجل
(قلت) واذا صحفت لفظة ريف مع قلب حروفها كانت فير فالساكن
في الريف معدوم اللذات لانه دائما في انقباض وطرد وجري وكر وفر وحبس وضرب
ولعن وسب وهوان وشماذ وشيل تراب ونقر ابار وخروج للعونة على

جهة السخرة وتعب شديد بلا اجرة واذا كان ذو فضل ضاع فضله اوذو عقل
ذهب عقله اوذو مال اغروا عليه الحكام اوذو تجارة نهبوه فى الظلام فالحق عندهم
مضاع والباطل عندهم مذاع وحكم الله ليس له اندفاع فلنذكر طرفا يسيرا من
اسمائهم وما يكنون به فنقول اما اسماؤهم فانها كاسماء العفاريت اورقع
الشلاتيت فيسموا خنجل وجليجل وعفر ودعموم وزعيط ومعيط
وقسيط وشلاطه ولهاطم وشقلط وتقليط وصفارو بهلول وجماز وعمران
وشعوان وسمنتوت وبرغوت والعفش والنبش وكسير وقفندر وجنين
وبنين ومحمد بكسر الميم والحاء المهملة ومحمدين بكسرهما ايضا وغير ذلك من الاسماء
وان كانت لا تعلل فان اسماؤهم هذه تشبه التقليب وقد يسموا بالفال كما
اتفق ان رجلا ولد له غلام فسمع رجل آخر يقول يا اعمش العين فقال نسميه
عومش فسمي بذلك واتفق ان رجلا ولدت زوجته انثى فسمع رجلا يقول
لاخوهات الزبل فقال لامها نسميها زبيله فسميت بذلك وزبيله تصغير
زبله وزبله تصغير فيها معنيان كونها واحدة الزبل وكونها مشتقة من
الزبالة والزبلة على وزن نخلة او نحلة او نملة او قملة وقال بعضهم فى هذا المعنى

ووزن زبلة لديهم نخلة * ونملة ورملة ونحله

وقد ذكرت بالتسمية بهذا الفال ما يقرب من هذا المعنى وهو ما حكى بعضهم
ان زوجته ولدت غلاما فسمع رجلا يقول لاخر دم الحس قفاك فسماه بذلك
ثم ولد له ولد ثان فسمع رجلا يقول لآخر شاربك فى الخرا فسماه بذلك ثم ان
دم الحس قفاك كبر وانتشى وكذلك شاربك فى الخرا بلغ من العمر عشر سنين
فارسلهما والدهما الى الكتاب فقرأ دم الحس قفاك القرآن وبرع فيه وكذلك شاربك
فى الخرا بلغ منزلة عظيمة فاتفق فى يوم من الايام ان دم الحس قفاك قال لاخيه
شاربك فى الخرا اقصد بنا يا اخى الذهاب لبحر النيل لنسبح فيه فقال شاربك
فى الخرا مليح السمع والطاعة فتوجه دم الحس قفاك هو واخوه شاربك فى الخرا
الى ان اشرفا على بحر النيل ونزلا فيه وكان دم الحس قفاك ماهرا فى العوم واخوه
شاربك فى الخرا عومه قليل فسبق دم الحس قفاك اخاه شاربك فى الخرا
فتضايق شاربك فى الخرا واشتد به الامر واشرف على الغرق فالتفت اليه
دم الحس قفاك فرأى شاربك فى الخرا فى شدة عظيمة فاقبل عليه ووضع يده تحت
البطن واسنده على ظهره ولم يزل يتلطف به حتى اوصله الى البر فلولا ان
دم الحس قفاك سبق والا كان شاربك فى الخرا غرق ومر رجل فرأى ولدا يضرب
اباه ويسخر به ويسبه فقال له يا غلام ان لابيك عليك حق

ان لا انهره ولا اؤذيه وان احسن الادب معه ولو كان كافرا فقال له يا سيدي
وانا الآخر لي عليه حق فقال له وما حقك عليه فقال له ان يحسن اسمي ويعلمني القرآن
وان يرشدني الى احسن الصنائع وهذا سماني دبوس وعلمني لسان الجرس وصيرني
بين الناس خلبوص افلا اضربه واسخر به واسبه فقال له بل صكه بالنعال
فانه مستحق لاقبح الفعال (ومر رجل) على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال له ما اسمك قال تسور قال وامك قال شرارة قال وابوك قال لهب
قال وفي اي واد انت قال في وادي النار فقال له رضي الله تعالى عنه اذهب الى
واديك فان اهلك قد احترقوا فلما مضى الرجل رأى الامر كما ذكره رضي الله تعالى
عنه والاسماء تدل على لطافة المسمى وعلى كثافته وفي كلام اهل العلم والتأديب كل
احد له من اسمه نصيب (واما كناهم) فابو شعرة وابو معرة وابو عفرة وابو دعموم
وابو شادوف وابو جاروف وابو مشكاح وابو رماح وابو بطاح وابو نقرب
وابو مطر وابو هودج وابو صدق النورج وابو صلام وابو شعر وابو قشقوش
وابو جريدة وابو طعيمه وابو بليله وابو زقلول وابو سليسي وابو جاهل
وابو عصاله وابو زباله وابو نعبوص وابو نموص وابو لبدة وابو زعيط وابو
معيط وابو زعيزع وابو شعيشع وابو صابر وابو طرطر وابو عوكل وابو زغابه
وابو طريف وابو قدح وابو عريش وابو دشيشه وابو قلوط وابو كابوس
وابو مقلد ويلقبون عمران القلبط وعمير القرط وقنديه وشخيبر
وبعيبر وعنطوز الباب وشلاطه مقلاوب ومهما ليلاب وكسير الثقليه
وبربور الهبله ولطاط الزبله ومشالي الجله وعوض الله كثير لا نهاية له
(ويجيبون السائل) بلفظ هاه وهيه وايش مالك واي مالك وايهاه
مما هو مشهور بينهم (واما اسماء نسائهم) فمن معنى اسمائهم فيسمون زعرة
وبعرة وهيطله وميكله واخطيطه وحوليطه ومعيكه ودعيكه ودكيكه
وشبابه وشراره وزراره وعلاره وبصاره وشلبايه ومطايه وعليوه
وحليوه وهديه وبلبيه ولبه وغله وشهر وبلهه وبلمه وسروه وسروه
وفيوه وخريوه (ويكنون) بام جعيص وام معيص وام رميح وام صرام
وام زوام وام شقيره وام صقيره وام شواهي وام دواهي (ويلقبون)
بجلايه وكرسايه وعاسوله وفاره وغاره وغايره فهذه اسماء
والقاب وجودها كالعدم وانما هي الفاظ يضعونها مناسبة لذواتهم
ليطابق الاسم المسمى وبعضهم اذا نادى زوجته يقول لها يا داهيه تقول له
تجيلك من الحيط كما اتفق ان رجلا منهم دخل منزله فرأى زوجته

عند الجيران فقال يا داهيه يا داهيه فقالت له تجي لك من الحيط فقال لها تعالى
اتعشى فقالت ابنك يخرى كل انت وقال رجل منهم لزوجته يا قطيعه قالت له تجي لك
يا عنطوز واما اولادهم فانهم مثل اولاد الهنود واولاد القرود دائما في شلاتيت
وشراميط ترى الواحد منهم مكشوف غارق في الجله والساس ونومه في المدود
وشربه من المترد واكله من الجله ولعبه حول الجله يشخ ويخرى في ثيابه دائما في سخامه
وهبابه عمره في الدناسه وامه في نجاسه واذا درج في الحاره لا يعرف غير الطبله والزمارة
والطرد وراء الثور والعجل وسخامه في الجله والوحل لا يلبس على طهارة قميص وعيشه
دائما في تنغيص خالى من التنظيف وكلهم مخوف من خوف الريف ❁ *
واما نساؤهم عند الجماع فانهن في حكم الضباع يدخلن الافران ويضرمن فيها النيران
ويعبق عليهم الدخان ونظهر لهم روايح الدمس حتى يصيروا في قلس ثم ينضجعوا
على شيء من القش وما تيسر من القصل والعفش بعد اكلهم المدمس والبيسار
حتى يصير الشخص منهم كانه حمار ثم يضم زوجته اليه وهي تتشقلب عليه فيظهر من
بين الاثنين روايح الجله والطين وتغطيه رجليها وتنظر الى عمشة عينيها ويطرحها
على جنبها فتستغيث بربها وتقول احيه حبك داهيه احبك جتك مصيبه احيه
جتك غاره فيفخذها بليه وجامعها بذيه وربما جامع الشخص زوجته في مدود
الحاره او في الغيط جنب العباره وقد تمكث المراة منهن الجمعه لا تغتسل من الجنابه
وكذلك الرجل يتحقق في اعظم الدناسه وعدم التوفيق * ❁
واما اعراسهم فانها مثل قيام الغارات او تعفير الكلاب في الحارات *
يدوروا بالعريس دوره وهم في غاره او عوره وعايط وصراخات ودواهي
وبليات وزعيق وعفر وصياح وعفرة والكلاب تنبح والشعرا تمدح والطبل
يضرب والمشاة حوله تلعب والجدعان تخبط بالنبابيت والاولاد تنط
بالشلاتيت وربما كانوا في هزل صاروا في جد وربما هشموا بعضهم البعض
وقد يموت الواحد منهم والاثنين ويحصل من ذلك الفرح الهم والشين
ويخرب من فعلهم البلد ويزيد الهم والنكد ثم بعد هذه الدوره
يفرشوا للعريس جنب الجوره ويجلسوا على شيء او حصير او برش من ابراش
البير ويأتوا له بالعروس كانها فحل جاموس منقشه بالحبر والهباب
وقدامها الشاعر بالرباب وخلفها الصبايا بالزغاريت تصيح والجدعان
تمشي بالمصابيح ويرشوا عليها الملح خوفا من النظره وقد خلطوا وجهها
بالسواد والحمره ويكشفوا وجهها عند الجلا وصارت بهذه *
الفعله وهيئه الحاله الحميديه بين الورى وجميع العالم مثله
وهذا من اقبح افعالهم واتعس احوالهم اذ لا يجوز رهنا في الشرع ولا بقول

اصل ولا فرع ثم انهم يجلسوها على شيء عال ويأتي اليها الطبالك وينشدوها
الاشعار بما هو مناسب لها بالاعتبار شعر (ياعروسه يا ام غالى * انجلى ولا تبالى
انجلى يا وجه بومه * زاعقه وسط الليالى (وجهكى يا لنقش يشبه * وجه ضبعه
فى الرمال لك مسخه شعر يربط * فوق راسك لا محال) (تشبهى به ام مجير *
دائره وسط التلالى ياعريس قم خد عروستك * واطلع بها فوق العلالى * وافرش
القفه زناموا * فوقها جمع الليالى واشترى له واضحى * بالدواهى والهبال *
تصلح له ياعروسه * ثم امرك بالكمال) ثم انهم يجتمعوا حول العروس وينادى بينهم
رجل فلفوس بيده شعله من شرموط هاتوا النقوط صاحب العرس بقى فى امان
هاتوا يا ناس يا جدعان فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين والذى يرى نصف
او نصفين وبعد هذا يقبلوا على العروس بوجوه كانها وجوه التيوس وينادوا
فى والاشعير والاسمسم مقشور وغربى فان كان العروسه مليحه قالوا فى زريع زبيعهم
مقشور وان كانت قبيحه قالوا شعير نبت فوق الجسور ثم انهم يدخلوها الى العرن
اوالبيت ويسرجوا لهم بشيء من الزيت ويفرشوا لهم شيء من التبن او القصل
ويصنعوا لهم وساده محشوه من قشر البصل ويغلقوا عليهم الباب ويدقوا لهم
بالحجارة على الاعتاب فان اخذ وجهها هنوه والا جرسوه وهتكوه وقالوا له شرقت
البلاد وهتكتنا بين العباد ففرحهم هتيكه وفرحهم مصيبه ووليمتهم الكشك
والفول ونوع من البقول والارز بالعسل يشبه الطين والارز باللبن يشبه
طعام المجانين وقد ذكر هذه الاوصاف صاحب لدهكش حيث قال فى القصيد

ويوم عملنا العرس ياما رقصنا * وياما حرقنا قش جو المساطح
نصفها بالسنط من فوق قتنا * وكان انهدم ياما قشعنا فضايح
واخرجتها للصبو من الزريبه * بقا شي يقول مشعروشي قايح
ومبحت تهنينا اكابر بلدنا * علينا تقال العيش مسو لسايح
هدا دبه غشط ملثقل ركبتى * وانا بلا لبده قليل الملابح *
وجلس يجنبى ابن جروان كلهرا * وابن العفير وانا اروح روايح

اى جلس بجانبه مشايخ الكفر وهم هولاء المذكورون فلا يحتاج الى اعادتهم لان
الاعاده فى ذكرهم ليس فيها فاده فقد افردت ذكرهم بمؤلف فراجعه ثم انهم
عند الصباحيه يجتمعوا المشاه الظهريه ويجعلوا بينهم وبين العريس
حكومه لا قدر لهم ولا قيمة ويجتمعوا مع بعضهم البعض ويرمحوا
فى طولها والعرض ويقولوا حكمنا عليك يا فلان قوم هات العيش والملش ورطل
دخان فياكلوا وينطوا ويشتلوا ويحطوا وياتوا بحجارة الدخان
مثل ارباع الكيل ويصيروا فى عياط وشياط الى الليل وينسوا هذا اليوم

الهروبه وامورهم كلها مقلوبه وبعد ثلاثة ايام يخرجوا العروسه بالتمام * ويكشفوا وجهها تاني مره ويجعلوها للناس شهره وياخذوا ايضا النقوط من الناس واحوالهم في انعكاس * (ذكر وقائعهم) * حكي ان بعض الملوك خرج هو ووزيره قاصدا التنزه فمر على رجل فلاح يحرث وعلى راسه لبده مشرمطه ولابس خلقه مقطعه ترى عورته منها وقد حصره البول فبال عليها حتى غرقها ولم يبال من النجاسه وقد اسود قفاه من الحر وتشققت قدماه من الحفا وشدة البرد وهو في حالة مكربه فقال الملك لوزيره ما حال هذا الرجل فقال له يا ملك هذا من عجوف الريف ينشأ الشخص منهم على التعب والمصب والهم والغم والطرد والجري وقلة الدين والجهل ولا يجد من يرشده للعبادة والصلاة فيصير في هذه الحالة كما ترى فهم همج الهمج لا يعرفون غير الثور والمحرات فحكمهم حكم البهائم . قال الشاعر

من فاته العلم وخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوا

فقال الملك لوزيره هل ترى اذا علمناه القران واشغلناه بالعلم والبسناه * ملابس النعم يتغير طبعه ويرق قلبه ويخف ذاته وينتقل من طرف الكثافه الى طور اللطافه فقال الوزير ايها الملك اما سمعت قول الشاعر

لا يخرج الانسان عن طبعه * حتى يعود الدر في ضرعه

من كان من جميزة اصله * لا ينبت التفاح من فرعه

وقال آخر

الطبع والروح في جسم لقد خلقا * لا ينفد الطبع حتى تنفد الروح

وقال بعضهم يحول عن وكره ولا يحول عن طبعه * (وحكي) * ان رجلا اعرابيا مر بقارعة الطريق فراى جرو ذئب صغير فرحمه واخذه الى منزله * وكان عنده شاة ترضع فرباه عليها الى ان كبر فعدا يوما على الشاة فبقر بطنها وولغ في لحمها ودمها فلما رجع الاعرابي وراى ما فعل انشد يقول

شعر

غذيت بدرها ونشأت فينا * فمن انباك ان اباك ذيب

اذا كان الطباع طباع سوء * فلا ادب يفيد ولا اديب

ومن ذلك ما حكى ان جماعة قصدوا صيد ضبعة فالتجأت الى اعرابي ودخلت منزله فخرج الاعرابي اليهم وبيده السيف مصلتا وقال لهم لا تتعرضوا الضبعة فانه قد استجارني فقالوا يا هذا لا تحل بيننا وبين صيدنا فقال هذا لا يكون ابدا ولا اسلم لكم ابدا وجعل يغذيها اللبن فخرج الاعرابي يوما ليغتسل فلما ابصرته عريانا عدت عليه فشقت بطنه وولغت في لحمه ودمه فقيل

لابن الاعرابي فانشد

ومن يفعل المعروف في غير اهله * يجازى كما جوزي مجير ام عامر *
اعد لها لما استجارت بقربه * من الدر البان اللقاح الدوائر
واشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانيابها واظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفا الى غير شاكر

ومن كلام الامام علي رضي الله عنه قال لا تعلموا اولاد السفلة العلم فانهم اذا تعلموه طلبوا معالي الامور فاذا نالوها اعتنوا بذلة الاشراف وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

فمن منح الجهال علما اضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وهذا الرجل لو علمته الحكمة وقدته لمن يعلم لا يخرج عن طبعه ويرجع الى عادته الاولى خصوصا طباع جهلة الريف وعوامهم فانهم اجلاف غلوف كانهم خلقوا من صخر كما قيل

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه
هل في الانام رايتم * جلفا رقيق الحاشيه

فاللطافة لا تخرج عن طور الاكابر ولا تتعدى لعوام الريف الاراذل خصوصا دني الاصل اذا ادعى العلم والفضل كما اتفق ان امراة ذات حسن وجمال وقد واعتدال كانت متزوجة بابن عم لها وهي متضررة منه وراغبة في فراقه فارسلت للعلماء في تدبير حيلة للفراق فلم تتمكن من ذلك حتى وصلت الى شيخ دني الاصل تعلم العلم فدبرها ان تدعي انها ارتدت عن دين الاسلام والعياذ بالله تعالى وتختفي الى ان تنقضي عدتها فتصل الى الحاكم الشرعي وتعترف بصدور ذلك منها وانها تابت ورجعت الى دين الاسلام واخذ على ذلك منها شيئا ففعلت ما امرها به فاستغرب الناس ذلك وجزموا ان لا يصدر هذا التعليم الا من ذلك الشخص فتفقدوه فلم يجدوه وفي هذا المعنى قول الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه فمن منح الجهال الخ وكذلك يا ملك الحكاية المشهورة وهي ان رجلا دني الاصل سافر الى مدينة فاشتد به الجوع فراى رجلا يبيع الزلابية فوقف قبالة دكانه حائرا فرق له قلب الزلابائي ورحمه وقال له ادخل لا غذيك تغديا عني فدخل فقدم له ما يكفيه من الزلابية والعسل فاكل حتى شبع واذا محتسب المدينة ماربنادي على اهل السوق ويزن عليهم ويجد درهم نقص للموازين وكذلك صناع الزلابية ان يستخبوها ولا يبيعوها طرية فقام هذا الرجل الكثيف واخذ بعضا من الزلابية وعجنها ببعضها وقال للمحتسب تفرج على هذا الرجل بياع الزلابية انظر ما يفعله الناس من الغش قال فاخذ المحتسب صاحب الزلابية وضربه ضربا مؤلما

فالتفت الى هذا الرجل ردئ الفعال وقال له ماذنبي معك وانا اشفقت عليك
واطعمتك حتى شبعت وصدقت عني فسكت فقال له ما اسمك قال فلان قال وابوك قال
فلان قال وامك قال فيها انها جارية سودا فقال صانع الزلابيه لا لومك ابيا
جاءك الطبع الخبيث من جهة امك ثم انه اخرجه من دكانه ومضى الى حال سبيله
وفي هذه الحكايات ياملك مواعظ واعتبارات كثيره فقال الملك لا بد من اخذه
وتعليمه ولا اركن الى ما تقول فقال له الوزير افعل ما بدالك فاخذ الفلاح وانعم عليه
والبسه الملابس الحسنه الفاخره وقيد له من يعلمه القران والعلم فحفظ القران
وبرع في علم الرمل والحروف حتى صار يخرج الضمير ويبين الضائع قال فتذكر
الملك ما قال الوزير في حق الفلاح ونصح الملك في عدم اخذه وتعليمه فارسل اليه
فلما حضر قال له يا وزير خابت فراستك في الفلاح فانه الان ترقى على غاية من العلوم
وصار له براعه في علم الرمل والحروف ويخرج الضمير ويبين الضائع فقال الوزير ياملك
اختبره وانظر طبعه وخلقه فارسل اليه فحضر فقال له الملك بلغني انه صار لك
قوة في اخراج الضمير وبيان الضائع فقال له نعم انشاء الله فقال له مرادي ان
اضمر لك على شي وتبينه لي فقال افعل قال فنوى الملك وقلع خاتمه واطبق عليه يده
واتى اليه وقال له انظر ما في يدي فاقام الاشكال وقال في يدك شي مدور
قال نعم قال وهو خالي الوسط قال صدقت ولكن ما هو فسكت ساعه
زمانيه ثم قال اظن والله اعلم انه حجر طاحون قال فضحك الوزير وقال
غلب عليه طبعه الاول ياملك فاغتاظ الملك منه وسلب نعمته ورده الى
حالته الاولى وقيل التزم بعض الامرا بقرية من قرى الريف فسافر اليها لينظر
احوالها كما هو عادة الملتزمين فلما دخلها ونزل في دار الحكم وتسمى عندهم دار المشد
اقبل اليه الفلاحون وهم من كل حدب ينسلون وامامهم شيخ كبير قد طعن في السن
وبيده عصا يتوكا عليها قال فلما راه الملتزم وهو امام القوم اكرمه وقام اليه
واجلسه الى جانبه لكبر سنه وقال في نفسه لعله من اهل الصلاح لان ما في هذه
القرية اكبر منه ثم ان الامير صار يحثهم على الزرع والقلع وعلى سداد مال السلطان
في لعزامه وان يجتهدوا او يتيقظوا الى انفسهم ويكونوا مع بعضهم البعض قال فعند
ذلك قام الشيخ الكبير ووقف بين يدي الامير وقال له اني اريد ان انصحك
ايها الامير وارشدك الى شي تفعله فان انت فعلته فاقوا لانفسهم وسددوا
المال فقال له الامير تكلم يا شيخ فان ما فيهم من هو اكبر منك سنا واعلى
قدرا فقال ان كان مرادك النصيحة اهدم ذا الجامع الذي في وسط
البلد فانهم كل يوم يجتمعوا فيه للصلاة الى يقولوا عليها الناس ويتركوا
مصالحهم فاذا انهدم فاقوا للزرع والقلع وسددوا المال ولو انك

طاوعتهم يا امير وصرت كل يوم ادخل الجامع كان انكسر على مال السلطان وما
نفعني طول عمري ما اعرف دي الصلاه الي يقولوا عليها الناس ولا دخلت الجامع
ابدا قال فتعجب الامير من طول عمره وقلة دينه وشدة جهله وقال له انت رجل
طال عمرك وساء عملك ثم انه علق في رقبته الاوطيه واركبه حمارا معكوسا
ونادى عليه حوالي البلد بعد ان ضربه ضربا موجعا واخرجه من القرية على
اسوء حال (ومما يحكى) ان ابا نواس جلس هو والخليفة هارون الرشيد
في محل المداعبة فاحضر بين يدي ابي نواس صحن من القشتانات المحشو
بالسكر وصار ياكل هو والخليفة فقال الخليفة يا ابا نواس هل يمكن ان
احدا من الناس لا يعرف هذا قال نعم يا ملك عوام الريف الفلاحون واضرابهم
فانهم اناس نشأوا في اكل الدخن والذرة فضلا عن الحنطة ولا يعرفون هذا ولا
غيره من الماكولات الا العدس والبيسار فقال له الخليفة لابد ان تحضر لي رجلا
منهم في هذه الساعة والا قتلتك قال فقام ابو نواس من عند الخليفة متحيرا يمشي
في شوارع بغداد فرأى رجلا يحاكي سارية الجبل من طوله وعليه جبة من صوف الى
ركبته وقد انتبحت وتمزقت من سائر الجوانب واذا اراد ان يتحزم عليها انكشفت عورته
واذا بال بال عليها من غير مانع لكونه لا يعرف الطهارة من النجاسة وعلى راسه
لبده من الصوف طويلة مثل القفف دائر من غير سقف وقد ربط وطاه وجعله
خلف قفاه وبيده رغيف ذرة ياكل فيه وهو ينظر الى الحوانيت مثل المرتاب وهو في حيرة
لا يدري اين يذهب وياكل وينظر الى الناس مثل المجانين قال فلما رآه ابو نواس
في هذه الحالة عرف انه قفف من جوف الريف فسلم عليه فلم يرد عليه السلام وبقي
في نفسه ولم يعرف كلام ولا سلام بل ظن انه يريد ان ياخذ الرغيف منه فخبأه
في عبه وقال له يا جندي انا ما معي شيء تاكله غير هذا الرغيف وانا ما اعطيه
لك قتلني الجوع وانا عمري ما طلعت هذا الكفر وانا بانظر فيه جنادي كثير مثلك ودور
مثل دورنا وخايف من الجنادي لا يقطعوا راسي فقال ابو نواس في نفسه الحمد لله
الذي وفقني في هذا فهو المطلوب الذي لم يعرف الكفر من المدينة ثم انه لاطفه بالكلام
وقال له لا تخف ولا تحزن فالي حاجة برغيفك ولا انا جيعان ومرادي اغديك غدوة
عظيمة فقال له حياك الله يا جندي وانا الاصفر لما تغديني وتبيض
وجهي ازورك باربع بيضات وان فقست وزتنا اجيب لك وزة خضرا واجيلك
صاحبي ولا تخلي احد يقطع راسي لانها يفا روح الكفر بلا راس
قال فضحك عليه ابو نواس من جهله وخانه عقله وقال له ابو نواس
امض يا هذا الفلاح معي في هذه الساعة لاغديك واسرك واضايفك
قال فسار معه هذا القفف الريفي وهو لا يدري ما هو متوجه والى

الى ان بقي يمشي اقبل على ديوان امير المؤمنين هرون الرشيد قال فلما راى
الديوان وكثرة العسكر بهت وحار في امره واندهش وقال الله وكبر القيامة قامت
ودا المحشر لا كلام ثم انه اراد الهروب فقبض عليه ابونواس وقال له لا تخف ولا تخش
من شي وضمانك على فقال له يا جندي اخاف العرض على ربي من الحساب يحاسبني
على ضرب البهايم وبيك الحمير في الغيط لاني ما خليت حماره في الغيط بلا نيك من
خوف لا اهجم على نسوان الكفر مسكني المشد يقطع راسي وباسمع الناس وهم
يقولوا كل من نكح دابة يجي يوم القيامه وهو حاملها وانا نكحت دواب كثير حتى
الكلاب ولا اقدر احملهم في هذا اليوم وانت تشفع لي عند ربي يسامحني
في هذا اليوم ما فعلت فقال له ابونواس لا تظن ان هذا يوم القيامة وانما هو ديوان
الخليفة هارون الرشيد السلطان فقال له يا جندي انا ما رايت مثل هذا المحل
ابدا ولكن ما يكون الخليفة قال هو السلطان الذي يقبض المال من بلاد
الارياف والكفور فصرخ الفلاح وقال له يا جندي السلطان يقطع روس الفلاحين
ولا يخلي فلاح من غير قطع راس واراد الهروب فلما سمع الخليفة كلامه سال عن
القضيه فاخبروه بها فضحك وارسل يطلبه قال فاخذه ابونواس واقبل به على
الخليفة فقال انا في جيرتك يا رسول الله يا بوزعبل يا بوعنطوز يا مشايخ الكفر
خلصوني قال فامر الملك ان يلاطفوه بالكلام فلاطفوه حتى سكن رعبه وروعه
ثم انه نظر فراى الخليفه جالسا على الكرسي وعلى راسه التاج الكسروي فقال له
انا في جيرتك يا خطيب المسلمين قال فضحك عليه الخليفه وقال له يا فلاح من اي
البلاد انت فقال له انا من كفر ابوزعبل وانا شيخ الكفر وعندي بيت ملآن
تبن وقصل وعندي عنز ومركوب احمر وعصايه راس السامعين وعندي
فرختين وديك وشونتين عظم وخف طويل مثل خفك دا يا خطيب فضحك
عليه الخليفة وقال له من احضرك عندي قال ذا الجندي صبيك لا جزاه
الله خير وكان معي جرادة ياكل رغيفي دا ثم انه اخرج الرغيف من
عبه واراه للخليفة فقال له الخليفه انت جيعان فقال له ذلك الجحف
يا خطيب صبيك اوعدني بالغدو قبل ان آجي الى هنا فقال له
الخليفه ما تشتهي قال العدس والبيسار فقم هات لي عدس ومعه
بيسار ورغيفين ذره وانا اخلي ام خطيطه تدعي لك
فقال له الخليفة اجلس يا فلاح قال فقعد ومد رجليه
بحضرة الخليفة وحط النبوت بجانبه والمركوب خلف قفاه
وربطه في حزامه خوفا عليه ان ينقع من وراء ظهره قال
فامر الخليفة الخدم ان يقدموا لذلك الجحف الصير الذي فيه

الحشتنانات فقدموا اليه فلما راى الصحن قال يا خطيب المسلمين اعطني من دا المزدكورة العب بها في الكفر انا ابو دعموم واولاد الكفر قال فضحك عليه الخليفة وقال كل منهم كورة فقال يا خطيب المسلمين الكورة تناكل فقال له كل على بركة الله تعالى قال فاخذ الفلاح واحدة ووضعها في فمه ومضغها فلما استقرت حلاوتها في جوفه صار ياكل اربع حبات سواء ويحطها في يده ويقطع منها ويبلع وتارة يسف وتارة يمضغ وهو في حالة المجانين فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح ما يكون هذا الذي تاكله وما اسمه فقال يا خطيب المسلمين طول عمري اكل العدس والبيسار والكشك بالفول والمدمس ما رايت مثل هذا ابدا الا اني سمعت ام معيكة جدتي تقول نعيم الدنيا الحام والله اعلم ان دا هو الحام الي يقولوا عليه الناس فضحك عليه الخليفة وقال له مرحبا بك يا فلاح كل واشبع فقال له يا خطيب المسلمين وحياة وجهك لما اروح الكفر ازورك بحمل جلة ومحلايب لبن من بقرتنا الحمرا وخمس بيضات وانت الاخر ما تحرمنيش من نعيم الدنيا دا لما احضر بالهدية فضحك الخليفة من كلامه وانعم عليه واذن له بالانصراف ومضى الى حال سبيله * (ولقى) بعض اهل الارياف صديقا له وقد اشترى بردة من الصوف فقال له دي بردتك فقال له عبدك وجاريتك فقال له بكم اشتريتها فقال له بدراهم كبيرة فقال له تلفك وتلف وليداتك في الشتا * (وجلس) * بعض اهل الارياف بين اصحابه فدخل عليه ولده وهو يبكي وقال له يا ابويا فحل الفراخ مات فقال لا حول ولا قوة الا بالله العام الماضي ديك والعام دا ديك احنا يا ولدي اصحاب الرزايا والمصايب ربنا يعوض علينا ثم ان اصحابه عزوه وصار كانه مات له ميت (وولدت) لشخص منهم جارة فلقيه صديق له فقال له جارتك ولدتك فقال له وسيت فقال له ما جاب الله فقال له جحشا كيفك سوا بسوا فقال الله يخليه لك ويجعله جحش الحياة * (وعطس) * رجل منهم ايضا فقال له فقيه من اهل الريف يرحمك الله عطسك ولو شئت لتطسك واخرج العطسة من فتر فرافتر الى خلفك فقال له الفلاح يا فقي لا عدت المقات اربع بطيخات وتقرا السورة لام معيكة وتهديها لابو زعبل فانه مات من مية شهرين فضحك عليه الرجل ومضى الى سبيله * (وجلس) * جماعة من اهل الارياف يتحادثون في احوال الزمان اقباله وادباره فقام رجل منهم يقال له ابو عزوة وسحب رداه واتكا على عصاه ثم ضرب بها الارض

وقال لهم يا شيوخ العرب والكفر زمن الفرح الى ولى وراح ولا بقى فى الدنيا خير
ولا عاد يجى زمان مثل زماننا الى كنا فيه وما نحصل ايام الاعياد والمواسم
فقالوا له الله عليك يا بو جعفره احكى لنا على زمن الفرح الى شفته فقال لهم
رحت يوم عيد الله واكبر انا وابو معيكه وابو دعموم وكان عندى ابنى فرخ
الليل ولد صغير واحنا نجرى مثل الكلاب السعرانه وانا نافش وعلى ردا من
محار الكتان شريته بنص فلوس جدد الدراع وجبه صوف خدتها بخمس جدد
الدراع ولبده خدتها بعمتانى وانا مزوق على العيد كيف عنز الضحيه وتحزمت
لبسير وسكين خدتهم من سوق هر سيط بار بقه انصاص فلوس جدد وعلى
راسى شد مشنير خدته من سوق بيسثله بنصين فلوس جدد ونبوت
كنت سرقته فى زمان الشطاره ومركوب احمر كيف وجوهكم يا شيوخ الكفر
كانت سرقته ام زعبل من واحد حضرى دخل دارنا الى على البركه بالامانه
ليشترى بيض رحت انا والجماعه نشترى مصالح العيد على الطريق الى تطلع على
الكفر بتاع ابو عنطوز نمشى عليها كيف كلاب الغنم وكنا لقينا واحد دبح
جدى بالتخاين خمسه ارطال لحم فوقفت انا واصحابى على راس صاحبه وهو
عمال يسلخ فيه فقال ما تطلب يا شيخ الكفر انت واصحابك فقلت له اسمع
يا عرص يا راس الدقاق وحياة ام زعبل ان كنت ما تكارمنى اليوم وتتوصى بى
والا ما عدت تدبح جدى ولا تكليه فقال لى يا شيخ الكفر تطلب من اللحم والا
السقط فقلت له اطلب السقط اقسمه بينى وبين اصحابى كل واحد ياخذ
تلته فاخذت منه السقط بعد عياط وشياط وضراط وحياة الحاكم يا اولاد
كفرنا بنص فلوس جدد ولولا عينت له الضرب وقلت له يا عرص يا تيس وانا
شيخ وتورد على الجدعان اليوم المليح ولعرفه وانا معدود فى الكفر والا ما كان اعطانى
السقط وقسمناه لحنا الثلاثه كل واحد خد بجد يدين ولكن واحد من شركائى
غاد على وخد رجل زايده وانا سرقت ودن من اودان الجدى وطلبت اسرق سنه
من اسنانه اعلقها لابنى جعفره على راسه تمنع عنه النضره اتقلبوا على شركائى
وقالوا لى يا ابو جعفره لا تخون الامانه انجابت الاسنان فى حصتنا خد ما تريد
فتركت الامر وخدت حصتى فى طرف ردايه وكل واحد من شركائى خد حصته
ولفيت نبوتى على كتفى ومشينا كيف الكلاب السعرانه وانا اعفر بين الكيمان
والكلاب تجرى ورانا على ريحة اللحم وكان حرقنى شخاخى وحياة الحاكم
ومن خوفى من الكلاب لا ياخذوا منى السقط وكنت اشخ على ردايه حتى غرقته
شخاخ ولما دخلت الدار شفت ام زعير حشا العيب قاعده فى جنب عدود

الحماره كيف كلبة المشد نتمل الجله عليها قميص من قطن مخطط كنت شريتها
من زمن الفرح بعشرة انصاف فلوس جدد وسر موج اخضر واحمر مصبوغ
بحنا وبرسيم سابل للحوذان وفي رجليها حجل نحاس مطلى بقزدير وفي
يديها انابيل نحاس اصفر وفي اودانها حلق طارات فدخلت عليها متشعر بدقن
كيف دقن التيس وشوارب مطرطره كل من شافهم خري على وجهه فقامت
ام زعبل ومسحت يديها من الجله ولاقتني بالحضن لا تقول الا ابقينا كيف
الكلاب الجياع وبعد ما لاقتها ولاقتتني ولاطعتها ولاطعتني وعملت معها
ما تعمل الرجال مع النسوان يعني ديك القضيه وانتم تعرفوا اني حدق وشاطر
وما يطلع مني عيب وقال انتم شفتم ايه من الفرح وبعد دا ودا فاني
اغني البهائم والحراث التملت الغنا من ابويه وجدي وانا فصيح قوي فقلت
يا ام زعبل ربنا يخلي لي شلشولك وقامت لي انا بانطلع حلقك بيشتم الناس
وهو مايل على اودانك وانا رايح اغني عليه فقالت لي يا بوزعير وحيات
شاربك الي كيف شارب الكلب لا تغني لان اوحشنا غناك وقصايدك
ومرادنا نسمع قصيدتك الي تقولها في الحلق فشنت لها اقول صلوا على طه الرسول

الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بالارطالات
تبيع الورد في الصبح فيصك زين الطرحه * عسى الله انضرك الحمر تجمع عندنا الجلات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
الا يا بو قميص هر بيط عسى الله انضرك في الغيط * وادي لك قدح مخيط وادي لك شمال كرات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
واعطي لك شمال خبيز واعطي لك قدح حمص * واحمل لك على ميز نطره دخن في الصبحات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
انا حبك كما العجله وبازنك حد البجله * تعالى الغيط بلا مهله وتفرج على البلات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
تعا عندي وكل حمصيص وجيلك يا مليح حميص * وا قلي لك كما في بيض بزيت مع رحط الزيات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
انا اخشى ان اقول تعال تعاون على الحال * تعال امشي وخل تعال ادوج باب دارنا وبات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ودمس لك انا القمر وجيب لك فول من المضمر * وكل واشرب كما نشربه تخليك تشبه العنزات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وحطلي جنب مدودنا ما لا جنب جلتنا * وورديك بوزبقرتنا وهي تقرش من الفضلات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وخليك كيف ابو بربر وتبلفش وتبخر * وتستقلب وتتغندر وتبقى لي كما الكليات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وتعطيه لي وتبكه وحطو فيك وانتكه * وانا ابو عفره ابوكم ابيع المش في الحارات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

ويا شاعر وشيخ الكفر تشدت قصيد كيف الزفر * وقومي وارقصي يا لعفر ودا اليوم عيد ولذات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وحط اللحم والفشه على الكانون والكرشه * وتتغدى وتتعشه وتعزم دار ابو كرات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وختم قولنا الا يا ناس نصلي على النبي يا ناس * ولتشفع لي وجيع الناس وينقذنا من الهلكات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

فقامت ام عفره من الفرحه ورقصت هي وابنها عفره واخوه فرقع الليل حتى وقعت اكرا من على راسها وسمعوا الجيران فجونا وقالوا يا ابو عفره سمعنا القصيد سمعتهم اول وثاني وقالوا عنلا يسمع بك نصراني البلد ويقربك وتبقى تجالس جداه ركبه بركبه ويقول لك يا عريس تقول له يا سيدي وان شاء الله يعطيك كيلة شعير وقدح قمح فقلت لهم ان اعطاني شئ انعمت عليكم فلما تمت الفرحه بنشد القصيد قامت امرعير للسقط تطبخه فقالت لي يا ابو عفره بقي لك عليك البخور فقلت لها وحيات شلشولك ما بقي معي فلوس وانا قشلان فقالت لي من خلي شئ لعقب الزمان ينفعه انا خليت في الصومعه اربع بيضات خدهم ولا تقل لحد فان الناس تحسدنا الناس وخصنا اليوم عيد وانت اليوم يا ابو عفره في نعم كبيره هات لنا ببيضه مرسين وببيضه محلب وبيضه نعناع وبالبيضه الرابعه عصفر بن عفر بر ثياب ابنك عفره واخوه فرقع الليل حتى يبانوا بين اولاد الكفر ويبقى لهم الكلام عندنا والحمد لله عندنا شويتر زيت حار ادهن بها شعر راسي وتدهن بقيتها دقنك وشوارب وتنط بين الجدعان وتتبط على شلشولك كيف شلشول العنز السمان فخذت الاربع بيضات وجبت لها ما طلبته ولقينا في كرش الجدي شويتر فول مصحح خذته ام عفره وفركته بالفراكه حتى بقي مثل البيسار وقلت للطعام بتوم وزيت حار وصبته عليه حتى بقي مثل طعام المنشد وجوني الشباب والجدعان يغنوا حولي ويخبطوا بالنبابيت نفرقت عليهم ام عفره لقانة طعام فاكلوا وفرحوا ولعبوا ورقصوا والمراد بينهم وكان يوم ما جاد

يجي مثله نقا لواله اصحابه زمانك يا بوعفم ولى وراح ومات الناس وجاروا
علينا الظالمين (وقيل) طلع رجل فلاح يورد لاستاذه المال فانزله في محل
فيه طاقة مفتوحه تشرف على حريم الامير فلما جا الليل قال الفلاح في نفسه ياترى
يا ابو معيكه ما الاماره لما يختلوا بنسوانهم كيف يفعلوا ولكن انظر كيف ما يفعل
استاذك مع امرأته ولما تروح الكفر احكي لام معيكه تعمل ذالك العمله مثل
ما تعمل الاماره وتحضنك ام معيكه بذالك العمله ولا بد ما يرطنوا على بعضهم
البعض بالتركي وانت تتفرط بقية ما يعملوا بحريمهم وتبقى تقول للجدعان
انا بقيت مثل الاماره وتبقى ام معيكه مثل امرأة الامير استاذ البلد ثم
انه صبر الى الليل ودخل الامير الى منزله فقام الفلاح ونظر الى الطاقه فاذ قد رأى
الامير جالس على سرير من قفص والاعلاج الى يقولوا عليه الناس وعليه الفرش بلع
وجلست زوجته على سرير مثله وصار الامير يلاطفها ويحاكيها بالكلام ما يعرف
بيقولوا ايه شردم بردم بالتركي ومره بالعربي الى ان اشتهى منها قضاء الحاجه
فخذ من جنبه ورده ورماها بها فجت له بحسنها وجمالها على احسن حال واتم سرور
وعملوا ذالك العمله وكل واحد منهم نام على سريره ثم لما اصبح الصباح اخذ
الفلاح خاطر استاذه وتوجه الى بلده فلما طلع الكفر لاقته زوجته ام معيكه
ومعها زلعه ملانه ماء من البحيره فسلمت عليه وجلست هي واياه في منادمة
مثل منادمة العروسة وبرية الجنود الى ان سالته عن المدينه وعلى استاذ
البلد فقال يا ام معيكه المدينه مليحه ولا استعجب الشباخ فيها لانهم
لا يشخوا الا في نقره [illegible] بينه كيف دارنا ولا مليح كان الا امرأة استاذنا
تشن وترن وعليها خلقاين ملاح كيف نوار الفول ونوار ابو النوم احمر واصفر
وعلى راسها حق مثل حق الى البسه في ايام العيد الى شريته ايام الفرح بنص فضه
جلد وفي ايديها اساور صفر الله اعلم انهم من سباط النخل ولابسه قميص احمر
محنى مثل الزكيبه الى يعبي فيها الفول الاخضر وفي سيقانها حجل كيف حجل
ام دعموم الى شريتها بنصف فلوس جديد ولابسه شاش خضرا والله اعلم
انها صبغتها ببرسيم ويا حسنها وقت ذالك العمله الى يعملوها الرجال مع النسوان
فخاطري يا ام معيكه تعملي لي حته لها حتى يبقوا يقولوا الناس ومشايخ الكفر بقا
ابو معيكه مثل الاماره فقالت له يا بومعيكه احكي لي على الى شفته من امرأة
استاذك فقال لها لما رحت المدينه وطلعت للاستاذ حطني في مطرح فيه
طاقه تطل على الحريم وعلى المطرح الى نايم فيه الامير فصبرت لما دخل الليل
وبقيت الخنس كيف القلب فرايت الامير استاذنا قاعد على خشب سود

مربوطه بشراميط لها اربع رجلين كيف عريش المغات الى نخمله ايام البطيخ في الغيط
وقعدت امرأته على خشيه كيفها مثل جرادة الغيط وربما يكلمها بكلام الجنادي
يقول لها شلضم بلضم تقول له شقلب مقلب حتى اشتهى منها ذاك العمله لحدفها
بنواره حمرا مثل نوار ابو النوم فقامت تشن وترن حتى جت الى عنده وعملها
العمله فقالت له ام معيكه وحيات شاربك الى مثل شارب التيس لا عملك
مثل عملة الاماره وتنفش على مشايخ الكفر اصبر لما يجي الليل تبلغ مرادك قال
فصبر الفلاح حتى دخل الليل فقال لها اقعدي في مدود الحماره وانا اقعد في مدود
البقره فصادك ففعلت وقعدت في المدود وعليها الثلاثيت والشراميط
واثار الجله فيها وفيها الشخاخ ايضا قال فلما خطر للتعيس لنا صبيه قضاء الحاجه
بعد ان صار ينادمها بكلام مثل نبح الكلاب شياط وعياط وسؤالا تتنحى عن البقره
وعن الجله والشوذ والجله وغير ذلك اراد ان يرميها بشيء مثل ما فعل الامير فحط
يده على المدود فرأى قالب طوب محروق فخذه وحدفها به فوقع في وسط راسها
ففلقها وسال الدم فصرخت باعلا صوتها فاقبلوا الجيران والمشايخ ووصل الحاكم
الخبر فاقبل هو وطائفته وسال عن القضيه فاخبروه بها فامسكه وضربه ضربا
موجعا واحضروا للمرأة جراحيا فقطب راسها ومكث يعالجها شهرا كاملا الى
ان برئت فانظر الى هذا التعيس النحيس وقلة عقله الخسيس كيف ظهر من ملاعبته
لزوجته الهم والنكد وقيام الغارات في البلد (واتفق) ثلاثة انفار من خوفة
الريف ارادوا الطلوع الى المدينه فساروا حتى قربوا منها فقال كبيرهم وصاحب
الراي منهم اعلموا ان مدينة مصر كلها جنادي وعسكر يقطعوا الروس واحنا
فلاحين وان لم نعمل مثلهم ونرطن عليهم بالتركي والا قطعوا روسنا فقالوا
له اصحابه يا بو عمر احنا ما نعرف شيء بالتركي ولا غيره فقال لهم انا تعلمت
التركي زمان من مدة ماكنت اقعد حدا المشد والنصراني ركبه بركبه حتى تعلمته منهم
فقالوا له اصحابه علمنا التركي فقال لهم اذا طلعنا المدينه نروح الحمام الي
يقولوا عليه نعيم الدنيا نستحما فيه ونغسل جلودنا ويقولوا ان فيه نقره غويطه
يشخوا ويخروا فيها وبعدما نخرج من نعيم الدنيا نقف ونلتف في بردنا ونتم
امرنا اقول لكم قرداش محمد قولوا هاه نوار اقول لكم معاكم شيء برمنغار قولوا
يوق يوق فيخاف صاحب الحمام ويقول لعقله دول جنادي غرب يقطعوا الروس
ويخلينا نخرج من غير فلوس وتهيبنا الناس ونبقى في مصر مثل الاماره ونشيع
خبرنا عند الكفر اننا امارة نرطن بالتركي فيحا فوق منا مشايخ الكفر ولا يبقى
لهم علينا كلام ابدا فقالوا له اصحابه دي شوره صواب يا بو عمر قال

فساروا حتى وصلوا مصر وسالوا عن الحمام فدلوهم عليه فدخلوا وشلحوا الزعابط
ورموا البرد والشلاتيت وصاروا عريانين مثل ما يفعلوا فى البرك والابيار
فقال لهم صاحب الحمام استروا انفسكم فارادوا ان ياخذوا بردهم ليستروا بها
فرمى لهم صناع الحمام فوط قدمين دجيج الحمام فربطوها على عوراتهم غصبا عنهم
وصارت عوراتهم فى الغالب مكشوفة فرايورهم مدليه ودخلوا الحمام مثل فحول
الجاموس والمعزا والتيوس حتى بقوا داخل الحمام وغسلوا ما عليهم من الوسخ
والنجام وغطسوا فى المغاطس مثل الثيران والجديان وخرجوا مع بعضهم
البعض وقد تزلزلت منهم الارض وهم فى حالة الاثوار وصور الابقار حتى لبسوا
الزعابيط وتلفعوا بتلك الشلاتيت وسحبوا تلك النبابيت على الاكتاف وارادوا
الخروج بالاخلاف قال فصاح عليهم صاحب الحمام هاتوا الاجرة يا عرصات
فالتفت كبيرهم وقال لاصحابه قرداش محمد فقالوا هاه ثواد فقال لهم معاكم
شئ برمنقار يعنى جديد فقالوا يوق يوق يعنى ما معنا شئ فقال لهم
صاحب الحمام اى وقت يا تيوس تعلمتم التركى المعكوس وبقيتم اماره وما هذا
التركى الذى يشبه الخرا اقسم بالله لا يخرج منكم عرص حتى يحط الاجرة
بزياده قال ثم انه امر اصحابه بمسكهم وضربهم واخذ البرد منهم وخرجوا من
عنده وتداركوا بالاجرة وقد اقترضوها من اهالى الكفر وخلصوا بردهم
وتوجهوا الى حال سبيلهم (وطلع رجل منهم) المدينة فصادف الجلاد ينادى
فى الاسواق على رجل استحق القتل فظن انه ينادى العونة يا فلاحين ففر
هاربا الى الكفر فرأى جماعة من بلده يريدون الذهاب الى المدينة فقال لهم
لا تطلعوا المدينة فانهم ينادوا فيها العونة والسخرة فقيل انهم مكثوا ثلاث
سنين ما يطلعوا مصر خوفا من العونة والسخرة فانظر الى قلة عقولهم وخساسة
رايهم (وطلع رجل منهم) قرية على شاطئ النيل يوم الجمعة فرأى الناس قاصدين
الصلاة الجمعة فاعتقد انهم ذاهبون الى ضيافة او الى هرهوبة صنعها لهم امير البلد
فذهب الناس الى ان دخلوا المسجد فذهب معهم وجلس فى بعض الصفوف الى ان
اقبل الخطيب وصعد على المنبر قال فصار الفلاح ينظر اليه وهو مرتاب وخائف
ومتحير الى ان فرغ الخطيب واقيمت الصلاة وسمع ضجيجهم بالتكبير والتهليل
فاعتقد انها هوجة وقعت بينهم قال فصاح الفلاح يا آل سعد يا آل حرام
الله وكبر وسحب النبوت وخرج هاربا وهو يقول خذوك القوم يا بو
كنكوت ولم يزل فى خوف وكرب حتى وصل الكفر فلاقاه اصحابه وسلموا
عليه فرأوا احواله متغيرة فقالوا له ايش اصابك ودهاك يا بو كنكوت

فقال

فقال لهم ياما قاسيت في دي السفره كانوا القوم مرادهم ياخذوني ولولا اني
سحبت النبوت وخرجت هارب والا كانوا قتلوني فقالوا له ايش الخبر يا بو كتكوت
فقال لهم وقعت هرجه كبيره ولا سلمني الا الله والشيخ ابو طبل فقالوا له احكي لنا على
ما جرى عليك فقال لهم دخلت بلد على البحر الكبير فريت ناس كتير رايحين زي
قطايع الغنم فقلت لابد ماهم رايحين لمضيفا فرافقتهم ورحت معاهم حتى دخلت
دار كبيره فيها حجاره طوال منقا مرزي الدعايم بتوع العريشه الي نعملها في الغيط
وعليها قناطر مبنيه زي قناطر الصابونه وفيها حبال مدليه مثل حبال التيرانه
في كل قنطره حبل وفي جنب حيط من حيطان الدار خشبه عاليه لها سلالم زي سلالم
الغرفه الي نعملها على البيوت من الكرس والطين ونلطخها بالوحل من اولها
لاخرها والخشبه دي لها راس كبيره زي الناطور الي نعمله في المقاتي وقصادها
عريشه صومعه زي العريشه الي نخرص عليها الدره والحمص في الغيط ولها سلالم
فطلع فوقها جماعه وقعدوا فيها ساعه وقام واحد منهم وحط ايده في ودنه وقال
كلام ما حد يعرفه الا ولد خرج من حاصل في جنب الدار عليه عمامه كبيره الله اعلم
انه قاضي ومعاه سيف سلحبه وشق من بين القوم بقلب قوي ووجه كاشر
زي وجه تيس الوسيه وما صال الطالع على السلالم سلم سلم حتى قعد على السلم الاخراني
وهو آخر السلالم وبقت القبه فوق راسه ونضر للناس الي تحته وبهت فيهم
وكشر عن انيابه وهو ساكت غضبان كل من شاف شواربه شح على روحه وحيات
الحاكم ولا عمري شفت اقوى قلب منه ولا استدحيل ولولا انه راس صابيه ما كان
عمل دي العمل وطلع وحده وسحب السيف على القوم وبعدها واحد من الجماعه الي على
العريشه قصاده قام بقلب قوي وصار يشتمه ويسبه ويقول له كلام كتير
فانحمق لاخر منه وشتمه ولعنه ووقعوا في بعضهم البعض شتم وسب ولعن
وبعدها نزل الراجل الي على الخشبه وهو وساحب السيف يعارك في الناس الي تحته
قاعدين فلما شافوه نازل لهم بالسيف قاموا على حيلهم وصرخوا وقالوا الله وكم
وقامت العيطه وكنت انسحب بنبوتي وخرجت هارب وما سلمني الا الله وبركة الشيخ
ابو طبل فقالوا له اهل الكفر والله يا بو كتكوت لولا عمرك طويل ما سلمت من القوم
وكانوا قتلوك وانت تعرف ان بلاد البحر كلها قوم والقتل عندهم من خطوه
فقال لهم يا شيوخ الكفر ما عدت اروح بلاد البحر طول عمري فانظر الى قلة
عقل هذا الفلاح ومن جهله وصفاعته ذقنه لا يدري الصلاه ولا الجامع من قيام
المهجه (واتفق) لثلاث نسوة من عوانس مصر خرجن يتفرجن في ازقة
المدينة فلقين رجلا من تحوف الريف وهو في حالة رذيلة وعلى راسه

قفص ملآن من الفراخ يريد ان يبيعها ويسد بثمنها مال السلطان فقالت احداهن
للاخرى ما تقولى فى الى ياخذ الفراخ من الفلاح ده فقالت الثانيه وانا اخذتها بر
وقالت الثالثه كل ده ماهو شطاره الشطاره الى تبيعه مثل بيع العبيد او المعلاقي
او الجرافه (قالت انا الاولى) التى التزمت باخذ فراخه اقبلت اليه ورغبته بزيادة
فى الثمن قال فمضى معها الى ان اقبلت على درب من دروب مصر وبيت نافذ له باب ثانى
من جهة اخرى وقالت له اقعد هنا على الباب ده فانه باب بيتى واصبر حتى اجى لك
بالفلوس ثم اخذت القفص بالفراخ ومضت الى حال سبيلها من الباب الثانى ولم
يزل الفلاح جالسا على الباب ولم يات احد وراى الناس داخلين خارجين من
ذلك الباب فتحير فى نفسه وقال لابد ان دى دار كبيره وسال عن المراة التى اخذت
الفراخ فقال له الناس يا سقيع الذقن وقليل العقل البيت ده نافذ وكم ناس
رجاله ونسوان داخلين خارجين قال فتمشى الفلاح فرآه دربا كبيرا نافذا من
الباب الثانى فاحتار وصاح ولطم على وجهه واقام الصراخ فبينما هو فى هذه الحاله
اذ اقبلت عليه المراة الثانيه وقالت له ايش اصابك ودهاك يا مسكين وانت
رجل غريب وعليك مال السلطان وضحكت عليك دى العاهره واخذت منك الفراخ
وتركتك فى دى الحاله فقال لها الفلاح وحياة عيونك يا مليحه ما معى غيرهم
فقالت له امش معاى حتى اوديك بيتنا واعطيك شى من الدراهم صدقه عنى
فقال لها الفلاح الله يجزيكى خير وانا لا اخو لما اروح الكفر ازورك بحزمه
ملوخيه وحزمة بصل وشويه قزله تبقى صاحبتى وان شاء الله اجيب لك كمان
عشرين قرص جله قال فاخذته وسارت الى ان اقبلت الى بيت كبير عالى
البنيان فسالت عن صاحبه فقالوا لها هذا بيت الامير فلان وقد توجه
هو وطائفته الى بعض المتنزهات قال فدخلت البيت فلم ترى فيه احدا
سوى رجل كبير بواب فدخل الفلاح معها الى وسط البيت فرات فيه بيرا
من الماء تملأ منه الحريم قال فوقفت ونظرت فى البير ثم انها ولولت وصرخت
وبكت بكا شديدا فقال لها الفلاح بتبكى ليه يا مليحه فقالت له يا فلاح
كبدى مشوم وقعت اساورى الذهب فى البير فقال لها ما عنا فيش
انا انزل واطلعهم لكى من البير فقالت لم تعرف تغطس فى الماء فقال لها ادى
صنعتى وطول عمرى فى الهم والغم وخصادى السنه الاخرى فيها الضعف والقوى
ثم قال لها اربطينى فى حبل البكره ودلينى فى البير ثم انه قلع ثيابه التى كانت
عليه ودلته فى البير الى ان وصل الى الماء فارخت الحبل عليه واخذت ثيابه
وتوجهت الى حال سبيلها هذا ما كان منها واما ما كان من الفلاح فانه لم يزل

يغوص في الماء ويفتش في قعر البير حتى كل ومل واسود جلده من برد الماء وكانت ايام
شتاء ولم يرى شيا قال فلما اشتد به الامر صار يصيح وينادى المرأة فلم يجبه احد فبينما
هو في هذه الحالة اذ اقبل الامير وطائفته فسمعوا الفلاح يصيح في البير وينادى طلعيني
يا صبيه طلعيني يا مليحه دا ما هو مليح منك ودا عيب عليكى وانا مت من الصقيع والبرد
فقالوا له الجدعان انسي ام جني فقال لهم والله يا وجوه الخير ما انا عفريت انا راجل
فلاح وحكى لهم قصته قال فدلوا له الحبل فتعلق فيه فلما رأه الجند وعلموا انه انسي
قالوا دا حرامي وقع في البير فنزلوا عليه بالضرب والصك وطردوه وراح يجرى وهو
عريان بردان جيعان سقعان وهو لا يعرف اين يذهب قال فاقبلت عليه المرأة
الثالثة وهو في هذه الحالة وقد صارت الاولاد تضربه ويقولون مجنون فوضعت يدها
على ظهره ومسحت وجهه بمنديل كان معها وسترته بفوطه وقالت له امرك الى الله
يا مجنون يا حزين ضحكت عليك نسوان مصر العواهر وخلوك في دى الحالة وانت
رجل غريب وعليك مال السلطان قال فبكى الفلاح وشكى وقال لها يا مليحه ويحياتك
شلشولك خدوا فراخي وثيابي وحرامى الليف وشدى ومركوبي وما عدت اصدق
كلام نسوانها ابدا فقالت له لا تظن اني من عواهر مصر انا عمرى ما خرجت من بيتي
غير النهارده ولما رايتك في هذه الحالة شفقت عليك ومرادى اعمل معك جميل واخدك
الى بيتى والبسك لبس مليح وخليك شلبي ظريف واعمل لك ملوك وحط المشخص
في حرامك وعلمك التركى وتبقى تقول شندك بندك على قلاص جماص فقال
لها الفلاح انا في عرضك يا مليحه تعلميني جندى وتعلميني التركى وانا على الحلال
من ام شعيب كل من عاد يقول لى كانى مانى في زمانى قطعت راسه ولو كان ابوعو كل
شيخ الكفر فقالت له سر بنا يا فلاح على بركة الله تعالى قال فسار معها الى ان اقبلت
الى منزلها فادخلته فيه ووضعت بين يديه الطعام فاكل وشرب وارتاح في نفسه
ثم انها اتته بماء سخن وغسلته بالليف والصابون والبسته قميص وزبون
وشخشير جوخ وقاووق قطيفه وشاش قصب وحزمته بحياصه وخنجر في حزامه
وحطت دقيته وشواربه وعملته ملوك حليق واعطته بابوج سعدى ومحرمه في
حزامه وقالت له اذا كلمك احد فلا ترد عليه جواب بس هز راسك فاذا لح
عليك احد في الكلام بالحماقة وشدد عليك قل له كرته هريف بولك
عيد ولا تزيد عليه غير ذلك فان الكلام دى اصل التركى
اذا عرفتها ما يمضى عليك شهر من الاوان صنجق ويبقى لك طبل
وزمر فقال لها الفلاح انا في جيرتك يا مليحه تخليني ابقى صنجق ويبقى لى
سطوه في الكفر وكل من قال لى كل خره اقطع راسه وابقى ان شاء
الله ازورك بربع كشك وعشر طيور كعك من الكعك

الى تعمل ام شخيبر واعمل لك قاعة واكبسها لك بالوحل والجلة وافرشها بالتبن و
القصل وتبقى تناجي فيها ويبقوا يقولوا الجدعان ابو شخيبر طلع المدينة فلاح
ورجع جندى يقول شندى بندى ويقطع الروس قال ثم انها اخذته
ونزلت من منزلها تمشى وهو يمشى خلفها الى ان اقبلت على سوق خان الخليلي
وجلست على دكان من الدكاكين وصاحب الدكان تاجر من عمد التجار وعنده
انواع الاقمشة من الحرير والديباج والاطلس والشاشات وغير ذلك فقالت
له اريد منك كذا وكذا مما يساوى الف دينار فاحضر لها ما قالت عليه وربطته
فى بقجة كانت معها وقالت يا سيدى يكون المملوك ده عندك رهن حتى اروح
الى بيت الامير واعرض على حريمه القماش واجيب لك الدراهم فقال لها التاجر
توجهى على بركة الله تعالى قال فاخذت الحوايج وتركت الفلاح عنده جالس
(هذا ما كان منها) واما ما كان من التاجر فانه مضى نصف النهار ولم تأتى المراة
فضايق والتفت الى الفلاح وهو فى هذه الحالة فقال له ستك بطت علينا
فهز راسه حكم ما اوصته فكرر عليه التاجر الكلام فهز راسه اول وثان ولم
يتكلم فتضايق التاجر من عدم الكلام وقال لجيرانه من التجار ما هذه البلية
فى هذا المملوك كلما اكلمه يهز راسه كانه ما يعرف الا بالتركى قال فبينما التاجر على
هذه الحالة اذ اقبل عليه رجل عسكرى فقال له التاجر بالله عليك يا سيدى تكلم
لنا هذا المملوك بالتركى وعرفنا عن حاله قال فكلمه الجندى بالتركى فهز راسه فاغتاظ
منه وسل عليه السيف واراد ان يضربه فلما راه يريد ذلك واشتد عليه الامر صرخ
الفلاح وقال له كرته هريف بوك عيد قال فلما سمع منه ذلك نزل عليه بالضرب
فصار الفلاح يتكلم ويصيح بكلام الفلاحين ويقول انا فى جيرتك يا بو زعبل
فضحك عليه الجندى وبقية التجار واستخبروه فحكى لهم على القضية فعرفوا
انها حيلة عملت على التاجر والفلاح قال فقام التاجر وعراه واخذ جميع
ما عليه واراد بيعه للقداف فتشفع له الحاضرون فتركه ومضى الجاهل سبيله
عريان محلوق اللحية وهو فى اتعس حال حتى وصل الكفر ومكث مدة حتى طلعت
لحيته ولم يطلع المدينة بقية عمره وقيل ان التاجر باعه للقداف بعشرين دينارا
ومكث سنة كاملة وتخلص روحه بالهروب ليلا انتهى (وطلع)
رجل من الارياف الى المدينة فحصره البول والغائط فسال عن عطفة يخرا
فيها فدلوه على الازهر فدخل يريد بيت الخلاء وقد دخل وقت الصلاة
فراى الناس مزدحمين على بيوت الاخلية فوقف على باب كنيف
يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة ما هو فيه من الحصر فطال
عليه الوقوف واشتد به الامر فهجم على الرجل الذى فى الكنيف

وقبض على اطواقه ورفع ثيابه وجلس بجانبه وقال له دي نقرة غويطة طويلة
اخرا انا واياك فيها كل واحد من جنب ولم يزل قابضا على الرجل حتى قضى
حاجته على عجل وقام يجري من غير استنجا والناس يضحكون عليه حتى غاب عن
اعينهم ((وطلع)) رجل من الارياف الى المدينة فادركه الغائط فتحير ولم يعرف
لم عطفة يخرا فيها فلما اشتد به الامر مشى الى ابن مصر حرسها الله تعالى
وقال له تضايقت من البول والخرى كلما اردت ان اشخ قدام دكان يمنعو
الناس ويشتموني فقال له يافلاح المدينة مايخرا فيها احد الا بفلوس
ان كان معك فلوس دليتك على عطفة او نقرة تخرا فيها والا تخرا على روحك
فقال له وحياة دقنك مامعاي الا نصين فلوس جدد كنت بعتهم ببيض
خدهم ودلني على محل الخرا وابقى ازورك بعشرين بيضة وجانب كبير قال
فاخذ منه النصفين ودخل به الى الجامع واتى به الى بيوت الاخلية ووقفه
على بيت الخلاء وقال له اذا خرج الرجل ادخل انت تجد شق طويل ونقرة
غويطة شخ واخرا فيها قال فوقف الفلاح على باب الكنيف فسمع الرجل من داخله
يخرا ويقول قطن قطن ويكرر هذه الكلمة قال فسمع الفلاح مقالته
فظن في نفسه ان الشخص في مصر لا يسهل عليه خروج الخارج الا ان قال
هذه الكلمة وصار يكررها الرجل مع الحزق الشديد فاكدت مع الفلاح
وكان السبب في تكرير هذه الكلمة التي يكررها الرجل في بيت الخلاء هو ان زوجته
لما خرج من عندها قالت له اشتري لنا قطن وكان كثير النسيان فصار يكرر
اسم القطن حتى لا ينساه ودخل بيت الخلاء وهو يكرر اسمه حتى وقف عليه
الفلاح وسمع كلامه قال فلما قضى حاجته وخرج من الكنيف دخل الفلاح
وجلس على كرسي بيت الخلاء وصار يقول قطن قطن قطن مثل
الرجل فبينما هو في هذه الحالة اذ اقبل رجل عسكري وطرق الباب على الفلاح
فقال له الفلاح قطن قطن فتضايق الجندي وتنحنح له اول وثاني وثالث
والفلاح يقول انا ما بقول قطن فهجم عليه وصار يضربه وهو يصيح
والجندي يقول له يا نجس الفلاحين ايش قطن قطن وانت في بيت الخلاء
ولم يزل يضربه حتى اقبل الناس عليه وخلصوه منه ولم يزل يجري حتى خرج من
المدينة ودخل بلده فلاقاه اهل البلد وسلموا عليه وقالوا له كيف حال
المدينة يا بو دعموم فقال لهم المدينة مليحة الا انك تخرى فيها بنصين وتاكل
فيها بحديدين وان قلت قطن فطنوا عينيك من الضرب ((وطلع)) اخر للمدينة
فصادف رجلا من غلمان استاذه فعزمه الى منزله واحضر له سمكا صغيرا مقليا
يسميه اهل مصر بسارية له لذة في الطعم قال فصار الفلاح يسف منه ولم يعرف ما هو ثم قال
في نفسه داشي عمري ما اكلته ولا رايته ولا بد يا بو دقيطم اظن انها الكنافة التي يقولوا عليها

تطلع في المدينة وياكلها الاماره وبعدا انطلع الكفر ويلاقوك المشايخ والجيعانا
ويسلموا عليك وتقعد انت واياهم على كوم عفطوز تمشر العصوف وتبقي زي
الكلاب الكواشر وتبقي بينهم تخصص زي تيس الوسية ويقولوا لك يا بوفريطم
قل لنا ما اكلت في المدينة من الطعام الي ياكلوه الاماره تقول لهم اكلت الكنافة
فما يصدقوك ويقولوا تكذب يا عرص فالصواب انك تاخذ لهم عضمتين من عشاها
وتحطهم في شحفتك وبما يكابروك تقلع بالعضم عينهم قال ثم انه سعط في شحفته
شيا يسيرا حتي طلع الكفر فاقبل اليه مشايخ الكفر زي الكلاب السعرانه وهم
دندوف وشحيبه وزعيبر وتروفر وقنافد وزرارة ونياك للحمارة
وسلموا عليه وقالوا له يا بوفريطم اطلع بنا الكوم وقل لنا على المدينة وما اكلت
فيها فقال لهم المدينة مليحة قوي وفيها سنادي كثير قوي وفيها الخبازين الاصفر
خذت منه بجديدين وخذت بجديد مقسلي وخذت من الي يقولوا عليه الحمص
كرشنه الي يبيعوها على المنشية الدالية العريضة زي الجرافة واكلت وتبعت و
اشبرقت حتي خدت كمان وميات الحاكم بجديد ترمس مملح واكلت فول حار فقالوا
له يا بوفريطم كسرت علينا مال السلطان وعيالك ذي منتظرين رزق وانت عمرك بتفتر
لا تحسب حساب الزمان فقال لهم الرزق على الله يا شيوخ الكفر واقول لكم كماني
كلت الكنافة الي باكلها الاماره قال فلما سمعوا قاموا على حيلهم وكذبوه
فقطع شحفته من على راسه واوراهم عضم السمك فلما راوه صدقوه وصدقوا
كلامه وفرحوا وانشرحوا ورقصوا وغنوا حزلي وزغرطت النسوان وقالوا له يا بوفريطم
بقيت زي الاماره وغدا استاد الكفر يتسلش عليك ويقول بقي ابوفريطم سعيد
ويا كل ماتاكل الاماره ومتي ما بلغه الخبر شيعلك الي المعداف او الجرافة وانت تكتم
السر ولا تقول لا لقريب ولا لغريب اكلت الكنافة ابدا فقال لهم يا شيوخ الكفر انتم
تكتموا الخبر وتحلفوا الي على الشيخ ابو طبل في الحفر اكلهم ان لا احد يبيح بهذه
القضية فانظر الي قلة عقولهم وشدة جهلهم (وطلع رجل منهم المدينة
يبيع بيض فاشتراه منه رجل جندي وقال له امشي معي الي المنزل
خذ الفلوس فمضي معه فحصر الجندي البول فراى في طريقه كنيفا فدخله
ليقضي حاجته فوقف الفلاح ينتظره فابطا عليه فدق عليه باب الكنيف
فتنحنح الجندي فصاح الفلاح وقال اعطيني حقي يا جندي
مايحل لك من الله تاخذ بيضي وتخليني واقف على باب بيتك كلما اكلمك
تتنحنح واقام الفلاح الغارات والصياح فاقبل اليه الناس
فخرج الجندي وهو قابض على سراويله ومسك اطواق الفلاح
وصار يضربه بالجرمة التي فيها البيض حتي كسره

على راسه وسال على لحيته وشواربه والناس يضحكون عليه ثم خلصوه وفر هاربا (وطلع) اخر المدينه يبيع تبن فاشتراه منه رجل واعطاه الدراهم فاراد ان ياتي الى رجل صيرفي لينقدها له فسال عن دكانه فدلوه عليه فاتى اليه فلم يجده فسال عنه فقال له ولد صغير انه ذهب الى قضاء الحاجه فقال للولد بالله عليك دلني عليه فاخذ الولد الفلاح وتوجه به حتى اوقفه على بيت الخلاء والصيرفي من داخل فاقبل الفلاح على الصيرفي وفي يده الدراهم وقال له خذ دي الفلوس وبين لي منها المنقوص من النحاس لاني رجل فلاح وعلي مال للسلطان ودلوني على بيتك ده فاندهش الصيرفي واقام وهو قابض على سراويله يضرب الفلاح والناس يضحكون عليه وصار لهم هيجة وضجة عظيمة فانظر الى عدم ذوق الفلاح وجهله وكونه لا يعرف بيت الخلاء من غيره (ومما اتفق) ان قيم الشام في عدم الذوق سافر الى مصر ليزور قيمها في عدم الذوق ويفتخر عليه بعلو همته بالتلعب لاولاد الفن قال فسافر حتى وصل الى مصر واجتمع بقيمها في عدم الذوق فسلم عليه فقال له قيم مصر ما تريد يا قيم الشام قال اريد ان العب معاك في عدم الذوق وكل من كان اعدم ذوق من صاحبه وشهدت له الناس بذلك يكون قيم مصر والشام فقال له حبا وكرامة في غداة غد ان شاء الله تعالى نجتمع سوا يا عديمين الذوق ونلعب انا وانت في عدم الذوق ويحضر قيم الشام وقالوا له العب واجتهد في عدم الذوق قال فذهب قيم الشام واحتطب حزمة حطب كلها شوك وسنط وحملها على اكتافه وشق بها بين الناس في الزحام فصار الشوك والسنط يشتبك في ثياب الناس وهم يستعدموا ذوقه ويسبوه ويلعنوه الى ان تم ملعوبه واتى الى قيم مصر وطائفته وهم ينظرون ما فعل فقال له قيم مصر بقا شي عندك من عدم الذوق غير ذا الفعل قال لا فقال له دي ما هي شطاره لان الناس استعدموا ذوقك لكونك آذيتهم وشوشت عليهم وانا افعل اعجب من ده وهو اني اخلي الناس يستعدموا ذوقي بالورد والنسرين والريحان واشباهها فقال له قيم الشام هذا شي له ريحة طيبة وزي ما تعمل فقال له بكره تشوف ما اعمل فلما اصبح الصباح قال قيم مصر لقيم الشام تعال معي وانظر ما اخبرتك عنه البارحة قال فمضوا جميعا حتى اقبلوا على بياع الزهور فاخذ قيم مصر منه شيأ يسيرا من الورد والنسرين والريحان ومضى هو وقيم الشام والطائفة حتى اقبلوا على ميضاة المسجد والناس في ازدحام وقت الصلاة في بيوت الاخليه فصار قيم مصر يدخل على كل رجل وهو جالس في بيت الخلاء وبيده الورد والنسرين والريحان ويقول له يا سيدي خذ شم الورد وغيره يبقى منها رائحة مبارك واعطني

ماتيسر فتضايق منه الرجل ويسبه ويلعنه ويستقدم ذوقه ويقول له ما اعدم ذوقك انظر انا في خراء الا في نيارز وصار يدخل على هذا وعلى هذا والناس تسبه وتلعنه بهذه الفعلة قال فعند ذلك اقر قيم الشام على نفسه انه عديم الذوق تحت حكم قيم مصر وتحت امره واخذ خاطره وتوجه الى بلاده ونظير ذلك ما اتفق ان ثقيل مصر قصد زيارة ثقيل الشام والمسامرة معه والتعرف والانبساط فتوجه اليه حتى بلغ دمشق واجتمع بثقيل الشام وسلم عليه فاخذه الى منزله ووضع بين يديه الماكل والمشرب ثم انه سأله عن سبب مجيئه فسكت ولم يتكلم مدة ثلاثة ايام حتى اكل جميع ما كان عند ثقيل الشام مما جمعه من الثقالة والرذالة وبعد الثلاثة ايام قال له يا اخي اخبرك عما حصل لي في الطريق وهو اني سافرت مع القافلة فعدمنا الماء في بعض المراحل فتوجهت نحو جبل بالقرب منا فرأيت في جانبه بئرا مهجورة وفيها ماء كثير فقلعت ثيابي ونزلت فيها ولم ازل نازل نازل نازل وصار يكرر هذه الكلمة على ثقيل الشام وهو نازل في الاكل والشرب مدة ثلاثين يوما فقال له ثقيل الشام يا هذا ما بقي عندي شيء تاكله وتشربه ويلك يا اخي ما فعلت في البير فقال له فلما انتهيت الى قاع البير وجدت فيه جرطاحون فوضعته على كتفي ولم ازل طالع طالع وصار يكررها فقال له ثقيل الشام امسك ما معك انت مكثت مدة ثلاثين يوم وانت نازل في البير من غير شيء فكيف طلوعك وانت معك حجر طاحون اشهد لك انك قيم الثقلاء في مصر والشام وانا من تحت يدك وانصرف عني قال فاستخفه وانصرف بعد ان كتب له محضرا بذلك انه قيم مصر والشام في الثقالة والرذالة وعدم الذوق * واعلم ان اهل الثقالة على انواع فمنهم من يكون ثقيل الذات خفيف الصفات وبالعكس ومنهم من يكون ثقيل الذات والصفات

(قال الشاعر)

وثقيل قال صفني قلت ايش فيك اصف كل ما فيك ثقيل حل عني وانصرف

وقال آخر وثقيل كلما ابصره الكون مظلما حط في الشرق رجله مالت الارض والسما

فمن كان فيه هذه الثقالة ويحوي هذه الرذالة ينبغي الرحلة عنه والفرار منه

(قال الشاعر)

لارحل عن بلادك الف عام * مسيرة كل عام الف ميل
ولو كانت بلادك الف مصر * ويروي كل مصر الف نيل
تكدرت الخواطر منك حتى * شفينا من ديارك بالرحيل
وانشد في فراقك بيت شعر * تلقاه فضيل عن فضيل
اذا حل الثقيل بارض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

(واشتكى بعض الفلاحين) رجلا الى القاضي وادعى عليه انه نزل غيطه بغير اذنه وحش منه برسيما لدابته فاحضر القاضي الرجل المدعى عليه وسأله فقال نعم نزلت غيطه الا انه ضربني وشوش على فقال القاضي للفلاح واذا نزل غيطك تضربه فقال الفلاح انا بيلك يا قاضي تور وانت اذا انزلت غيطي يا هلتري اضربك اكسر قرنك والا اخليك تطلع سالم والا ترعى غيطي فقال القاضي اخرج قبح الله ذاتك ما اجهلك وما اقبح هذا المثل الذي تشبهني به ثم انه طرده ولم يسمع له كلام * (ويقرب) من هذا المعنى ان رجلا فلاحا دخل على الامير عمار بن بقر وانشد يقول

يا ابن بقر ما انت الا تور والناس حداك عجاجيل
لما تقل بقرونك هاش يولوا الكل جفافيل

ومعنى هذه الكلمات انت ايها الامير في هيبتك وجلالتك وعظم قدرك مثل الثور العظيم المهاب والناس حولك مثل العجاجيل اى مثل العجول الصغار فاذا التفت اليهم ولو امن هيبتك مثل ما ان الثور اذا التفت بقرونه وهاش في العجول ولت من بين يديه فانشد هذا الفلاح على حسب ما لائم حاله وناسب جهله وهباله

اقول وعجاجيل على وزن هبابيل كما هو في القاموس الازرق والناموس الابلق واستعملها في هذا المعنى كما قال بعض جهلة الريف موالبا

رايت ام زغابه في المعازيل تطحن وتعجن وتغزل بالمغازيل
وحولها شفت سرب من عجاجيل وهم ينطوا وهي تلعب حناجيل

والعجاجيل جمع عجل كما ان الحناجيل جمع حنجول على وزن هبول وهو مشتق من الحنجيل وهي لغة ريفية فانهم يقولون فلان يحنجل اى يجري جريا خفيفا وينط نطا خفيفا ومعنى هذا الكلام اني رايت محبوبتي هذه وهي ام زغابه في معزل من المعازل تتعاطى فيه الطحن والعجن وتغزل فيه ايضا وحولها العجول يلعبوا وينطوا وهي الاخرى تحنجل بينهم وتلاعبهم فدح هذا الفلاح مناسب لحاله ومقصور عليه وشبه الشئ منجذب اليه * (وطلع) رجل منهم المدينة لقضا حاجة من استاذه فلما قضاها ورجع الى بلده لاقاه اصحابه وسلموا عليه فقالوا كيف حال المدينة فقال لهم المدينة مليحة فقالوا له يا بوعوكل اشبرقت فيها فقال لهم اشبرقت شبرقة مليحة والشبرقة الذي يقولوا عليها الحصة خذت منها بحديدين وسمعت ولد ينادى في المدينة حلو وبارد يا تين فخذت منه عشرة [illegible]

بجديد وحطيتهم في مترد وعفصتهم بيديه وشربت عليهم جرة موية من البحر
فقالوا هنيا لك يا بو عوكل لكنه تضيع وتبعزق ولا تخلي فلوس واحنا
خايفين ينكسر عليك مال السلطان فقال لهم يا وجوه الخير الدنيا زايله
يا ما ضيعنا وصرفنا فضاضي وجدايد (وقال رجل فلاح لصديق له)
يا فلان عملت السنه كعك في العيد فقال له عملت ربعين بالكيل الكبير
فقال له حطيت فيهم ايدام كتير فقال له حطيت بجديدين فقال
له افقرت نفسك وكسرت عليك مال السلطان ثم قال له فهل بقي شي
عندك منهم قال بقي عندي واحده اخش بها الحاره من كفي دنديها
الى كفي هربيطه (وارسل بعض الامراء) غلاما له فلانا بنصف فضه وقال
له اشتري لنا به كعك بسمسم وهات عليه زعتر نفطر به فاخذ النصف فضه
واشتري باربع جدد كعك واربع جدد زعتر من غير دق ووضع الجميع
بين يدي الامير فلما راوه الحاضرون ضحكوا عليه فاغتاظ الامير وطرده
وتوجه الى بلاده * (وارسل بعض الامراء ايضا غلاما له قديما) *
وقال له خذ دي الدراهم واشتري لنا دبه يعني بطة جلد يوضع فيها
السمن والعسل فتوجه الغلام الى الرميلة وسال عن بياع الدبب
فدلوه على القرداتي فاتاه ورآه بالقرد والدب والكلب فصبر عليهم حتى فرغ
من لعبه فتقدم عليه وقال له مرادي تشتري للامير دابه مليحه فقال له
القرداتي عندي واحدة مليحه ربح بنا نفرج الامير عليها قال فمضى الغلام
هو والقرداتي ومعهما القرد والكلب والدب حتى دخلوا بيت الامير الذي ارسل
هذا الغلام وكان في ذلك الوقت الامير جالسا هنالك وعنده جماعه
من الاكابر جالسون فلما رآهم القرداتي قام يدق في الطار وجعل القرد
والدب والكلب يرقصهم ويلعبهم فقال له الامير ايش ده فقال له القرداتي
ان خدامك ده جاني واخبرني ان مراده ان تشتري دبة نجيبك بها والقرد
والكلب تتفرج عليهم وتشتري ما تريد قال فضحكوا الامارة فامر
الامير بضرب الغلام وحبسه ثم ان الاكابر الذين
كانوا جالسين عنده تشفعوا فيه فاطلقه وطرده من
عنده وتوجه الى بلاده واحسن الامير للقرداتي وامره بالانصراف
فانصرف * (ورايت رجلا فلاحا) * يتكلم مع صديق له
ويقول له يا فلان انت تعرف تقرا فقال له ايوه فقال له ايش هي الذي يرق
فقال له به ره به قاف واو فقال له ايش عرفك انها واو فقال دلتني
عليها النقطة التي فوق الواو فقال له ان عشت تبقى فصيح لاهو الذي

« وقال رجل فلاح لآخر » اسمع ما قالوا العشاق فقال له ما قالوا يا بو دعموم فقال شعر مفقص لا له اول ولا آخر لقد اقول

جنيتي خلويت به انت — منزلة يا طالعة القمر وشن

فقال له داكلام موت فقال له دا كلام هاربن الرشاه الى وقع في الحب لقفه التمساح نزل عليه الوحل في جامع الطيلون الى نار برد وسلام فقال له يا نعم يا نعم كذلك عيسى ابن ابي طالوب جرى له زى ما جرى *

« وصلى رجل فلاح » فلما نوى وقرا الفاتحة حط يده على راسه وقال آه يا راسي فقال له رجل آخر عارف بطلت صلاتك فقال له انا ما باشكي لك انا باشكي الى ربي وجع راسي ثم انه ركع وصلى واتم صلاته ولم يبالي بالكلام ولا اعتبر بقول هذا العارف * « وصلى رجل آخر » من الفلاحين فاحرم بالصلاة وقال يا رب خلي لنا بهايمنا وكلابنا وقططنا وحميرنا وطلع لنا زرعنا وخلي لنا ولدي عنطوز فقال له رجل عارف بطلت صلاتك فقال له الفلاح انا سمعت هذا الكلام من ابوي وجدي قبل موتهم * وصلى آخر فلما جلس للتشهد الاخير جاء ولده وقال يا بويه البقرة روحت من الغيط فقال وهو متلبس بالصلاة روح وخذ شخيبر يحطها في المحلاب ثم سلم بعد ذلك من الصلاة * « وصلى رجل آخر » فلما جاء للتشهد جاء ولده وركب على اكتافه وحكم على قفاه وامسك لحيته بيده وفيها الوحل والجلة فقال له يا ولدي انزل عني حتى اتم صلاتي ثم انه تشهد واتم صلاته فقال له رجل عارف بطلت صلاتك فقال له الفلاح سمعنا ابوي وجدي يقول حديث عن ام زنابه جدتنا القديمة من لا يسقع دقنه ما يربي ابنه واولاده الصغار مثل اولاد المعز وابوهم كيف التيس ينطوا عليه فقال له الرجل قبح الله الابعد وجده وامثاله ثم تركه ومضى * « وصلى رجل منهم » فلما كبر رفع يديه وقال والتين والزيتون والنارنج والليمون وقبر معيكة المجنون جيتك يا رب بجبيتي وجلتي وقفاي ومركوبي لا تردني يا رب خايب لا من رحمتك ولا من رحابك الله وكبر وركع واتم الصلاة المشروبة « وصلى آخر » فلما قرا الفاتحة وبلغ قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم ابدل النون ميما وقال اهدموا الصراط المستقيم فقال له رجل عارف بطل وخلي الصراط بلا هدم قاتل الله الابعد * ❊ *

(وصلى) فقيه ريفي بجماعة فلما قرا الفاتحة واتى الى آخرها قال ولا الضالون فقال رجل من خلفهم آمون فالتفت اليه الامام وقال له لحنت قال له بل انت كفرت فانه ورد في حديث زعيطهم ام معيطهم ام شلاطه عن ام خراطه المطرطه بنت خرا المس وجميع اكل الضنف قالت اذا ضرط الامام طرب المصلين وجبات راسك (وحكي) ان رجلا من جهلة الاعراب صلى باخر فقال هذا اللفظ شنشنير كيف يشنير جماعة راكبين قبل

جنتهم طيرا ابابيل بخلفهم مثل القطيع ثم ركع وركع الاخر واتما صلاتهما التي لا فيش ولا عليش (وصلى آخر من الفلاحين) فلما سجد لدغه عقرب فضرط من شدة اللدغه ثم رفع راسه بسرعة وقال يارب انت تعلم اني ما ضرطت بخاطري الا غصب عني سامحني يارب ثم انه تشهد وسلم

* * * * * *

وصلى آخر فلما سجد رأى تحته انخفاضا بجبهته فنابه فرجله ووضعه تحت جبهته واتم صلاته عليه (وصلت امراة من نساء الارياف) فلما تلبست بالصلاة جاء كلب واستد من جانبها رغيفا فامسكته وقبضت على اذنه وشتمته وهزته وخلصت الرغيف من فمه واتمت صلاتها

* * * * * *

وكان بعض الاولاد يقرا في الكتاب فجاءت امه واشتكته للمؤدب وقالت له ياسيدنا الولد ده بيئذيني ويشوش علي وانا اصلي واذا ركعت شلح ثيابي وشخ علي فقال له المؤدب حق ما تقول امك قال نعم ياسيدنا فقال له ما السبب في انك تؤذيها وهي في الصلاة فقال له ياسيدنا لان عبادتها لا فيش ولا عليش لكن اسألها انت ما تقول في صلاتها فقال لها المؤدب انتي تحسني الصلاة فقالت كيف لا احسنها وانا اعرفها من ايام جدي وجدة جدتي فقال لها اقرئي الفاتحة فقالت

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اذا جاءك اليحي نصر الدين افتح لم الباب يدخل ولو كان طوابا فقال لها المؤدب قاتلك الله ما هذا قرآن ما عدا البسملة والحمد فقال الولد اسألها ياسيدنا ما تقول بعد الصلاة فسالها فقالت اقول زي ما كانت تقول امي وجدتي سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله قال فصاح عليها المؤدب وقال لها كفرت ياملعونة ثم انه التفت الى الولد وقال له اسبهك ان تخرا عليها فصلاة غير الشخاخ ثم انه زجرها وطردها وتعجبت من عمله ※

وصلى رجل فلاح فلما كبر واراد ان يقرا دعا الافتتاح قال بحتي وجهي للذي شرح السموات والارض لاني لا حنيفا ولا مسلما ولا من القوم الكافرين فقال له رجل عارف من اي ملة انت قال الله الا بعد فقال انا من بني عقيم فضحك عليه ثم تركه ومضى (واما) احوالهم فمشهورة وامورهم لا تنحصر (ولنذكر فقهاءهم) وما يقع منهم من الجهل المركب وقلة العقل والخبط في الدين ونحو ذلك فنقول

(سئل) فقيه ريفي عن تفسير قوله تعالى يا ارض ابلعي ماءك وياسماء اقلعي ما معنى اقلعي فقال هذا الجاهل اي سيري مثل المراكب المقلعة (وتولى بعض فقهاء الريف عقد نكاح) فقال للولي قل انكحتك بنتي خطيطة البيضة اللون الشقرة الشعر الحي عينها اليمين حولا وعينها الشمال بلا عمول بشرط ان تكون في طاعتك وتفيق لدارك وتلزق لك العجلة وتفرش لك فراشها

ونسيم

وتبرج لك فتبلتها على عينيك ثم قال الخاطب قول قبلت نكاحها وهراشها وفراشها وفرشتها (وقال شيخنا العلامة الشيخ شهاب الدين القليوبي نفعنا الله به) زرنا سنة من السنين سيدنا احمد البدوي عمت بركاته ونفعنا الله به في الدنيا والآخرة فلما رجعنا من الزيارة ادركنا المبيت في قرية من قرى الريف فدخلنا مسجدها فرأيناه مثل زريبة البقر فيه اثار الجلة والوحل وهو مفروش بيسير من الحشيش وبجانب منه خال فيه بعض عجول بقر مربوط فجلسنا تحت المسقوف منه بعيدا عن العجول نتذاكر في العلم فدخل علينا جماعة من الفلاحين ومعهم رجل طويل القامة غليظ الساقين محزم على بشت من الصوف من غير قميص حافي الرجلين من غير مركوب وعلى راسه عمامة كبيرة عليها الدناسة ظاهرة فقال لنا ما تكونوا فقلنا فقهاء من الجامع الازهر فقال لنا تقروا القرآن قلنا نعم فقال اسئلكم على سؤال قدام مشايخ بلدي ان قلتوا لي عليه وزديتم حولي عشيتكم وبيتكم وان لم تردوا على الجواب طردتكم من البلد قال في فقيه البلد وامامها وخطيبها وما حد غلبني ولا عرف سؤالي قال فضحكنا عليه وقلنا اسأل عما بدالك فقال يا فقها الازهر الصلاة لها كم عنصر ومن عنصرها الاولاني وعنصرها الاخراني قال الشيخ عفى الله عنه فقال له رجل من اتباعنا الصلاة لها ثلثماية وستين عنصرا الاولاني من عناصرها رجليك والثاني ايديك والثالث طيزك والاخراني دقنك قال فسكت ولم يتكلم في امره فقال له اهل بلده غلبوك مشايخ الازهر يابو عجول فقال لهم طول عمري اسأل الفقها وغيرهم السؤال ده ما نشفت حلقها وبي نعنه الا دولا وانا اقول لكم يا مشايخ البلد لحق انهم غلبوني قال الشيخ سامحه الله ثم انه توجه الى منزله واحضر لنا منتردين لبن دشيش وخبز دره فاكلنا وبتنا في مكاننا الى ان اصبح الصباح فحضر عندنا ورحب بنا واخذ بخاطرنا وتوجهنا والحال اننا لم نعرف السؤال ولا الجواب وما عرفنا هذا الكلام غير ان تابعنا لشدة حذقه لبابه من معنى سؤاله واعطاه كلام قصا ذكاه * * * *

(وسأل بعض الفلاحين) استاذنا في الله تعالى الشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله تعالى فين هي قبلة طيزك فقال له دقنك فخجل الفلاح وضحك عليه الحاضرون جميعا * * * * * * * * *

(قلت) ونظير ذلك ما حكاه شيخنا ان مما اتفق في بعض السنين انه حضر رجل من العجم الى مصر المحروسة واجتمع بوزيرها واخبره انه من علماء العجم ولا احد يقاومه في العلم ودخل على عقل الوزير بالكلام وغيره حتى مال اليه وصار عنده في منزلة عالية فقال له الوزير هل فيك

قوة لمناظرة علماء الازهر فقال نعم اسالهم بحضرتك سؤالا فان اجابوني
وانا من تحت امرهم والا يكون لي القفا رطلهم قال فارسل الوزير الى علماء الازهر
فلما حضروا بين يديه وغص المجلس باهله عرض عليهم الامر فقالوا يسال العجمي
عما بداله فقام العجمي بين ايديهم وسالهم بالاشارة من غير كلام يتلفظ
به فقالوا له يا وزير الاشارة لا تكون الا للاخرس ولا نعرف مقصوده فقال
لهم لابد ان تجيبوه عن سؤاله والزمهم بتلك المسئلة ليسلم العجمي وعجبه
له فقالوا له امهلنا ثلاثة ايام حتى نتظر بقية مشايخنا فامهلهم الوزير وتوجهوا
من عنده فقالوا لبعضهم كيف الراي ودفع هذا العجمي ورده مقهورا الى بلده فقال
رجل منهم الراي عندي اننا ننظر لنا رجلا من اجلاف الريف وخوفهم لا يعرف
السماء من الارض ولا الطول من العرض ونجعله شيخنا ونلبسه
لبس العلماء ونمشيه قدامنا ونمشي خلفه ونطلع الى الوزير ونقول له هذا شيخنا
وهو الذي يجيب العجمي ونعامله بما يناسب مقامه ونسلط الكلبة على الحترين
قال فذهب هو وجماعة منهم ليفتشوا على من بهذه الصفة فروا رجلا من
اجلاف الريف طويل القامة عريض القفا غليظ الشافين كبير اللحية على راسه
لفف وعليه جبة من الصوف لركبته وهو جالس في حانوت ياكل بيض مسلوق
فدخلوا عليه وكان قد فضل معه بيضة واحدة فلما راهم ظن انهم يريدون
اخذ البيضة منه فاخذها ووضعها في خفه من داخله واراد الهروب
منهم فدخلوا عليه فقال لهم انا في جيرتكم يا شرايف فقالوا له لا تخف يا فلاح
ولا تخش من شيء فقال لهم انا خايف تاخذوني للاستاذ ينطح راسي
وانا عمري ما اشتكيت ولا طلعت مصر غير الساعة وانا كنت جيعان وجبت معاي
اربع بيضات شويتهم اكلت ثلاثة وفضلت معاي واحده خفت منكم
وشلتها في خفي وانا علي مكسور من مال السلطان قرشين فقالوا له احنا
مرادنا نعمل معك خير وان طاوعتنا اعطيناك القرشين الي عليك
وغديناك وبسطناك فقال لهم انا الاخر كل ما امرتوني به
فعلته من امر خير او هد حيط او شيل طين او حمل علينا لكم في ساعة
وان كنتم في غرضكم على شكم وهاتوا لي نبوت اضرب لكم القوم ولو كانوا
الف رجل اطحنهم فقالوا اما مرادنا الا نعملك شيخنا ونطلع بك على واحد عجمي
يسالك تجيبه على سؤاله وتغلبه ولكن لا تتكلم ابدا الا بالاشارة حكم
ما يكلمك بالاشارة فقال لهم خذوني للعجمي ده وان
طلبتم اضربه ضربة واحدة بلكامية قتلته ولو كان عند السلطان
والوزير وانا يا ما قتلت ويا ما سرقت وانا علي مال السلطان وعلي الي ارد

الى

الجحى ده مغلوب قال فاخذوه والبسوه لبس الفقهاء وعمموه على قحفه عمامة مدورة
وحط البيضة من داخل عبه فقالوا له خليها هنا لما نرجع فقال لهم وحياتكم
لم اخليها لانها بيضة فرختي واو لبيضها وليا اجوع اكلها فقالوا له خليها
معك ومضوا عليه بالهم حتى اقبلوا على الوزير فلما رآهم الوزير قام اليهم واعظم
منزلتهم فقالوا له هذا شيخنا الذي يجيب الجحى في سؤاله قال فجلس الجحى
متأدبا بجلوس طلبة العلم وجلس الفلاح مدرجا لم يقدر من حصر كانه قاعد
في زريبة بقر فلما رآه الجحى على هذه الحالة استعظمه وقال في نفسه لولا
انه من العلماء الاجلاء ما احتقر الجالس ثم ان الجحى اشار اليه بالسؤال يريد منه
الجواب واقام اصبعا من اصابعه الى الفلاح فاقام الفلاح له اصبعين
اثنين ثم رفع الجحى يده الى السماء ووضع الفلاح يده على الارض فاخرج الجحى
من عبه علبة وفتحها واخرج منها فروجا صغيرا ورماه الى الفلاح فاخرج الفلاح
البيضة من عبه والقاها الى الجحى فعند ذلك هز الجحى راسه وتعجب منه
وقال للوزير ولبقية العلماء قد اجابني عن سؤالي الذي اشرت به اليه واشهدكم
اني صرت من تلامذته ومن اتباعه قال ثم ان الوزير اكرم الفلاح والعلماء
اكراما زائدا وانصرفوا مسرورين منشرحين مؤيدين ثم انهم قالوا للفلاح
بعد ما نزلوا الى منازلهم ما عرفنا حقيقة السؤال والجواب فاخبرنا عنه فقال
لهم الفلاح باختصار عليكم انتم فقها ولكن ما فرقتوا تردوا للناس جواباتهم
انا لما قعدت قصاده وجهه رايت عينيه احمرت وزاد به الغضب كانه يقول
لي اصبعي لنغسلك والاخرقت عينيك بصباعي ده فاشرت له انا الاخر اقول له
ان لم تصبر لتغسلك والاخرقت عينيك بصباعين دول ورفعتهم له فرفع ايده الى
السماء كانه يقول لي ان لم اخليه والاعلق في السقف فحطيت ايدي انا الاخر
على الارض اقول له ان اردت تفعل بي ما تقول لخبطتك في الارض خبط فلعب
صفارينك فلما راني غلبته وظاهر عليه اخرج لي فروج دجاج صغير يقول بي انه ياكل
كل يوم فراخ وانه متنعم في الماكل والمشرب فاخرجت له من عبي انا الاخر البيضة
المسلوقة اوريه اني متنعم باكل البيض المسلوق في كل يوم فغلبته ورديت سؤاله
قال فلما سمعوا كلام الفلاح وتعنوه ذهبوا الى الجحى وسالوه عن الجواب فقال
لهم بطول عمري اسال العلماء هذا السؤال وانا اضرهم فما عرف احد جوابي الا شيخكم
هذا فقالوا له اخبرنا عن السؤال وعن حقيقة الجواب فقال لهم اقمت له اولا اصبع
اشير اليه يقول لي ان الله واحد احد فاشار الي باصبعين يشير الى انه ليس
له ثاني فرفعت له يدي اشير اليه انه رفع السماء بغير عمد فخفض يده الى الارض
يقول لي وبسط الارض على ماء جمد فاخرجت الفروج من العلبة وقصدي فروج صغير

اليه انه يخرج الحي من الميت فالحرج الى البيضة يقول لي ويخرج الميت من الحي
فاجابني جوابا شافيا فما رايت اعلم منه فعرفوا ان الهجي كان في مقصد والفلاح
في مقصد آخر على صدق قول القائل

* سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

فالاشارات مصادفة والمقاصد مختلفة * (كما اتفق) *
ان رجلا امسك لحيته فضرط حماره فقال صادفت النكتة
وخطب فقيه من فقهاء الريف فقال ايها الناس الى كم تلتهوا في الحصيدة
وفي الزرع والقلع وعدايجيكم اليوم ويحضر لكم القوم فاستعدوا وقاتلوهم
بالمزاريق فما لكم عند الله عذر ولا تعويق * واعلموا يا اهل الكفر الى وراء عدو
ماوراه هدو قواكم الله يا قوم قدامكم جيش حرام فانتم تحترسوا الا يجيكم
العدو من جنب النهر فصلوا وصوموا واطلبوا من الله النصره وقولوا يا منان
يا منان انصر شيخ بلدنا عمران قولوا آمين فقالوا آمين ثم نزل فصلى بهم
صلاة فشرقيه لا فرض ولا سنه *
وخطب آخر فلما صعد المنبر قال اعلموا يا اهل بلدنا ان عندكم قمح كثير وتبن
وشعير وانتم في خير من رب العالمين فانتم تفيقوا الزرع الوسيه والاصبحكم
الكاشف بداهيه وبليه فغدا تشربوا القهوة والسحر وفيقوا الغنم
والبقر والحتو البيا ركم دفيقو الدور كم وجداركم واكرموا الخطار بالعدس
والبيسار تنجوا من عذاب النار على ايش يا حبايب تهجروا بلا سبب
الله * الله * قولوا لا اله الا الله * من وحد الله ما خيبه الله آمين
والحمد لله رب العالمين ثم نزل وصلى بهم *
وخطب آخر فلما شرع في الخطبة قام الفلاحون بالعياط والشياط
في حساب الزرع والقلع فقال شخص منهم يا جماعة اسمعوا الخطيب
وعدوا انه كلب ينبح *
(وتوهم فقيه) هو وجماعة على انه يسرق واياهم فول اخضر من الغيط فذهب
معه ليلا حتى اتوا الى غيط رجل من القرية واخذ كل واحد منهم عن اكثره من
الفول واخذ هو عمرين ثم دخل الجامع يخطب فلما صعد المنبر وانتهى الى الموعظة
وقال ايها الناس قال رجل من رفقائه الذين سرقوا معه بالليل
ما لك ومال الناس لما كنا واياك في السرقة خذ كل واحد منا عمر وانت اخذت
عمرين فقام اليه الفلاحون وكركبوه من على المنبر وطردوه من
البلد لما ثبتت سرقته *
(وسال فقيه ريفي) بعض العلماء وقال له مرادي اقرأ الاجرومية

مذهب الشافعي فضحك عليه من جهله وطرده (ودخل على العلامة الحميدي رضي
الله تعالى عنه) رجل من فقهاء الريف وقال له عندك مختصر القرآن وكان
الشيخ الحميدي شيخ الصحافين بمصر فقال له الشيخ رحمه الله نعم اجلس حتى
انظره لك فجلس عنده واذا برجل اقبل على الشيخ وقال له عندك يا سيدي
مختصر مسلم فقال له نعم خذ هذا فانه مختصر مسلم لاكثر وطرده من عنده
قال فتعجب الحاضرون منه غاية العجب ثم انهم سألوه عن مختصر القرآن فقال
لهم انا فقيه الريف اقرئ الاولاد في بلدي القرآن وقد ثقل عليهم
لطوله فقلت لعل احدا اختصره فيكون اسهل على الاولاد ويحفظونه بالسرعة
فضحك عليه الحاضرون ومضى الى سبيله * (وسعى رجل
من الاكابر عند قاضي القضاة بمصر المحروسة ليأخذ لرجل فقيه نيابة
في بعض المحاكم ومدحه عنده فقال ائتني به فلما حضر بين يديه قال له
القاضي هل تحفظ القرآن قال نعم ايد الله مولانا القاضي وعندي مصحف
مليح بخط المؤلف فتحقق القاضي جهله وعرف وضحك عليه وطرده
ودخل بعض فقهاء الريف الجهال على ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه ورجل الامام
ممدودة لوجع اصابه فلما رآه الامام في هيئة حسنة وثياب فاخرة لم رجله
وكان الامام يقرر في مسئلة صلاة الصبح ما حكمها اذا طلعت الشمس
ونحو ذلك فقال له هذا الجاهل اذا طلعت الشمس قبل الفجر ما حكم الصلاة فقال
الامام آن لابي حنيفة ان يمد رجله ثم مدها ومضى على درسه ولم يلتفت اليه *
واتفق ان اثنين اختصما في آية من كلام الله تعالى فقال احدهما لعلهم
يتفكرون وقال الآخر لعلهم يتشكرون فبينما هم في المشاجرة اذ طلع عليهم
فقيه من فقهاء الريف فسألوه لاعتقادهم انه يحفظ القرآن هل هي يتفكرون
او يتشكرون فقال هذا الجاهل لا تتشاجروا والاولى اننا نأخذ من كل كلمة
نصفها ونجعلها لعلهم يتفشكرون ونبطل المشاجرة بينكما فقالا له قاتلك
الله كفرت وغيرت كلام الله تعالى ثم طرداه (ودخل رجل من علماء المسلمين)
قرية من قرى الريف فرأى رجلا يدرس في مسجدها ويخبط خبط عشواء ويدعي
ويروي حديثا باطلا فقال له رأيت هذا الحديث في اي كتاب فقال له في كتاب عندي
يسمى الدهمة والطوال فقال اضعفت حين اسندته ثم قام عليه وابطل التدليس
ومضى (وحكى بعض العلماء) قال دخلت قرية من قرى الريف وكان وقت المساء فقلت
في نفسي اسأل عن فقيه البلد وانام عنده قال فسألت عنه فقالوا لي انه على الكوم الذي
في وسط البلد مات له حمار وهو يطرد الكلاب عنه لاجل ما يسلخ جلده ويبيعه
فتوجهت اليه فرأيته على الكوم وبيده حجارة يضرب بها الكلاب

ويمنعهم عن جارة الميت حكم ما ذكر لي اهل بلده وهو في حالة رذلة وثياب
دنسة حافي القدم تعيس الناصبة فسلمت عليه ورد علي السلام بتكلف وهو مشغول
بما هو فيه وهو يقول اخص جرزوح يامشوم ويضرب الكلاب بالحجارة وهو
في كرب كانه يغازي القوم قال فجلست ساعة انظر في حاله واذا برجل اقبل
عليه من اهالي قريته وقال له يا سيدنا انا قلت لامرأتي انت طالق بالثلاثة
وسالت فاحد ردها لي وقالوا لي ما عادت تحل لك حتى ينكحها زوج غيرك وانا
خاطري ترد ها لي وتخلصني من اليمين وخذ لك كيلة شعير قال فالتفت اليه
وقال له ان كان مرادك تخلصك من اليمين ما اخذ الا كيلتين شعير فقال له اعطيك
ما تطلب فقال له خذ امرأتك في وقت السحر وروح بها بركة الماء الي في المحل الفلاني
وخليها تقلع ثيابها وتخوض في الماء حتى يبلغ الماء سرتها ولا تخليها تضم رجليها
حتى يدخل الماء فرجها فان الماء ملك ولملك ذكر فصدق عليه انه نكحها قال الله تعالى
وهو الذي خلق من الماء بشرا قال فلما سمعت ما قاله لهذا الرجل اخذتني الغيرة في
دين الله تعالى وقمت عليه بالسب واللعن وقلت له قاتلك الله وعلمك وقريتك
ونهيت السائل من هذه الفعلة وقلت له وقع عليك الطلاق بالثلاثة ولا يجوز
لك ان تفعل بما قال لك هذا الجاهل الخبيث وحلفت اني لا ابيت في هذه القرية
لاجل هذا اللئيم ثم مضيت الي بلد اخرى وبت بمسجدها الى ان طلع النهار
وتوجهت الى سبيلي

* *

(وقال بعض فقهاء الريف الى تلامذته) قد ظهر لي في القران بحث وهو
قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك انه وجه ضعيف لانه محكي بقيل *

(ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف بساحل البحر بنواحي
الجبل فراى محلا يشبه المجلس وفيه البقر والغنم وقد اشتد به الجوع
فجلس يقرا سورة الكهف فاجتمع عليه جماعة من تلك القرية يسمعوا
قراءته الى ان وصل الى قوله تعالى سيقولون ثلاثة
رابعهم كلبهم فقالوا له يا شيخ نحسب القران كلام الله ما فيه كلاب
وانت تجعل فيه كلاب اخرج من بلدنا والا قتلناك
قال فقام رجل منهم وقال لا تضربوه ولا تقتلوه حتى نرسل
الى فقي بلدنا الحاج مخالف الله ونسأله فان قال لنا القران
فيه كلاب تركناه والا قتلناه قال فارسلوا خلف
هذا الرجل فحضر شخص كانه سارية الجبل من طوله او عامود من عواميد
الصوان من غلظه وثقل اذانه وذقنه تقشعر منها الجلود وهو ملتف بحرام
ابيض دنس لا غير فلما احضر وجلس اخبروه بالقضية فنظر يمينا وشمالا

وقال اسمعوا واحقق لكم واكشف لكم الحال ثم انه اضطجع على قفاه وقال لهم اطرحوا
على الحرام فطرحوه عليه فسكت ساعة على هذه الحالة لا يتحرك ثم انه قام بسرعة
عريانا مكشوف الرأس والعورة ووقف ساعة بهذه الحالة ينظر نحو السماء
وهو في وجد وكرب ثم دعا بحرامه فالتفت اليهم وجلس وقال لهم طلعت العشر
سماوات التي خلقها الله تعالى فرأيت اول سما فيها بقر وثاني سما فيها جاموس
وثالث سما فيها عجول ورابع سما فيها تيران وخامس سما فيها كذا وسادس
سما فيها كذا وصار يعدد اصناف فيها من الحيوان الى ان قال وشققت السماء العاشرة
فلما رأيتها غنم وانتم يا مشايخ بلدنا تعرفوا ان الغنم فوق الكلاب ولا يفارقها وراعي
الغنم لا بد له من كلب يحرس غنمه فخلوا الراجل يروح ولا تقتلوه واعطوه رغيفين
ذرة قال فاخذ الرغيفين ومضى وهو يحمد الله تعالى الذي خلصه من هولاء الجهلة
(وكان بعض فقهاء الريف) يدرس في قرية من بعض القرى وكلما سئل عن مسئلة
اجاب عنها بسرعة نظما ونثرا ولم يتوقف في الجواب لشدة جراءته في الكلام من غير
معرفة الى ان حضر مجلسه وهو يدرس جماعة من العلماء ورأوا سرعة جوابه في
المسائل واتيانه بكلام ليس في كتب الفقه الا ان فيه رائحة المناسبة فقالوا امر هذا
المدرس عجيب فقال رجل منهم انا اختبره لكم وابين لكم صدقه من كذبه كل
شخص منكم يأخذ له حرفا من حروف الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونسأله عنها
فقالوا هذا الرأى صواب فاخذوا الحروف وجمعوها فصارت خنفشار ثم انهم
جلسوا حوله وقت الدرس فلما فرغ من الدرس قالوا له يا مولانا رأينا في بعض الكتب
هذا الخنفشار وما عرفنا ما الخنفشار فقال لهم هذا واضح وهو نبات يطلع في ارض
الصين يعقد به اللبن قال الشاعر

لقد عقدت محبتكم بقلبي * كما عقد الحليب الخنفشار

وقال صلى الله عليه وسلم وأراد يذكر حديثا باطلا فقالوا له امسك ما معك
قبحك الله اما كلامك في حق الحكماء والعلماء فقد سلمنا لك في الكذب عليهم
واما الكذب في الحديث فلا نسلم لك فيه ثم انهم قاموا عليه وابطلوه الدرس
قلت ولهذا ذكروا ان العلم امانة وان الشخص لا يجوز له ان يتكلم الا
عن خبر واطلاع وشدة احتياط باصول المسائل وفروعها ومراجعة النقول
ولا يلتفت لما يقع من جهلة علماء العوام * (فقد سأل بعضهم) رجلا من اهل
العلم عن وصف كلب اهل الكهف فقال لا اعرف وأتى والده وكان من العلماء
فقال له الذي سألني اليوم عن وصف كلب اهل الكهف فقلت لا اعرفه ولم يبلغني
في وصفه شيء ثابت فقال له ابوه لاي شيء توقفت في الجواب كنت تقول لهم صفته
ولونه كذا وكذا ولا تنسب نفسك الى الجهل قال فاغتاظ منه ولده غيظا شديدا واصبح

ينادي عليه في الجامع ويقول لا تأخذوا العلم عن والدي فانه رجل كذاب مدلس وقع منه كذا وكذا وذكر لهم القصة * (واوصى لقمان ابنه) فقال له يا بني اذا سألك الناس فقل لهم لا ادري فانك اذا قلت لهم لا ادري لا يسألونك حتى تدري وان قلت لهم ادري سألوك حتى لا تدري (وقرأ بعض جهلة فقهاء الريف) واذا بطشتم بطشتم جبارين يريد بطشتم بطشتم جبارين (وقرأ آخر منهم) ولله ميزاب السموات فقيل له ما معنى ميزاب قال الذي ينزل منه المطر (وادعى فقيه) حفظ القرآن فقيل له الحمد لله لا شريك له من أي يقولها الفقيه (؟) في أي سورة فاطرق ساعة ثم قال في سورة الدخان (واشتكى رجل) ولده للقاضي وقال له اصلح الله مولانا القاضي هذا ولدي يشرب الخمر ولا يصلي فقال له القاضي ما تقول قال فانه يقول غير صحيح فاني اصلي ولا يشرب الخمر فقال له ابوه انه يزعم انه يقرأ القرآن وانه فقيه البلد فقل له يقرأ شيئاً منه فقال له القاضي اقرأ يا غلام فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا

ان دين الله حق * لا يرى فيه ارتيابا

فقال ابوه هذه سورة كنت حفظتها من زمان ونسيتها اليوم فقال القاضي وانا الآخر كنت احفظها فيه آية اخرى وهي قد رأى البعد عذابا ثم قال القاضي للرجل خذ ابنك فانه ماهر في القرآن فانظر ايها المتأمل الى جهل الغلام وابيه وتعجب من جهل القاضي الذي لم يفرق بين الشعر والقرآن * (وقال بعض العلماء) كلما سئل عن مسئلة يقول من جهله فيه قولان فقال له رجل أفي الله شك فقال فيه قولان فكفر بحسب عادته وبعضهم اجاب عنه ان فيها قولان من جهة النحو (ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف فكان يوم الجمعة فلما قربت الصلاة توجه ليصلي فرأى اهل القرية جميعاً داخلين المسجد وكل واحد منهم معه قفة من خوص وفيها مغرفة وخشبة وسكين من حديد وفار ميت معلق في عنقه فتعجب من فعلهم وقال لا بد لي أن أسأل فقيه البلد عن ذلك فبينما هو متعجب واذا بالفقيه داخل المسجد ليخطب وهو ايضاً مثلهم حامل قفة فيها مغرفة الخ ومعلق في رقبته فار ميت ورآهم يصلون جميعاً بهذه الحالة فتقدم الى الخطيب وسأله عن هذا الامر ومن امر اهل القرية بهذه الفعلة فقال له انا امرتهم بذلك فقال له هذا الامر باطل والصلاة باطلة وما دليلك على ذلك فقال الحديث رأيته في كتاب عندي واسمه كتاب التنبيه ولفظه حدثني يحيى ابن يحيى عن شعبان الثوري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بقفة ومغرفة وخشبة وسكينة وفار فطلب منه الكتاب فرآه كتاب التنبيه تصحف عليه بالتنبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بعفة نصحفت بقفة

وسكينه تصحفت بسكينة وخشية تصحفت بحشية ومعرفة تصحفت بمعزفة
ووقار تصحفت بقار واما سند الحديث فهو حدثني يحيى ابن يحيى عن سفيان
الثوري تصحفت مثل ما مر قال فقام عليه ذلك العالم وعلى اهل القرية
وابطلهم هذا الامر وسعى في خروج هذا الفقيه الجاهل من البلد لعدم معرفة
وجهله وقلة عقله فاخرجوه من البلد بيد امير البلد وطردوه *
ودخل بعضهم قرية من قرى الشام فسمع المؤذن يؤذن ولم ينطق بالشهادتين
بل يقول وانتم يا اهل هذا البلد تشهدون ان محمدا رسول الله قال فتعجب من ذلك
ودخل المسجد فرأى الناس مزدحمين على شيء يباع فيه فاذا هو خمر قد صب في اناء
ويناول رجل منهم للناس ويقولوا هاتوا الثمن ويقبضه منهم فقال هذه عجب
ثم مضى الى المحراب ليسأل الامام فوجده قد اقبل على رجل واحدة ورجله الاخرى
مرفوعة واقيمت الصلاة فصلى ورجله على حالها فلما خرج من صلاته سأله عن القصة
وعن رفع رجله في الصلاة وسبب الاذان والخمر فقال له اعلم يا سيدي ان المؤذن
الذي سمعته لا ينطق بالشهادتين نظرا الى انه اصابه المرض اصاب المؤذن
ورأيناه صبيا اقمناه مقامه فهو لا يقدر ينطق بالشهادتين واما الخمر الذي
رأيته يباع في المسجد فان المسجد له كرم عنب موقوف عليه واذا بعناه من غير
عصير لا يقوم ثمنه بالمستحقين وارباب الوظايف واما رفع رجلي التي
رأيتها فقد اصابتها نجاسة وانا داخل المسجد وادركتني الصلاة فقلت ارفعها
ولا اصلي الا على رجل واحدة لاجل صحة الصلاة لاني خشيت من المشي عليها فيحصل
التلويث للمسجد وتبطل الصلاة قال فتعجب الرجل واتى الى القاضي فدخل عليه ليسأله
عن هذا الامر فوجد غلاما يلوط به فتحير في امره وقال له ما هذا يا مولانا القاضي
فضيلتك اغرب مما رأيت واعجب فقال له لا تعجب ان هذا الغلام يدعي اهله انه بلغ
الحلم وجماعة يقولون انه قاصر فاخذته لاختبره ومعرفته وقلت ان فعل وانزل المني
فانه يكون قد بلغ الحلم والا فهو قاصر فرأيته قد انزل المني وتحققت بلوغه
وهذا من باب التجربة لاجل اقامة الشرع الشريف فقال الرجل قبحكم الله انتم وقريتكم
جميعا وحلف ان لا يعود اليها بقية عمره *
(ونودي) بعض فقهاء الريف الجهال القضاء فارسل الحاكم ولاه هدية
وارسل معها مكتوبا مضمونه بعد السلام على مولانا الافندي ان الواصل
لكم هدية خروفين وسرموجتين للافندي خروف وسرموجة والنايب خروف
وسرموجة قال فلما وصل الى القاضي مكتوبه امر بعزله وتحقيره واخرجه من
القرية *(ونظيره) مكتوب فنن الذي ذكره سيدي علي بن سودون
في ديوانه الذي ارسله الى اهله من الصعيد قال في عنوانه انه يصل ان

شاء الله تعالى الى دربنا المحروس الذى خشبته سنط ولقمة ويسلم لبدا اهل بيت
فنيت وفى داخل المكتوب السلام عليكم بعدد ما فى النخيل من الاوراق سلام لا يسع
طبق ولا طبقين ولا اطباق اطول من عمود زرافة ولو كان طاق او طاقين او طاقات
من كل بد وسبب وفى هذا المعنى اقول لكم كان شعر

ان كان ابى ما مات وامى تعيش * فبلغهم يا ريح عنى السلامات
وروح قول لهم انه مع النافع البلد * ويا ما جرى لى من بعدكم نكبات
وانكم فى غفلة كبيرة عن ابنكم * وانا ان مت قولوا الاصيل تنيمات

والذى نعلمكم به ان كنتم لسع طيبين بالحياة انى ارسلت لكم صحبة القاصد على جوز
وز فقش لصيف من ذلك الوزه وايضا خروف ابلق وخروف بلا بلاق وسبحان
الله تبقوا تتكلوا اخراف ارسلتم تطلبوا لحبل تنشروا عليه الغسيل وقلتم لنا على
طوله ولا قلتم لنا على عرضه وارسلتم تطلبوا اكشك وانا ان ارسلته لكم من غير طبيخ
فضيحة وان طبخته ما يوصل لكم حتى يبرد وطلبتم نيده وما قلتم لى بنسل او بلاشى
وطلبتم قليلات والفلاحين ما يزرعوا الا زرع طويل فيكون ذلك فى خاطركم من
سعقه وبلغنى ان امرأتى حبلة من بعدى فلا تخلوها تولد حتى اجى وان ولدت قبل ذلك
لا يكون الا صبى وسموه دار المطيب فانى دخلت دار المطيب ورأيت فيها شى
من الطعام كثير اعجبنى وجرت لى فيه حكاية ولكن ما تقولوها لحد ابدا تبقى فضيحه
وذلك انى اكلت يوم بطيخ وعنت حشاكم العيب فى بيت الفلاحين فنينت فوقيا
وانا معذور بزياده فان البطيخ يكثر التجاخ فغسلت قميصى ونشرته فى السطوح
فقام بالامر المقدور وضربه الهوى فوقع من فوق لتحت وارتجفت بسلامتى
رجفتلتى ضعفت ضعفة ولو سمعها غيرى كان مات وعرفت انها ماهى بشارة
خير وانها تدل على موت ابى وابوية والحمد لله انى كان افداهم وانى صليت ركعت
لله تعالى انى ما كنت فى قميصى ولو كنت فيه كنت انكسرت فقلت سوالينا
ولا علينا ولكن من الرجفه وجعتنى عينى التى تبقى ناحية المشد ولو
كان وقت ما اخرج من دارنا والذى نعلم به الولد زوج الوالده
انى دخلت يوم البستان انا والخولى فرايت فيه نخل شى طويل وشى قصير
وشى ما يشبه شى فقلت له دى ايه قال نخله ورأيت يا ابويا نخله كل خوصه
وكل ورقة قدر الصفة التى تجمعت فيها امى فقلت ودى ايه
فقال لى موز فعجبنى قوى وقلت له الموز يطلع فى البستان
فقال لى ايوه فقلت له والجبن المقلى يطلع فين قال
يطلع فى طاجن الجبان وانا كل يوم اجى واطل من الطاقة واتمنى ماشفت
فى طاجن الجبان جبن مقلى فوعدت الخولى وراهنته من انى الحبل

لامرائه الى بلاصيل بانه يعمل امرائه يوم وانا اعمل امرائه يوم فلا تخلوه يغلبني
وباضرارئ وابقى يتيم وكاني وودن الشيطان مسدوده اصبحنا كتبنا لحضر
وتخذ خاطر الجيران مارزنا القلة سجين مثلي في طاحين البيان والذي نعرفكم به
اني لما طلعت البلد ولقيت الصابون غالي فبعت الحماره البيضه واشتريت له
حاره سوداء على شان ماتتوحش وكان كلام كثير فاني لو كتبت لكم الي في خاطر
اكان كلام يجي من سعد عندكم لعند عندي وبعد السلام على اهل الحاره والحاره
كل واحد باسمه كثير كثير تاريخ صبيحة يوم الجمعه الحرام بعد صلاة التراويح
من يوم عاشورا السابع والثلاثين من جمادى الاوسط سنة ما اعرفش الي يقولوا
عليه بالامارة سطرت القطع واهل البلد بجرقواذ المدن (ونظير هذا المكتوب كثير
لا يحصى) * فقد ارسل بعض فقها الريف مكتوبا سنة سبع واربعين
والف يقولوا فيه السلام من الفقي ابو عليه الى اسمه محمد على حضرة صاحبنا
الي معانا في القرآن زي ما يطلع الزرع في الغيطان ويتكلم بالفهامه وبا
ما لم علينا شهامه الحي يبيع الكتب المنظومه من الكلام زي قصة الجاريه
والتودد والورد في الاكمام حاوي الكتابة في السطور ومن يعرف كتاب
الفقه والمستول وانا في شوق واشتياقه لا يعلم حال ولا ناقه ولا حمار ولا
حازين ولا بغل ولا بغلين ولا زرافه من هذا المعنى اقول لك كلام كانه *

السلام عليك يا مسك والرحيم سلام من هولا يا كل عند القميصه
الا سابيع عن المراد وهو زين الاهم وانا قصدى اشوفك ولو في الحلم

وانا كنت اريد احبابك وحياتك راسك ما عوقني الا سروجي مقطعه وانا اعرف
لك شئ في كتابه كنت شتمته من زمان وسمعت به انه عليم وياما قالوا لي
عليه الناس وهو قصة مدينة النحاس وما جرى فيها من العجايب وانا
ان بارح كنت اريد اشتري لك الكلام افتكرته وعاود نسيته الله يسامحك
ويسامحني الله الله لا اله الا الله والسلام عليكم وعلى من كانوا جالسين ابلك
على اليمين والشمال وكتب هذا الكتاب ابو علي واسمه محمد وكتب عنوانه
توصل دي الورقه مع ابو عماره الي يبيع في بلدنا الفول والمش والزيت الحار يوصلها لمولاي ومن
يعني يوصلها لسوق الكتب الي يقولوا فيه سرايج سرايج فانظر الى شدة هذا الجهل والى هذا
الكلام الذي يشبه الوحل واشباه هذه الاقوال كثير ولقد احسن الامام حجة الاسلام ابو حامد
الغزالي حيث قال * تصدر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لاهل العلم ان يتمثلوا * ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

* ان شئت تدعى فقيه قوم * فطول الكم ثم عمم *
* واجعل على الراس طيلسانا * واعقد على المنكبين واختم *
* واجلس مع القوم في صياح * لا بالبخاري ولا بمسلم *
* الا صياحا ونقض كم * ولا ولم لا ولا نسلم *
* وان لقوا الوقف ياكلوه * وقد نسوا العلم والمعلم *
* ثيابهم بيض وارياء * وقلبهم بالسواد مظلم *
* فان ترى في الورى فقيها * فصح وقل يا سلام سلم *

اي اذا رايت فقيها على هذه الحالة فاسال الله السلامة منه والبعد عنه نسال الله العفو والعافية في الدين والدنيا والاخرة * ذكر شعرهم ورثائهم *
قيل مر بعض اهل الارياف بجماعة من اللطفاء ينشدون الاشعار في معنى العشق فقال لهم زيد وانا معتنيين القوم من ذى القول المليح فقد ذكرتوني نشيد مليح قلته وانا احرث في الغيط لما عشقت ام معيكة وكنت رايح اموت من عشقها وغرامها فقال له هؤلاء الجماعة انشدنا ما قلت في ام معيكة فانشد يقول مواليا

ماصال قميصي يشحطط ورا الحرات * حتى انتنى صبيه رايحه بتنات
فقلت يا ام معيكه ارحمي من مات * قالت انا رايحه لعزا ولبيك جيت

اقول هذا الكلام من نمط الهذيان الذي ليس له اول من آخر وقائله ابلد البشر ومن اعظم البقر وتفاعيله باحتياط مخبط خبط مخبط خباط وطوله بالتوكيد من اسكندرية لرشيد وعرضه باحتياط من الصعيد لدمياط ومعناه الذميم ومبناه الوخيم (ماصال) هذه الكلمة يستعملها اهل الارياف وردت في القاموس الازرق والناموس الابلق واصلها ما زال فبدلوا الزاي صادا لاعوجاج السنتهم واشتقاقها من الضل والضلال او من الصئيلة وهي الحية قال الشاعر

فبت كاني ساورتني صئيلة * من الرقش في انيابها السم ناقع

ومصدرها المشهور صال يصل صالا لا فهو صائل ومصئول (قميصي) على وزن حريصي او خبيصي واشتقاقه من القفص اي قفص الحاريتان حار قاصر ولبدي قال لها بنيه القفص ومصدرها قفص يقفص قفصا فهو قافص ومقفوص والقميص ما يلبس من الكتان وغيره (يشحطط) ماخوذ من الشحططة او من الشحوط اي يشحب ويجر على الارض يقال شحطط اذا انجر على الارض وهذه من لغات الارياف قال شاعرهم *

شحطط صبيبك ورخى الف ترقيله * واكويه بالنار حتى يلتقي عله *
حتى يلين ويبقى فرهن منجلس * ثم اطعم عدس وبتاوبيله *

والشاهد في قوله شحطط صبيبك وشحطط على وزن ضرط بتشديد الراء

وضرط

وضرط فيها مناسبة من وجهين الاول الوزن والثاني اذا شخطط وجرعلى الارض او في حورة او في نقرة ربما ضرط من شدة ما يحصل له من المشقة ولم التشخيط فكان المعنى ظاهرا * (وقوله من وراء الحراث) اي من خلفه ووصف قميصه بانه صار يجر خلف الحراث لاحد امور اما لانه غلب عليه الشقاء وكثرة الحر والتعب فخلع كمه من يديه كما يفعله الحراثون اذا اشتد عليهم التعب فيفعلون ذلك لترويح اجسادهم وهذا لا يفعله الا اكابر الحراثين واما غيرهم فانهم في الغالب لا يحرث الا عريانا او عليه شلقة مقطعة لا تستر العورة فهذا يدل على انه كان من اكابر الحراثين ويحتمل ان قميصه كان منشرمطا فصار يجر خلفه ويتشبك في الشوك والحلفا او يقال انه قلعه ووضعه على كتفه كعادة الحراثين فصار يجر خلف الحراث ومن شدة تعبه من الحرث واعتنائه بما هو فيه لم يلتفت الى احد ولم يجد له مروة يلمه من الارض حتى جاء ثم تلك المصيبة * (والحراث) الة معروفة عند الفلاحين ويجمعها محاريث ومن لوازمها المشقة وسواد الوجه من الحر والبرد قال الشاعر

نضا لعمرك يا محراث تاعب جاعنك * لما اليوم الحشر ما انت مفارق

فالحراث دائما في تعب شديد وهم مزيد وليس في الفلاحين اتعب منه خصوصا اذا كان في معاناة البراقة السلطانية وهو اقل عقلا من غيره لانه في النهار رفيق الابقار وفي الليل رفيق النساء في الدوار فلم يكمل له عقل ومثله في قلة العقل مؤدب الاطفال فانه طول نهاره رفيق الاطفال وطول ليله مع النساء ويدل على قلة عقل مؤدب الاطفال قبول شهادة القاصر على البالغ وان شتم ولده ولدا اخر وجه المشتوم الشتم الى المؤدب بقوله يقول لي الولد ده دمر الحس فقال له يا سيدنا والولد الاخر يقول لي يا ابن الخسيسه يا سيدنا ويقول لي دم احرق عينك يا سيدنا ونحو ذلك من هذه الالفاظ وقد وجد عند مؤدب الاطفال طبله وزماره وفرقله فسئل عن ذلك فقال اجمعهم بالطبله وافرقهم بالزماره واضربهم بالفرقله *

ورايت في بعض الكتب ان مؤدب الاطفال كان يعلمهم القران في غرفة له فاتفق الاولاد على ان يبنوا على باب الغرفة حائطا ويمنعوه من الدخول اليها ففعلوا ذلك ليلا ولما اصبحوا جاؤا الى المؤدب وقالوا له ان الغرفة هربت بالليل قال فشد وسطه وعدا في طلبها وما زال في البرية يمشي حتى قارب الليل فلم يجد شيا فراى صومعة فيها راهب فساله هل رايت غرفة فيها الواح ودوى فقال الراهب في نفسه انه احمق لا عقل له ثم قال له نعم انها مرت على الظهر وانت لا تلحقها ولكن بت عندي الى السحر وانت تلقاها فقبل منه ذلك القول وصعد عنده وقد هلك من الجوع والعطش واضره التعب فاحضر له الطعام فاكل وشرب حتى شبع ثم اسكره ونومه وقام اليه وجرده من ثيابه التي كانت عليه

ولبسها الراهب والبس ثياب الرهبان وشد له زنارا وتركه فلما كان وقت السحر نبهه وقال له ويحك ان الشرق رجعت الى البلد قم وادخل البلد فلما دخل الى الفقام ومضى الى البلد فرحا مسرورا فلما رآه الناس قالوا له انت صرت راهبا قال لا والله الا اني بت عند راهب وقلت له نبهني وقت السحر فايقظ نفسه وتركني قال ثم انه رجع الى اصحابه وصار يقبلهم ويقول لهم بالله عليكم يا راهب نبه نفسي حتى اروح البلد وخذ تفسيك استعطاما كانها صدق عنك بحق المسيح قال فصار الراهب يضحك عليه حتى ايس منه وانصرف فانظر الى قلة عقله وشدة جهله «وكان ايضا بعض مؤدبي الاطفال» اذا وقف يصلي وركع اخرج راسه من بين رجليه وقال لشقيك يا ابن القحبه رايتك يا ابن الفحيص ويشتم الاولاد ثم يكمل ويتم الصلاة (وقوله حتى انتني صلبه) اي انه نزل على هذه الحالة السيئة والعيشة الذليلة والكرب والتعب ومعاشرة اصواته من الثيران والابقار في الليل والنهار حتى مرت عليه هذه الصيبه وهو ضد العجوز وصبيه على وزن بليه او زنيم مشتقه من الصبوة على وزن اللبوة او من الصابون او من مصيبه فشغلت بحبها وفتنته بجمالها وسباه هواها لاسيما وهي من ملاح الريف خصوصا اذا كانت في وقت جمع الجلة وشيل الزبل وهي متضمخة بالنجاسه وتلك الروايح (وهي اخذه بتاتها) اي والحال انها مروحه من الغيط الى دارها تبات فيها كما هو عادة الفلاحين انهم يسرحوا في الغيط ليشتغلوا فيه بالزرع والقلع ولقيط الجلة الناشفة والضم ونحو ذلك ثم انهم يروحوا بيوتهم اخر النهار او في نصفه على قدر تمام اشغالهم فيجدوا العدس والبيسار والمدمس قد طاب امره وحسن طعمه فياكلوا ويتمعوا بلبناتهم على الافران ومداود البقر واشوان التين وعرف الجلة ونحو ذلك (فقلت يا ام محكمه) اي انه لما اشتغل بحبها عند ما اقبلت عليه وهي مروحه من الغيط كما تقدم نظرها فاعجبها والعين تورث القلب اشد ما يكون من الحب والغرام والوجد والهيام وتجري على الدمع بانسجام

قال القائل شعر

عيني نظرت وشكتي من عيني * ما يقتلني الا سواد العين

وقال الشاعر

نظرتك نظرة بالخيف كانت * جلاء العين مني بل عناها
فآها كيف تجمعنا الليالي * وآها من تفرقنا وآها

فاحتاج ان يخاطبها ويتذلل بين يديها كما هو عادة المحبين من انهم يتذللون لمن يحبونه ويبذلون لهم الارواح فضلا عن الاموال ويهيمون بحسنه وجماله لان احداق الملاح تذيب اسباب العشاق وحلاوة الجمال تزيد في الاشتياق

ومحاسن الحبيب تجذب به روح العاشق الكئيب ولله در معن ابن زائدة حيث قال

نحن قوم تذيبنا الحدق النجـ * ـل على اننا نذيب الحديدا
وترانا عند الكريهة احرا * راوفي السلم للغواني عبيدا

وخطابه لها بالكنية لاشتهارها بها والكنية ما صدرت بام او باب كما هو مقرر ومعيكه تصغير معكه وهي على وزن ركه او حكه او دكه او لكه وغلبت عليها هذه الكنية وصارت علما عليها لكثرة ما كانت تمعك شعرها على جدور الشجر عند اشتداد اكلان الشعر من طوله وقلة نتفه وغليان الشهوة لان الشعر اذا كثر وطال ربما اشتد غليانه وزاد اكلانه فلا يبرده على النساء الا النيك خصوصا في زمان الصيف وبعضهم يستحسن بقاء الشعر على الكس ايام الشتاء لان الشعرتين اذا التقتا تتولد من بينهما الحرارة فيسخن الاير والكس فتحصل اللذة من الجانبين قال الشاعر

ولما كشفت الذيل عن سطح كسها * وجدت عليه الشعر اسود كالزنجي
فقلت لها ما ذا الذي قد رايته * فقالت لحواشي كاتب الدخل والخرج
وهذا زمان البرد والشعر ساخن * فاسفق ايا هذا بجهد بلا حرج

واشتقاقه من المعك وهو الحك يقال معك يمعك معكا فهو ماعك وممعوك وليل كونه مشتقا من المعك قول بعض شعراء اهل الريف مواليا

تومي معكي يا عطيطه شعرتك بالحيط * لما اجيب لك هدير طورتين محيط
واعطيكي وحياة راسي نخل من هربيط * واجي لعندك وشيل رجليك حوا الغيط

ومقوله الفقول ارحمي من مات اي تعطفي بالرحم والشفقة على من اشرف من حبك وغرامك على حالة تشعر بالموت او بالجنان في المستعمل وهذا على حد قولهم حزين وواعي لانه مع كونه في حالة تعب وارتكاب نصب من الحزن وتراكم الهموم والغم يحصل منه هذا العشق الذي يفضي الى الموت فكانه يقول انا يا ام معيكه قد اشرفت من حبك على الهلاك والموت فرقي لحالي وانظري ما انا فيه من معالجة احواني الابقار ومقاساة الحرث بالليل والنهار وانت صبيه نضيفه وتكرهي الشعر المنتوف فاسمحي لي بمصبتين فيما بين العلمين وازور الشيخ ابو قبه ولو اخذت البشت والجبه ولا يحصل من تجاك وغرامك الموت فلما فهمت من حاله هذه القضيه وابتلت بهذه البليه ورات الذي لها مثل الذي عليه وشبيه الشيء منجذب اليه قال الشاعر

رايت مجذما في قاع قبر * وآخر برصا يخرا عليه
فقلت لعجبوا من صنع ربي * شبيه الشيء منجذب اليه

ابدت اليه العذر الذي اوجب لها هذه الحالة الذميمة وعدم تعطفها عليه وهي في تلك المشقة العظمى والداهية العميمة وهي حدوث الخرا عليها بلا انكار

ومكابدة دفع المشقة والاضرار لانه ثقيل في الصرم خفيف في الكمر اذا ادركه الشخص بين ناسه خرى في لباسه قالت له على سبيل الوفاء بالوصل ولم تدعه يقاسي الم الحب والنكال انا رايحه اخرا وفي رواية خاطرها اخرا والمعنى في الذوق واحد ولكن الرواية الاولى اولى لتاكيدها من جهة الخرا كما لا يخفى على صاحب الذوق المستمع للعبارة والقارئ لها ايضا والمعنى ان مرادي افرغ نفسي من هذه القضية في نقرة اخرا فيها مثلا او فوق سطح او في جنب شجرة او في الغيط او نحو ذلك كما هو عادة الفلاحين القاطنين في الارياف فان المراة منهن تجلس في قضاء الحاجة وسط الزريبة او في وسط القوم خارج البلد واي نقرة وجدتها بالت وغوطت فيها لان دورهم ليس لها مراحيض يخروا فيها قال الشاعر

سالت بني الارياف مال بيوتكم * مراحيض قالوا لا مراحيض للقوم
فقلت فماذا تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالرجال من باب اولى ثم انها ارادت بقولها هذا تفهيمها اياه حالها وغرضها كانها تقول له اني اذا اتيت اليك وصرت بين يديك ربما تضايقت من هذا الامر المشروح ورائحته عليك تفوح ولكن عند الزيل هذه الضرورة ويفرغوا الاولاد من لعب الكورة اوفي بالوعد والمراد الشنات واجيبك بتبات اي بامر ثابت محقق * واجابرك فيه واصله بالثاء المثلثة غير ان هذا من الفاظ الارياف فكانهم يقولون في الميراث ميرات بالتاء المثناة الفوقية ووقع في رواية اخرى اجيك وابات لكن يكون فيه الابطاء وهو معيب في الشعر وان كان مناسبا للمقام اذ هو شعر كلا شيء فعلى الرواية الاولى يكون المعنى انا قولي ثابت في المجيء اليك والبيات عندك والبيات ماخوذ من بيات الفراخ لان نساء اهل الريف يقلن للفراخ عند المساء بيت بيت فلعله مشتق من هذا المعنى ولا يضر ادخال حرف الجر على الفعل لانه مناسب لثقل الكلام وركاكته وبين بتبات وتبات الجناس المحرف او المصحف على اللغة الاصلية ويمكن ان يكون قوله رايحه بتبات اي هذه الليلة وقولها اجي وابات اي الليلة الثانية كما لا يخفى فكان البيات الاول غير البيات الثاني وان كان هو عينه في باطن الامر هذا نتيجة الفرق بين تبات الاول وتبات الثاني فان الاول منسوب لقول الرجل والثاني لقول المراة ولعلها ارادت بتاكيدها في البيات عنه عدم التعذيب بالهجر وسرعة تعطفها عليه كما هو شان من يريد الوفاء بالوصال ويكافي العشق بلذة القرب والجمال وقالت هذه الصيغة في نفسها هذا المحب لا يرضيه مني الا ليلة على كما انها يتملى بتلك المقابح ويشم للعد

الروايح وهي اثارحلة الغيط وارقدا ناوايا ياه في الفرن اوفي مدود الحماده
او على الجرن اوفوق الجله الناشفه لان النهاركله في المحرات والتعب ولا
يتفرغ لمحبوبته ولا لغيرها لكونه في كدا المعيشة وتعبها وهوانها ونصبها قال
الشاعر قالت نسا قريا فتى * ونفارق الوجيه الحسن
فاجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن
هم المعيشة فرقة * بين الاحبة والوطن
وتاكيدها في البيات يفيد ايضا انها تريد من هذا العاشق انه يتهيأ لما
ينا سبحضرتها تلك الليلة من العدس والبيسار والفول والمدمس ونحوه
ومصدره بات يبيت بياتا وقولها السابق اخرى لفظة الحرافيها لغات ذكرها
صاحب القاموس الازرق والناموس الابلق وقد تقدم معناه ويطلق عليه
الغائط والعذره ونحو ذلك انتهى ومن اشعارهم العنتريه
وقلت لها نولي على وشرشري * عريض القفا للنائبات صبور
هذا الكلام من بحر الجرا الطويل الذي عرضه من الحسينية لبركة الفيل
وتفاعيله هبيل مهابيل ومعنى كلام الثقيل ولفظه الهبيل ان هذا القائل
لما تولع قلبه بالعشق والغرام بحب هذه المليحة احتاج ان يتذلل لجمالها
وان يتمتع بمحاسنها وان يتحمل منها المشاق والدواهي والبليات كما هو عادة
المحبين ومذهب العاشقين خصوصا اذا كان العاشق به ضرب من الافلاس
فهو في اشد الاشتياق لمحبوبه بين الناس قال الشاعر مواليا
عشقت ذليت حك الجوع جسمي حك * وصمت علمين لما صمت يوم الشك
وحق من لم الجبال الراسيات تندك * يستاهل العاشق المفلس طريحة صك
فالعاشق يحتاج الى ثلاثة امور ان يكون اجرى من كلب واوزن من صبر في ولاد
من يهودي وعشق الفسقة على اقسام عشق شفقة وعشق نفقة وعشق حدقة
وعشق علقة فهي اربعة اقسام ونحن نوردها على اخواننا المتاعيس على التمام
فاما عشق الشفقة فهو ان يميل العاشق الى الولد الجميل او المرأة الجميلة ويكون
معه اومع المرأة على حسب المراد وقضاء الحاجة والمدح في محبوبه والشفقة عليه
حتى يصير عليه احن من الوالدة على ولدها ويدفع عنه المضرات ويتحمل من اجله
البليات ويكون حريصا على امواله شفقا على حوايجه مسرعا في قضاء اوطاره
حتى يقضي منه المراد على اتم حالة قال الشاعر
لقد صرت فراشا لحبي وسائسا * زمانا الى ان نلت منه مراديا
واما عشق النفقة فهو ان يكون الشخص صاحب مليسرة واموال فهو لا يحتاج

اى تعب فى جلب محبوبه بل كل محبوب الظهر الدراهم يحضر عنده على احسن حال واتم منوال قال الشاعر

غزة العشاق يامن عشقوا * ذهب ينثره او ورق
واذا باب الرضا قد اغلقوا * يفتح الدرهم ما قد اغلقوا
هكذا قد قال فى تنزيله * لن تنالوا البر حتى تنفقوا

واما عشق الحدقة فهو ان يكون من اخواننا الفقراء وقلبه يميل الى الملاح وليس له حيلة الا النظر الى الامرد الجميل وطبعه يشير اليه انه مسكين وعاشق وفقير مفارق وليس معه من الدنيا الا الدعاء لحضرة هذا الجمال ثم يتذلل بين يديه بالدعاء بقوله اطال الله بقاك ادام الله جمالك اسعد الله ايامك ونحو ذلك فيعرف الامرد من دوام نظره اليه ودعائه له ان مراده الوصال لما يراه من دوام النظر اليه وفقره وافلاسه قال الشاعر

وما نظر اللواحظ الا افراسة * وما تحت بين العلوق الا منجم

ثم ينعطف عليه ويمكنه من نفسه ومؤلف هذا الكتاب من هذا القسم على حد قول القائل

انا اجد وجها مليحا * الق فى الفضة خضر
واجد هذا وهذا * لم اجد فى الحى غرفه
او اجد ها تيك جمعا * الق فى الحارة زفه
فلهذا طول عمرى * تائب من غير عفه

واما عشق العلقة فهو ان يكون العاشق عديم الذوق سئ الخلق كثيف الطبع والذات اذا رأى الامرد علق معه مثل الزنبور فلا يفارقه ولو ضربه بالمقارع او حكم بالقتال لا يرجع عنه ولو عرض عليه انواع البلاء والقاه فى اشد المصائب لا ينفك عنه ولا يتخلص منه الا بمراده كرها لا برضا قال ابو نواس

اذا رقد النداى خل عنى * وعمن كان يصلح للدبيب
الذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الجد وخوف الرقيب

وليس الناظم عن هذا القسم بدليل قوله بولى على وشرشرى ان نجوتم لما رأته عالقا بها كعلوق النار فى الحطب والزنبور فى الخشب علمت انه لا يفارقها الا ان يقضى مراده منها العدم ذوقه وصقاعة وجهه ولم تقدر ان تمنعه بصكه ولا بشئ نجس فلا حيل ان ينزجر عنها ويمتنع عن عشقها ويترك العلوق بها رفعت قميصها واوهمته انها تريد البول عليه وعلى لحيته حتى تمكنه ها ولكنها فى هومنه وحيرة فأكد عليها بالقول وامرها ان تفعل فقال (وقلت لها بولى على وشرشرى) اى انى لا ابالى بما تفعلينه معى من النجاسة ولا اتكدر من الخساسة لانى عاشق

مشوق

مشوق وتعليل المدام والذوق وفى هذا المعنى يقول القائل

انصحكم واخرى عليكم وعلى بابكم من فوق * بالله اعذروا العاشق الخراعديم الذوق

فلا ابالى بالبول على وعلى لحيتى لانى (عريض القفا) وتخينه ومن شانه عريض القفا

وبليد الطبع ان يكون للنائبات صبور وان لا يضجر ولا يقلق من التبول

وغيره ويصبر على حوادث الدهر ومصائب الشدة بلاادته وعدم ذوقه قال الشاعر

يعرض قفاه للهموم جميعها * وذاك لسوء الطبع فهو بليد

وقوله بولى مشتق من المبولة على وزن مزبلة وهى شئ يعمل من الخوص او الحلفا

يحملون عليها الزبل وربما يكون فيها الحلة والوحل فسميت باسم ماوضع

فيها من تسمية الظرف باسم المظروف او المحل باسم الحال ومصدره بال يبول

بولا ومبالا ومبولة ومبالة ايضا وهى مابل وينقع فيها الكتان فان قيل اذا

كانت لفظة المبولة فيها هذه المصادر فلاى شئ اكتفى الناظم بقوله بولى على

ولم يصرفها فيقول بولى على بولا ومبالة الى آخره قلنا يمكن الجواب المشترى

عن هذا الكلام وهذه الاشكالات المشكلية وهو ان كلمة بولى فيها تكرار

اذا تصرف فيها واشتق منها المصادر فيلزم من هذا اختلاف الوزن وخروجه

من قاعدة النظم فيكون الكلام ركيكا وان كان فى حد ذاته ثقيلا فاكتفى الناظم

بقوله بولى او يقال ان هذا من باب الاكتفاء وهو مايدل بوجوده على محذوف

قال الشاعر

بالت على مبالة ومبالة * حتى اكتفيت ببولها وانا ابول

اى وانا ابول عليها ايضا ليناسب بولها بولى لاجل اتفاق المعنى ومناسبة

المحبة وائتلاف العشرة لانها لما بالت على بلت انا الاخر عليها بيقين ومن

الاكتفاء والاقتباس قول بعضهم

مليكه الحسن جودى بالتفاكرما * لمغرم قلبه قد ذاب فيك اذا

افسدت قلبى فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

اى اذا دخلوا قرية افسدوها وقوله على اى بولى على ذاتى جميعها حتى يشمل البول

شواربى ولحيتى وما جاورها بحيث لا يبقى فى منبت شعرة الا وقد عمها

البول ظاهرا وباطنا وقوله وشرشرى معطوف على بولى وهى من لغة الارياف

وقد وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق وهى مشتقة من الشرا ومن

الشرور ومنا ولاد ابى سرعم بشر وهم جماعة فلاحون او من الشرشرة

وهى آلة محددة تعمل من الحديد يضعها الفلاح فى حزام اذا سرح فى الغيط

يحش بها الزرع للبهائم وفى شرشر جناس مذيل وهو مشرشر

واكد على محبوبته فى القول بلفظ شرشري لكونها انثى ولو كانت ذكرا لكان
الانسب ان تقول له بل على وطرطر لان المرأة اذا بالت شرشرت بمعنى
ان بولها ينزل من فرجها مشرشرا كاسنان الشرشرة لطول فرجها واتساعه
بخلاف الرجل فان ايره ضيق المنفذ فكان المناسب انه اذا بال طرطر لان بول
الرجل يخرق فى الارض وبول الانثى يرش عليها قال الشاعر

اذا بالت الانثى على الارض شرشرت * وان بال ذكر فهو فى الارض يخرق

وفى رواية رشرشت بتقديم الراء فيكون فيه جناس مقلوب والمعنى واحد ويؤكد
ما قلنا ان عنترة لما رماه بعض الاعداء بسهم ومات به خاف اهل قبيلته وهم بنو عبس
من العدوان يدهمهم على حين غفلة ان شعروا بموته وكانوا على اهبة سفر فاتفقوا
ان يجعلوا ابنة عمه مكانه ويزيوها بزى رجل مثله ففعلوا ذلك وركبت الجواد
وسارت امام قومها فنظر العدو اليها فلم يشكوا فى كونها عنترة وتحيروا فى هذا
الامر وكان فيهم رجل صاحب رأى وفراسة فقال لهم انا اكشف لكم الامر وهو
انى اتوقع نزوله لقضاء الحاجة فاذا كان بوله يخرق فى الارض فهو عنترة
وان كان مشرشرا فهى عبلة ابنة عمه ويكون عنترة قد مات فتعقب الرجل
وكشف عن الحال فوجدها عبلة فهجموا عليهم ودهموهم والقصة مشهورة فى محلها
وقد تطلق الشرشرة على فعل الرجل لقول الشاعر

اذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل * عليه ولم يخطر عليه ببالك
فصوره فى وسط الكنيف بفحمة * وشرشر عليه عند كل مبال

وقوله عريض القفا على وزن صحيح اللحا عريض القفا مشتق من العرض
او من العرضية وهو ما يلف على الراس بلغة الريافة ويسمونه ايضا الكرّ
او من عارضة الباب قلت والانسب اشتقاقه من العارض وهو الغمام
لان قفاه صار متعرضا للبول والصك ونحوه كتعرض الغمام فى افق السماء
والقفا مشتق من القفوة اى قفوة الانكشارية التى يلبسها ملازموهم
او من القفة او من القفقولة وهى بوشة صغيرة يطبخ فيها اهل الريافة طبيخ
البيسار وقيل هو من تقفوت الشيء اذا تبعته لان القفا دائما تابع للراس
ولا يفارقه ابدا الا عند قطعه ومتى سار سار معه قال الشاعر

الراس يتبعه فى السير اربعة * وجه وذقن واذان وعرض قفا

وقد يطلق القفا على ذات الرجل جميعها ويخاطب به الانسان اذا كان بليد الجنان
الغليظ قال الشاعر مساديبابك يا بحر الوفا وقفا فعاقه عنك نطع واقف وقفا
وفى هذا البيت الجناس التام المزيد وقوله للنائبات جمع نائبة وهى ما ينوب

الانسان من البلايا والمشقات وقد تنتج من خبايا الايام وحوادث الدهر وعجائبه على وفق ارادة الله تعالى قال الشاعر

كن حليما اذا بليت بغيظ * وصبورا اذا اتتك مصيبه
فالليالي من الزمان حبالى * مثقلات تلدن كل عجيبه

ومصدرها نابت ينوب نيابة وقوله صبور على وزن عبور وقيل بمعنى صابر وعلى هذا ايضا يكون عبور بمعنى عابر وهو مشتق من الصبر او من الصبارة التي تعلق على ابواب البيوت وقد تدفن في بعض المقابر فهي لشدة مرارتها وحدوثها على حين غفلة وصبر الرجال عليها اشتق لها هذا الاسم من هذا المعنى وقد صرحت بما يقرب من معنى ذلك في مطلع قصيدة قلتها في شكوى الدهر وعجائبه وسرعة انقلابه فقلت

حوادث الدهر تاتي على خطر * فاحذر وقوعها تنجو من الكدر
واعدد لها من سهام الصبر سابغة * تقيك من شر ما ترمي من الشرر

الى آخرها هذا وقد اتى لفظ العبرانية بمعنى العبور في نظم الشيخ بركات وسبب قصته انه كان رحمة الله عليه من البلداء واتفق انه سافر الى بلاد الروم ووصل الى المدينة القسطنطينية العظمى فصادف صديقا له مارا في بعض شوارعها فسلم عليه وساله عن حاله وحال الملك فقال له يا شيخ بركات قد اجازني بكذا وكذا على قصيدة مدحته بها فقال له الشيخ بركات لا بد ان امدحه انا لا خوا اثني عليه وكان صديقه هذا يعرف بلادته وسوء طبعه فمنعه فلم يقدر على منعه عن الملك فطرق الباب وكان من عادة الملوك في قديم الزمان انهم لا يمنعون احدا عن ابوابهم فخرجت اليه امراة عجوز وقيل جاءت له من خلف دار الملك كما سياتي في نظمه وقالت له ما تريد فقال اريد الملك فقالت له تاتي اليه في وقت غير هذا وان كان ولا بد فعرفنا حالك نخبره به فاخذ دواة وورقة وكتب فيها يقول

بركات عبرانيه * جا يسلم ما قدرشي * من عجوز خلف دار * كالاسود الضاربات

وطواها واعطاها للعجوز وجلس ينتظر الجائزة من الملك قال فلما وقعت الورقة في يد الملك وقرا البيتين امر باحضاره فلما مثل بين يديه ورأى غباوته وبلادته وثقل نظمه ورقة لحيته ضحك عليه فقال له ما تريد قال الجائزة على هذا النظم قال وكان الملك صاحب ذوق ولطافة فقال له نعم اجيزك جائزة تناسب نظمك هذا ثم انه البسه برذعة حمار وامر ان يجعلوا في فمه اللجام وعلى ظهره الثفر كعادة الحمير ثم امر ان ينادى عليه في المدينة هذا جزاء من يمدح الملوك بمثل هذه

الالفاظ ثم انعم عليه بعد ذلك وامر باخراجه من المدينة قلنا ولهذا ذكروا ان الشاعر لا يهدي قصيدة لملك او غيره حتى ينظر في الفاظها ثم يهديها او يعرضها على ارباب الخبرة من اهل الذكاء والفطنة لئلا يقع في محظور مثل هذا ولنرجع الى شرح نظم الشيخ بركات فنقول قوله (بركات عبرايه) جمع بركة وهو علم عليه مشتق من بركة الفيل بمصر او من بركة الجمل وقوله عبرايه اي يريد العبور على الملك وتقدم اشتقاقه وقوله جا يسلم ما قدر شي اى اتى يريد السلام ما قدر والمانع له من السلام عجوز لها قوة شديدة وشدة في منعه كالاسود اى السباع الضاريات العاديات التى تعدو على الانسان وغيره وتفترسه ولفظ العجوز يطلق على المراة الكبيرة اذا انحنى ظهرها وشاب راسها فيصير قربها هم وجماعها هم الا على من يميل الى عشق العجائز ويفضلهن على ذوات النهود البارزات على حد قول الشاعر

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

ويقرب من هذا المعنى انه وصف لابي نواس رحمه الله رجل حداد بمصر يقول الشعر فرحل اليه منكرا يختبر فصاحته حتى دخل مصر وسال عليه فدلوه على حانوته فوقف عليه وسلم فرد السلام فانشد ابو نواس يقول

ماذا تقول رعاك الله في رجل * امناه حب عجوز بنت تسعين

فاجابه الحداد بقوله

يبكي عليه فقدا وذي المهجة * حب القباح وترك الحور والعين

فقال له ابو نواس مثلك لا يكون الا نديما لامير المؤمنين فقال له مالي ولامير المؤمنين انا صنعتي تكفيني ولا حاجة لي اليه فتركه وانصرف وقد تطلق العجوز على الخمرة العجوز اذا عتقت وطال زمنها وقال بعض الحكماء من شر الناس قال العجائز وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام في حق الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا قيل اراد ان يزوجه بعجوز وقال سيدنا علي كرم الله وجهه اياك ومجامعة العجوز فانها تاخذ منك القوى وتهد الحيل وقيل الشابة من النساء شهوة والعجوز بلوة وذات الولد دعوة وذكروا ان اصل حرب البسوس من امراة عجوز كانت تسمى البسوس وكانت لها ناقة ترعاها فضربها كليب بسهم فقتلها فذهبت الحجاب والفت الفتنة بين الفريقين فاقتتلوا ووقع الحرب بينهم اربعين عاما وذكر بعضهم ان فتنة التتار التى لم يوجد في الاسلام اعظم منها الا خروج الدجال كان سببها امراة عجوزا

واما

اجيلهن فى القيادة وجمع النساء منهن للمفاسد فانها اغلب حيل ابليس قال الشاعر

عجوز الشوم لا يرحم صباها * ولا تغفرلها فى يوم موت
تقود من السياسة الف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وقال بعضهم مررت بعجوز جالسة خلف بئر تبكى وتنوح فقلت لها ما الذى دهاك فقالت لى يا سيدى وقعت لى اسورة من ذهب فى هذه البئر قال فاعتقدت صدقها ونزعت ثيابى ونزلت البئر فى طلب الاسورة فاخذت ثيابى وانصرفت وتركتنى عريانا ففتشت فى البئر فلم ار شيأ ثم خرجت من البئر فلم ارها فسرت الى منزلى عريانا ولبست ثيابا غيرها فكان هذا من حيل العجائز ومكرهن فحيلهن عجيبة وامورهن غريبة فينبغى التحرز منهن والبعد عنهن فهن اصحاب العجائب وارباب الدواهى والمصائب فان قيل لفظة قدرشى فى نظم الشيخ بركات التى تقدم ذكرها بمعنى قدرفلاوى شئ لم يكتف بها مع انها اقل حروفا من قدرشى فكان حقه ان يقول جابلى ما قدروكان هذا اولى واحصر فى اللفظ قلنا هذا من باب قطع وقطع فان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى فلفظة قدرشى ابلغ من لفظة قدر وايضا ربما اختل النظم فراعى فى ذلك زيادة الحروف لاجل وزن الشعر واما ركاكة المعنى وثقل الكلام واختلاف القافية فلا تطالبا بها لبلادة قائله وكثافة طبعه انتهى ومن اشعارهم العشروية البيتان الاتيان وسببهما على ما قيل ان جماعة من الظرفاء جلسوا يتناشدون الاشعار وبينهم شئ من الحلوى والثمار فمر بهم رجل فلاح الهم والحزن على وجهه قد لاح فلما رآهم فى هذه الحالة انقض عليهم بلا محاله وقال لهم ذكرتمونى زمان العشق للملاح وتوله فيهم بلا مزاح واراد ان ياكل معهم فحصل منهم انقباض فقال لهم لا بد ما ارمى عليكم القناص اى الغاز بلغة شعراء الريف ثم انشد يقول

والله والله العظيم القادر * هو ما لما بسرايرى وخبايطى
ان عاود القلب المشوم ذكركمو * لا قطعوا من مهجتى بصوابعى

هذا الكلام من بحر الهلفطة والمعانى المشرمطة وتفاعيله متخلبطة متخابطة وعروضه ينقين من زنجير لشربين وطوله باحتياط من السرولد مياط واما شرح معانيه المسخمطة وحل مبانيه الملخمطة فقوله والله والله العظيم القادر يريد القسم غير انه لم يقع للموقع لانه ذكر الصفة بالضاد المعجمة لا بالظاء المشالة جريا على لغة امثاله من اهل الريف فاختل المعنى فى ذكر الصفة وان كان الموصوف الذى هو الاسم الكريم باقيا على حاله وتركه مرفوعا لما مع انه مرفوع ليس على قاعدة النحويين الا ان لسانه لم يساعده على ذلك لان السنة اهل الريف تنصب المرفوع وترفع المنصوب كما يقولون عبد الرحمن برفع راء الرحمن وهذا من باب مجرفة الكلام المناسبة لهؤلاء الاقوام وقوله بسرايرى وخبايطى السراير جمع سريرة وهو ما يسر الانسان

من خيرا وشر والخبايط جمع خبيطة على وزن عبيطة فخبايط على وزن عبايط مشتق من الخبط يقال فلان خبط فلانا اذا القاه على الارض او من الخباط على وزن الضراط ولفظة الضراط انسب بالمقام بل هي اولى قال الشاعر

الخبط مشتق من الخبـــاط * كذلك الضرط من الضراط

وتصريف هذه المادة خبط يخبط خبطا فهو خابط وذاك مخبوط وقوله

ان عاود القلب المشوم ذكركو * لا اقطعوا من مهجتى بصوابعى

هو جواب القسم والقطع هو فصل الشي وبعده يقال فلان قطع فلانا اذا بعد عنه والقلب مشتق من التقلب قال الشاعر وما سمي الانسان الا لنسيه ولا القلب الا انه يتقلب والمهجة معلومة والصوابع على وزن الفراقع وهي معلومة ايضا واسماؤها الخنصر والبنصر والوسطى والسبابة والابهام فهي خمسة بيقين ولا شك فيها ومعنى الكلام ان هذا البليد اقسم بالله العظيم القادر على كل شي العالم بسرائره وخبايطه اى ما اسره من الافعال القبيحة والنيات الخبيثة وما يخبطه بالليل من سرقة الغنم والفراخ والبط في الدور وقرط الزرع وسرقة الجلة ومواسته على زرع شريكه واخذه بالليل ونحو ذلك من الخبايط التي يفعلها هو وغيره من اراذل اهل الريافة وقوله ان عاود القلب المشوم اى ان رجع الى محبتكم بعد ما قاسى من همومكم وترككم اياه وهو يتذلل لكم بالمحبة ويسرح لكم في الغيط في الحر ويمليالحكم بالزبل ويسرق لكم الجله وترسلوا له الفقه علاها خرا ناشف وزبل غنم ونحو ذلك ويسرح لكم بالليل يقرط لكم الغله من غيطان الناس ومن زرعكم ويطيعكم وانتم تشتغلوا بغيره وتتركوه ولا تعرفوا الجميل الذي يفعله فهو الاخر لتعاد قلبه المشوم ووصفه بانه مشوم لانه وافقه على محبة قليلين الخير ناكرين الجميل وقوله ذكركو بنصب الكاف الثانية جريا على اللغات الريفية كما تقدم اى حركة بذكركم بعد هذا كله لا اقطعوا من مهجتى اى انزعه منها بصوابعي وفي رواية بضوافري والمعنى واحد لان الضوافر تابعة للاصابع فان قيل ان القلب لا يتصور قطعه الا بعد موت الانسان لو فرض ولا يمكن الشخص وهو في حالة الحياة نزع قلبه ولا قطعه فما وجه كلام الناظم قلنا الجواب ان هذا قطع معنوى لا حسى بمعنى انه يزجر قلبه ويمنعه عن ذكرهم بحيث انه لو صور بين يديه وخالفه لقطعه بصوابعه او بضوافره كما تقدم ومن هذا قول العارف بالله سيدى محمد بن عروس نفعنا الله تعالى به

يا قلب لا كويك بالنار وان كنت عاشق لا زيدك يا قلب حملتني العار تريد من لا يريدك

وقوله من مهجتى فيه شي فان القلب ليس في المهجة وانما هو في الصدر مما يلي الشق الايسر فهذا من عدم معرفته وقلة ذوقه اذ لو كان له ادنى ادراك ومعرفة لم يقل هذا الكلام ولم يجعل القافية على هذا النمط لان قافية البيت الاول ليلها يطى والثاني صوابعي وضوافري وهو غير الوضع العروضي ولا يساوى قشرة بيضه وناظمه التحل

من مجارة الميضة غيران قائله من ارباب الجحوف المقاوية وللمناسبة مطلوبة
(مسئلة هايلة) لاى شئ ذكر القطع بالصوابع ولم يقل بالسكين او الموسى
اذ من شان القطع ان يكون بآلة محددة وكون القلب كما لا يحتمله قطعه
بالصوابع ولا بالصوا فى قلنا الجواب القشروى ان يقال انما ذكر القطع بالصوابع
لكونه اخف فى الالم من السكين اولان الحركة والعمل لا يتاتى الا بالاصابع اذ
لا يمكن ان يقطع الشئ الا بيده واصابعه فهو حينئذ لا يستغنى عن الاصابع
فيكون فى الكلام حذف والتقدير لاقطعوا من مهجتى بسكينة قابضين عليها باصابعى
ومن هذا المعنى قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا اى حيث حكاه
الله تعالى عنهم بقوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك اولان السكين اذا قطع بها قلبه يمكن ان يقال فلان جرح نفسه بسكين
او قتل نفسه بها فذكر الاصابع هنا لينفى عن نفسه الريبة اوانه من باب خلبطة
النظام وعجرفة الكلام ولو قال لاقطعوا من مهجتى بصوابعى وسكينى لكان
اولى للجمع بينهما اى الصوابع والسكين الا ان الناظم الهبيل لم يساعده الوزن على هذا
المعنى التقيل فافهم الجواب وبان الصواب ومن اشعارهم موالبا

هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك ... وحبل طور ابن خالى كيف مدلاتك

يا من نجحتى قلبى فى وحيلاتك ... ياريتنى قرص جلة بين اديانك

هذا القول الحكيس والنظم الخسيس والمعانى الغلسية والالفاظ الهبالية من خرافات
الاسرائيلية والتشابير التى خرجت عن الاوضاع ونمجها النفوس والطباع وهى
ان ثبتت اوزانه وتلخبطت اركانه فهو على اربع تفاعيل مستخبط خابط مستخبط
خبط وطوله باتفاق من الخانكة لبولاق وعرضه يقابلين من باب زويلة السويقة
الساعين ومعناه غريب ومبناه عجيب فقوله هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك
يريد هذا العاشق البليد التشبيه الخارج عن الماهية الجارح للقلوب عند سماعه
فكانه يشبه الوزيه وهذا من العجب العجاب ان هذا البليد الطبع شبه كحل محبوبته
بالهباب لكن هو الانسب لها واعشقه اياها وشبيه الشئ منجذب اليه لطيوب
على اجسامها تقع وخص الهباب بفرن ابن عمه لانه لا يكن فى بلده اكبر منه ولا اكثر هبابا
وان غالب نساء الكفور تخبز فيه العيش وتطبخ فيه الطعام فيتراكم الهباب فلكثرة
تراكمه يسود سوادا شديدا فلهذا اوقع تشبيه كحلاتها بسواده وقوله ابن عمى
ولم يقل غريبى لكونه كان فقيرا لا فرن له الا بالتصحيف وهذا من قبيل التغزل
القشروى لانه لما عشق هذه المليحة ورأى الكحل فى عينيها اراد ان يشبهه
بما يناسبه ويشبهه بتشبيه لا يكون خارجا عن الماهية فتطلع ببلادته طبيعته
فلم ير شيئا اسود منه فشبه كحلاتها بذلك لان الشخص اذا التقته الكحلة او رايته

كل ما فيه حسنا وكذلك اذا الف شخصا لا يراه الا بعين الكمال ولا يشاهد فيه عيبا الا ويلوح له ما ينفيه عنه ويشفع عنده في قبوله قال الشاعر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد　　جاءت محاسنه بالف شفيع

وقال آخر

يقولون في البستان للعين نزهة　　وماء نمير صفوه غير آسن
اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها　　ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

وعادة نساء الارياف انها تهوى الافران لاجل تدميس الفول وطبخ البيسار وتقمير البتاو وتنفيض الثياب من القمل ونحو ذلك وكانت هذه المحبوبة تحب تراكم الهباب عليها لكثرة اشتغالها بالخبز والطبخ فشبه خلاخيلها به لكونه دائما في هذه الحالة وهذا من باب قولهم سخام هباب ثم انه لما شبه خلاخيلها بسواد الهباب قرن ابن عمه مشيرا اليها انها تفهم من ذلك انه محبها ومصر على عشقها اراد ان يشبه مدلاتها ايضا ليحصل لها بذلك غاية المدحة بين نساء الارياف وان يكون التشبيه من ماهية ما سبق من تشبيه خلاخيلها فقال (وحبل طور ابن خالي كيف مدلاتك) هذا الكلام فيه تقديم وتأخير وتقديره ان مدلاتك في الطول تشبه حبل طور ابن خالي والمدلات سلاسل من فضة تعلق على الاصداغ وترخى الى الصدر ويجعل في آخرها جلاجل من فضة وورق ونحو ذلك وتسمى ايضا مضنات كما هو مشهور عند نساء الارياف (فان قيل هذه) نحو من ذراع او اقل منه وحبل الثور ربما يكون اكثر من ذراع او ذراعين غير ما يكون ملتفا على اذنيه فما وجه هذا التشبيه وما حكمه (قلنا) هذا من باب الغلو في الشيء والتفنن فيه لانه لما عشقها ورأى هذه المدلات مرخاة على ظهرها وصدرها ولم يعرف بلده احسن من ثور ابن خاله ولا اطول من حبله شبه مدلاتها به واتى بهذه الاستعارة الذميمة والتشبيه الخسيس ليناسب نظم التجنيس ولما كونه حرم نفسه من ان يقبل كلامه عند محبوبته التي خاطبها باستعارته ثور ابن خاله وحبله وكذلك قرن ابن عمه وهبابه ولم يذكر شيأ يدل على المال حتى يلين قلب محبوبته فهذا من شدة فكره وقصر ذيله وشقاوته وظهور حاله انه عاشق مفلس فليس له دونه غير الصك بالنعال كما قالوا في هذا المعنى مواليا

الحب مال لو طلب الثريا نالها　　والى بلا مال صكوه الملاح بنعال
وان كان معك مال هات تبلغ الامال له　　ما كان معك مال اطرد ولك الملاح في الحال

فانفضح الحال وظهر المقال عن هذا الكلام الشلوق المراد من عديم الذوق وقوله طور ابن خالي بالطاء المهملة جريا على لغات الارياف لانهم يبدلون الثاء المثلثة في الثور بالطاء او بالتاء المثناة فيقولون طور وتور (يامن يحبك قلبي في وحيلاتك) هذا البليد الطبع الخسيس العقل لما وجد محبوبته قلبه يحن الوصل والطين عقب المطر

يعني انها تلته وتدوسه برجليها كما هو عادة نساء الارياف اذا نزل المطر في الزريبة واختلط بالجلة والزبل والطين فيجعلونه معجنة كبيرة ويكون فيها الزبل والجلة والوحل بيقين ويسموا مجموع ذلك وحلا وقد يطلق على فرد من تلك الافراد عند اهل الريف ثم انهم يجعلون منه جواليس ويلبسوا به بيوتهم واقرانهم وربما جعلوا منه مذاود للبقر وغير ذلك مما يحتاجون اليه فلما رآها في هذه الحالة اخذت قلبه وتعجنه برجليها في هذا الوحل خاطبها بياء النداء تنبيها لها على انه لا يجوز من المحبوب ان يملك قلب المحب ويعجنه ويدوسه في الوحل والجلة والزبل وغير ذلك بل يترفق به ويرق له ثم انه استشعر من ذلك سؤالا كان قائلا قال له المحب ليس له تصرف في نفسه بل القلب والروح لمحبوبه فلو انها الملك وزقك وقلبتك في الخرا مثلا فضلا عن الوحل لا تلمها فتمنى ان يكون قرصا من الجلة بين يديها واضاف الوحل اليها لانها مالكة له ومتصرفة فيه ويفهم من هذه العبارة انها كانت تعجن الوحل في محلها حتى يكون ملكها وان الوحل كان في زريبتها بيقين كما ان الجلة والزبل فيها ايضا وقوله وحيلاتك تصغير وحلاتك (وقوله يا ستيني قرص جله بين ادياتك) حينئذ تاكيد وبيان ان المعجنة التي كانت تعجنها وتدوسها برجليها كان فيها الجلة والزبل بيقين وقوله يا دستيني قرص جله الى آخره بابدال اللام راء في ريتني من لغة الريافة واصلها يا ليتني وقد وجدته في القاموس الازرق والناموس الابلق والمعنى اني اتمنى ان اكون بين يديها قرص جله من هذا الوحل الذي تعجنه واكونه وحلت وحلا اى وحلا بطريق التمني وان وحل بطريق التشبيه فا تجه الجواب عن هذه اللغة القشروية ونزل نفسه منزلة قرص جله وهو شيء خسيس اشارة الى ان العاشق ذليل حقير عند محبوبه فشبه نفسه بهذا التشبيه الحقير المتشابه للجلة النعسة وتمنى ان يكون قرص جله بين يديها وهذا هو الانسب لمحبوبته لانها دائما في عمل الجلة وتلزيقها وعجنها فهي دائما في هذا الامر فاتى لها بما يناسب حالها وما تحبه واعز ما يكون عندها الجلة والوحل فما اخس هذا العاشق وما ارذل هذه المحبوبة وقوله بين اديالك هذه لغة اهل الريف والمعنى اني اتمنى ان اكون قرص جله تقلبيني بين يديك من اليمين الى اليسار مثل ما تفعلي في قرص الجلة حتى اني التذ بكوني مرفوع في يديك وتمس ذاتي اصابعك فتحصل لي الراحة ويزول عني الم المشقة ولو انه صورتي انقلبت قرص جله فاني لا ابالي من النجاسة ولا اسأم من الخساسة لما فيها من الراحة وبلوغ المنى ونحو ذلك ويقرب من هذا المعنى قولي

وهيفاء للجلة تعجنها حين حلبها تمنيت اني مرطها وثيابها

لكن هذا تمن ظريف في محبوبة لطيفة (مسئلة هبالية) لاى شيء اقتصر في العبارة على الوحل وكان حقه ان يضيف اليها ايضا الجلة والزبل حتى يصير فيها مجموع الثلاثة (قلنا) الجواب القشروي انه اذا كان الوحل ثابتا بيقين

فيكون الزبل والجله فيهما من باب اولى فلا اعتراض على الكلام وا تجد الجواب بلا محال وقوله هباب على وزن تراب او كلاب او سراب مشتق من هبوب الريح او من هبهبة الكلاب قال الشاعر

لقد هبهبت لما راتني كلابها ... فقلت مجيبا قد علا لي هبابها

(وهبهب) واد في جهنم (وفي الاحياء) للغزالي في كتاب ذم الكبر والعجب عن محمد بن واسع قال دخلت على بلال فقلت ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم واديقال له هبهب حق على الله انه لا يسكنه الا كل جبار واياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه ومصدره الهباب يقال هب يهب هبابا وسمي بذلك لكونه يهب من الافران (وقوله ابن عمي) العم اخو الاب وقد يطلق ويراد به الاب كما يطلق الاب ويراد به العم مثل قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر فان المراد به عمه لان العرب تخاطب العم بلفظ اب وهو مشتق من العمى او من العموم ومصدره العم يقال عم يعم عما هذا وجه الشبه بين المشبه والمشبه به السواد الذي هو ضد البياض وهو اقبح الالوان (كما اتفق) ان بعض الملوك ارسل اليه بعض الاكابر هدية لا تليق به وهي عبد اسود فقال الملك لكاتبه اكتب له بوصول هديته وجز فكتب اليه اما بعد لو وجدت لونا اقبح من السواد وعددا اقل من واحد لارسلته الينا والسلام ويقال ان السواد ماخوذ من السودد وهو العلو والرفعة ونصر نفيرسا دیسود سودا وسوددا (وقوله) كحيلا الكحل مشتق من المكحلة او من الكحال او من تذكرة الكحالين قال الشاعر

(جبال الكحل تفنيها المراود * وكنز المال تفنيه السنين

وفي الحديث اكتحلوا بالاثمد المطيب فانه يجلو البصر والسنة الاكتحال به وترا عند النوم (وقوله) وجبل طود ابن خالي الجبل مشتق من الجبلي او من الجبالين والطود تقدم معناه وهو مشتق من الطورا او من الطارة التي يصيدوا بها السمك واما بالثاء المثلثة وهي اللغة الفصيحة فهو مشتق من ثوران الارض لانه يثيرها بالحرث فانه معد لذلك والساقية ايضا بخلاف البقرة فانها معدة للحلب والولادة قال ابن سودون مواليا

* الثور والبقرة ذي العام من قبله ... في مصر والشام مع غزة مع الرمله

فذي بتحبل وتولد عجل او عجله ... والثور في الساقيه ياكل بغرقله

وقوله ابن خالي الخال اخو الام فعلى هذا يكون الناظم ابن اخت صاحب الثور والخال مشتق من الخيلاء او من الخيل او من الخلخال او خيال الظل ومصدره التخيل يقال خال يخيل خيلا ويطلق على الخال الذي يكون على خد المحبوب فيزيده حسنا وجمالا كما قال ابو نواس

يكون الخال في خد قبيح ... فيكسوه الملاحة والجمالا

وقوله كيف مدلاتك المدلات واحدتها المدلة على وزن مبلة او المدلة مشتقة من الدل والدلال قال الشاعر

له دلال ودل زانه غنج * سبحان من خصه بالحسن في الناس

او هي من التدلية لكونها تدلت على الصدر او على الجوران او الاكتاف ونحو ذلك ومصدرها التدلي يقال تدلت تتدلى تدليا فهي مدلاة وقوله عجنني العجن مشتق من العجنة او من العجين قال الشاعر

والعجن مشتق من العجين * كذا من العجان باليقين

ومصدره العجن يقال عجن يعجن عجنا وتقدم تعريف القلب واشتقاقه (وقوله) في وحيلاتك العبارة من وحل وفيها الوحل ايضا وهو مشتق من الوحل ومصدره الوحل يقال وحل يوحل وحلا وقد يخاطب به الشخص فيقال يا وحل مثلا اي يا من طبعه وخصاله تشبه الوحل بخسة خبيثة (وقوله) يا ديتي قرص جلبه القرص هو الشيء المدور مشتق من التقريص او من القراصة ومصدره القرص يقال قرص يقرص قرصا والجلبة فيها ايضا وهي مشتقة من جلة البهائم (وقوله) بين اديانك جمع يد وقد ورد هذا اللفظ في القاموس الازرق والناموس الابلق قال الشاعر

جاءت لنا باديات تشير لنا * تمشي اليها سعرا بالرجيلات

(وفي نسخة اخرى) يا ديتي قرص جلبه بين رجيلاتك والمعنى واحد في النجاسة وعلى القول الثاني تكون الرجيلات جمع رجل وهي من الترجيل او من الرجلة قال الشاعر

اذا اشتقت الرجلان فهي كرجلة * والافرجل كالترجل اذ ورد

ومصدرها الرجل يقال رجل يرجل رجلا والرجلان مثنى الرجل وفي الابيات من انواع البديع تشبيه شيئين بشيئين لانه شبه سواد كحيلاتها وطول مدلاتها بهباب الفرن وحبل الثور ولبعضهم

تلاعبوا تحت ظل السمر من فرح * كما تلاعبت الاشبال في الاجم

(ومن اشعارهم ايضا مواليا)

سالت محبي قالوا اشتك ملتابه * مسحت دمعي بكرسايه وبيلايه

وشلت وجهي لربي قلت مولايه * جاب لي رغيف وعجوه وقثايه

هذا المواليا ثقيل الاوضاع تمجه الطباع قليل المعاني ركيك المباني خسيس النظام وهو من بحر زبل الكلام وطوله باتفاق من هنا لبولاق وعرضه بدستور من الجيزة لبولاق التكرور وتفاعيله مستثقلن ثاقلن مستثقلن ثاقلن ومعناه الذميم لا تهواه صاحب الذوق السليم وقصد هذا البليد من هذا المعنى السقيم الاكيد ان قوله (سالت محبي قالوا اشتك ملتابه) يريد به انه لما عشق هذا المحبوب وزاد به العشق والوجد والغرام اكثر من ذكره

وما داما لا يفارقه طرفة عين فان من احب شيئا اكثر من ذكره ولوانه في اعظم المشقات واصعب البليات ~ ح لك عنترة بن شداد

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

والعاشق يتلذذ بذكر محبوبه واذا ذكر عنده ربما تختلج اعضاؤه عند ذكره شوقا اليه (كما اتفق) ان رجلا زاد به العشق فمرض فاتوه بطبيب فاخذ يجس نبضه ثم قال الطبيب لغلام مغات الفرجية فتحرك نبض المريض فقال الطبيب انت عاشق ومحبوبتك اسمها فرجيه فقال له نعم ياسيدي فقيل له من اين عرفت ذلك فقال امسكت نبضه وذكرت الفرجية فتحرك فعلمت بالفراسة انه عاشق ومحبوبته اسمها فرجيه ومن هذا المعنى ما ذكرته في بعض القصائد من قولي

شكوت ما بي فقال الصحب اجمعهم * انظر طبيبا لقد امسيت في وجل
فرحت نحو طبيب كنت اعرفه * يدري رسوم الهوى بالقول والفعل
ناديته يارعاك الله خذ بيدي * وانظر لحالي ودا والقلب من علل
فجس نبضي وقال الحب فارقكم * فرانصي وفؤادي صار في خجل
وقال انت سقيم في هوى قمر * بديع حسن رنا بالاعين النجل

الى آخر الابيات فلهذا اراد هذا العاشق استفسار الخبر عن محبوبه وان يعلم محله ومنزله ويسال عن حاله وفي اي مكان هو لاجل الاجتماع به وبلوغ المطلوب منه فسال عنه كما تقدم فقال له الجماعة المخاطبون جوابا لسؤاله ان محبوبك الذي تسال عنه شت اي ذهب وراح من النايه وهي محل يجعله الجماسة على شكل دائرة او نصف دائرة من القلقيل والطين وربما جعلوا له سقفا من الغاب والحشيش مثل بيت صغير ويضعوا فيه اواني اللبن لاجل عمل الجبن واجتماعهم فيه ويسمونه النايه فيقال ناية الجماسه وناية الغنامه ونحو ذلك مما هو مشهور بينهم وهذا كله في زمن الربيع فانهم يمكثوا هذه المدة على تلك الحالة وربما لطخوها بالجلة والوحل ايضا لاجل تمكين البناء وسميت بذلك لانها تاوي هؤلاء الجماعة وتقيهم من الحر والبرد فعلى هذا يكون محبوبه من اولاد الجماسة او الغنامة الذين هم رعيان الجاموس والغنم بدليل انه سال عنه الجماعة القاطنين بهذه النايه فلما علم انه شت منها باخبارهم له تشتت شمله وادركه البكا والنواح عليه بدليل قوله (سحت دمعي بكرساية وجلاية) اي حين علم ان محبوبه قد شت من النايه ولم يعلم خبره وكان ذهابه من النايه لاحد امور اما انه انكسر على ابيه مال السلطان فهرب لئلا ياخذوه عنه رهينة او انه راح في طلب عجلة او بقرة او ثور فشت في البراري لينظر ماذهب منه فلما لهذا العاشق الطفنس عن هذا المحبوب الدلس فلم يجده فبكى على فراقه كما هي عادة العشاق

واسلوب

في اسلوب المحبين وسال دمعه وامتد سيلانه وربما اختلط بمخاطه ايضا (كما اتفق)
ان بعض العشاق المغفلين قال لصديق له هذه الابيات

* اذا ما ذكرتك يا منيتي * يسيل المخاط على لحيتي *
* وليتك عندي اذا ما غبت * يكون لسانك في نقرتي *
* نسيمك عطل ماء السما * واورثني الكسر في ركبتي *

فلكثرة شوقه وعشقه لهذا المحبوب قال مخبرا عن حاله مسحت دمعي بكسر الدال المهملة
جريا على اللغة الريفية اي لما حصل لي هذا الامر مسحت دمعي السائل مع المخاط
الذي هو من لوازمه بكرشايه فلم يتيسر مسح جميعه فمسحت باقيه ايضا بجلابيه
اي انه استعار له مسحتين عوضا عن محرمتين وهذا اما يناسب عشقه لهذا المحبوب وايضا
فيه مناسبة لحال العاشق لانه دائما في قطع الكرش وشيل الجلة وعجنها ولتها وكذلك
المحبوب فالجنسية علة الضم والاشياء مناسبة لبعضها البعض اذ لو قال مسحت
دمعي بمناديل او محرمة لكان هذا بعيدا عن الفلاح لانه لا يتصور ان يكون له
محرمة او منديل الا نادرا لان الظريف من اهل الريف اذا فرغ من الاكل مسح
يده في كمه او في لحيته فما بالك بغيره مثل هذا العاشق فانه لا يتصور منه لبس يليق بهذا المعنى
ولو سلمنا ذلك وان كان نادرا كما تقدم فقد لا يتفق ذلك في وقت سؤاله عن محبوبه لانه سائل
عن اهل النابة وهم دائما في حالة رذلة من الجلة والطين ونحو ذلك وهو ايضا في حكمهم ومتخلق
باخلاقهم ومحبوبه كذلك بل هو واسطة عقدهم في النجاسة ورئيسهم في النجاسة ولا
يتصور ان يكون مع احدهم منديل ولا محرمة لان مناديل الجماعة في الغيط دقونهم وعمارا
اكمامهم وربما مسح الشخص منهم يده في قرص جلة او في القلقيل او في الحشيش او نحو ذلك
فان قيل لك لاي شيء مسح دمعه بكرشايه وجلابيه وكان الاولى ان يمسحه بكمه او بطرف كمه
او بشيء كان عليه من ملبوسه قلنا لعله لم يكن عليه الا ما يستر به عورته فقط او كان عريانا
كما هو دأب الفلاحين في غالب اوقاتهم الكبير منهم عليه ما يستر العورة لا غير
فربما كان وقت سؤاله عريانا في حفر بئر او قناة او شيل زبل او جلة او نحو
ذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا القبيل او انه لشدة بلادته وعدم ذوقه
وكثافة طبعه لم يتيقن ان الكرشا والجلة نجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم
لا يتحاشوا عن هذه الامور فمسح دمعه بهما او انه من الخضوع المشروع
والتذلل لمحبوبه او انه اراد ان يفهمه اذا رجع واجتمع به انه مسح جبينه ووجهه
ودموعه بكرشايه او بجلابيه ليتحقق انه محب له وانه تعاطى لاجله اخس الاشياء
والاولى ان يقال هذا من باب المناسبة لحال العاشق وحال المعشوق
لان الشخص من اولاد الفلاح حين ينشأ من حين ولادته الى ان يموت
في الجلة والطين وشيل الزبل ونحو ذلك واذا جلس لا يجلس الا على

النجاسة وربما اكل وشرب على الزبل والجلة ونحو ذلك فهم خرا ولا دخرا فكان مسحه بالجلا
والكرتنا فيه مناسبة بهذا الاعتبار فلا يؤثر عنده المسح بذلك كما هو عادة ارباب الثايات واحوال
الفلاحين كما تقدم فاتضح الجواب من وجوه شتى ثم انه لما مسح دمعه وافاق لنفسه لما تيقن
ان محبوبه يطول رجوعه اليه ورأى نفسه جيعان ولم ير احدا يرسله الى داره و
ليأتيه بشئ يأكله من خبز الشعير والجبن القريش والبصل ونحو ذلك كما هو عادة
الفلاحين في اغلب ماكولهم لم يكن له صبر لان الجوع يضر بالانسان خصوصا مثل هذا
الفلاح لاسيما اذا كان في حالة حفر البئر اوشيل الطين او تحت قناة او شيل
الوحل وتراكمت عليه الدواهي والتعب من عقب حفر البئر او شيل الطين او
العشق الذي هو فيه وزيادة على ذلك بكاؤه وسيلان دموعه وامتزاجها بمخاطه
وقد ابطأ عليه الغدا فاضطر اضطرارا شديدا وسلخت عليه نفسه لانهم يقولون الجوع
كافر (دعت) بعض الفقها ولما خلق الله النفس سلط عليها انواع البلايا فقالت
انت انت وانا انا فسلط عليها الجوع وقال من انا فقالت انت الله الذي لا اله الا انت
فكان الجوع على النفس اصعب عليها من غيره ولهذا ترى الشخص اذا صبر عليه يصح
جسمه وينشط للعبادة * (وقال بعضهم) * كل كثير تنام كثير يفوتك خير
كثير كما قال الشاعر

اذا شئت ان تحيى سعيدا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا

كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذ اقل اكل المرء عاش طويلا

فلما اشتد بهذا الفلاح هذا الامر اخبر عن نفسه وقال في مناجاته لربه *
(وشلت وجهي لربي قلت مولايه) اي لما طال علي الزمن في حالة بكائي وفي مسح
الدموع واشرفت نفسي على الهلاك من السم الجوع وغيره كما تقدم شلت وجهي لربي
اي رفعته وهذه لغة ريفية وردت في القاموس الازرق والناموس الابلق كما يقال
عندهم فلان شال وجهه اي رفعه وقوله لربي اي لخالقي ومربيني ثم دعوته وقلت مولايه
وحذفت ياء النداء لضرورة النظم واما الهاء في مولايه فلاجل الروي ثم كان من ضمن
دعائه انه قال اطلب منك ياربي ومولاي ان تيسر لي ما آكله واتلهى به عن الانتظار
لهذا المحبوب الذي اذهل عقلي واجاع نفسي واسال مخاطي ودمعي فعند ذلك
استجاب الله دعاءه كما اشار بقوله * (جاب لي رغيف وعجوه وقتايه) *
اي سخر لي انسانا اعطاني مجموع هذه الثلاثة واكلت وسددت مجاعتي وحصل لي
غاية المقصود لان الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم فان قيل استجابة الدعاء لها شروط
ان يأكل حلالا ويشرب كذلك وهذا الفلاح في وقت دعائه متضمخ بالنجاسة وهي
مسح وجهه بالكرتنا والجلة ووقوفه ايضا ينتظر هذا المحبوب لاجل ما يرقعه جنب الحيط
او الجرن وايضا هو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا عجل الله له ما ذكر وهو

الرغيف وما معه قلنا انما عجل له الله هذا من باب الاستدراج او من باب ما ورد ان الرجل الخبيث اذا دعا يسرع الله له بالاجابة بخلاف الرجل الصالح فان الله تعالى يحب تكرار دعائه اليه وقد قيل في قوله تعالى في حق سيدنا موسى وهارون عليهما السلام قد اجيبت دعوتكما اي بعد اربعين عاما * (مسئلة هباليه) ما الحكمة في ذكره في الابيات الكرس والجلم والرغيف والعجوة والقتاية وهذا لا يناسب ذلك ولا يجتمع معه فان الشخص لا يمكن ان ياكل القتاية والعجورة بالجلة والكرس نعم يمكن بالخبز وغيره فما يناسب فما فائدة ذكر ذلك مع ان فيه انواع المجانسة *(قلنا)* لعل هذا من باب تعدد الاسماء وقد ذكروه نوعا من البديع فالكرساية واحدة الكرس والجلة واحدة الجلة والقتاية والعجورة كذلك وذكر القتاية بالتاء المثناة لغة ريفية فيكون بينها وبين اللغة الفصحى الجناس المصحف فاتضح الجواب وزال الاشكال عن وجه هذا الهبالة واما حل هذه الابيات واشتقاقها فقوله سالت عن الحب المسؤال هو ان يسال الشخص عن شيء وهذا من باب تحصيل الحاصل وهو مشتق من السيل او من السولة او من السالة ومصدره السؤال يقال سال يسال سؤالا والحب مشتق من المحبة او من المحبوب وهو بكسر الحاء اسم لزير الماء وسمعتاهي وانا صغير تقول يا شي من شي يطبي على بطنه والمدلى يعل شغله ولم افهمه الا بعد مراجعة اي مرارا انه زير الماء والكوز ومصدره الحب يقال حب يحب حبا وقوله شت مشتق من الشتات او من الشتيه التي تستعملها النساء لغزل الكتان والتاية مشتق من التوهان او من وادي التيه وقوله مسحت من المسحة على وزن المرحمة او من المسحة على وجه دبغة ومصدره المسح يقال مسح يمسح مسحا والجلة كذلك من معناها والكرسنا من التكريس او من كرس الزريبة وقوله شلت مشتق من الشالية وهو من وجهي الشيل والشالية التي يوضع فيها اللبن او من الشلفا الذي يشالك فيها التبن ومصدره الشيل يقال شال يشيل شيلا والعجوز من العجر او من العجيرة وهي حشيشة معروفة ومصدرها العجر يقال عجر يعجر عجرا * والقتاية مشتقة من القت الذي يربطوه الحصادين من الفلاحين ايام حصاد الارز وهو معروف عندهم وفي البيت من انواع البديع المقابلة لانه قابل وجهه بالكرساية وقابل لحيته بالجلاية وقابل بطنه بالرغيف والعجورة والقتاية وهذا يدل على انه كان مشغولا ببطنه اشد من اشتغاله بمحبوبه وفيه الطباق المعنوي ايضا لكونه طوى ذكر الجوع وشكايته ثم ذكر بعض ما يدل على ذلك فانظر وفقك الله ما حوى هذا النظم الفشروي من غموم وهموم ومعاني عليها الخشرا طموم لا يعرف الا بالذوق ولا يدركه الا بالشوق

ومن اشعارهم موالياً

رقاص طحونتنا يشبه لحالك * ورحينا في الزريبة قالت شمالك

الا وكلاوف يقول لى ياصبى مالك * طوراين شيخ البلد حالم كاحوالك
والمجاجيل فى الغيط بترعى لك * للحشيش والدريس الاخضر الحالك

هذا المواليا من بحر التبييط وهو على اربعة اضرب من التبابيط وتفاعيله مستفعلن لاهطن مستفعلن لاهطن وطوله من غير حصر من شبرى لمصر وعرضه مع المصيبه * من باب النصر للصليبه ومعنى الفاظه للعويطه وحل معانيه العبيطه ان قوله * (رقاص طاحونتنا يشبه خلخالك) * اى رنة خلخال محبوبته وسماعه اذا اخطرت ومشت يشبه رنة رقاص الطاحونة خصوصا اذا كان خلخالها من النحاس المطلى بالقزدير كما تفعله نساء الارياف او من الحديد فعلى هذا يكون المشبه به السماع والحسن لا نفس الرقاص وسماعه يظهر عند دوران حجر الطاحونة فيكون هذا الصوت الذى شبه به صورة خلخالها ناشئ من بين الحجر والرقاص ولهذا اعرفوه بانه الهواء المنضغط بين قالع ومقلوع او قارع ومقروع فاتضح المعنى واندفع الاعتراض عن الناظم والا لو كان المشبه به نفس الرقاص لم يكن هناك فائدة لكلامه الاعلى تقدير مضاف اى صوت رقاص طاحونتنا الخارج منه ومن الحجر يشبه لصوت خلخالك من بين الفردتين اذا مشيت ويفهم من هذا انها كانت تلبس فى كل رجل خلخالا كاملا لاجل ظهور الصوت فان قيل ان رقاص الطاحونة له حس مرعب عند دوران الحجر وله فرقعة عظيمة منفرة للقلوب عند سماعها ولهذا يفعله الطحانون لاجل معرفة الناس ان هذا محل الطحن فيأتون اليه للطحن فيه ولاجل دوران الثور والفرس فانه ما دام يسمعه يدور فاذا رفعوه وانقطع حسه عند فراغ القمح من القادوس وقف فهو معد لاجل نشاط البهائم وسرعة دورانها فاين المناسبة بينه وبين الخلخال من الفضة فان الشئ انما يشبه به ما كان مثله فالجواب ان هذا المطلع لم ير الخلخال اصلا ولا ملكه طول عمره وانما يعرف رقاص الطاحونة فظن بسوء طبعه وعدم ذوقه ان صوت هذا الرقاص لم يكن فى الدنيا احسن منه سماعا فشبه صوت خلخال محبوبته لا سيما اذا لم يكن من الفضة بل كان من النحاس او الحديد فانه اذا كان كذلك ومشت به محبوبته فان حسه يقارب فى السماع حس الرقاص وبالجملة فلو كان هذا الفلاح طحانا لطيفا لم يتكلم بهذا التشبيه الكثيف والطف ما سمعته فى طحان هذان البيتان

طحانكم قد زهى جمالا * فما يطاق السلو عنه
ورق خصرا فليس عندى * بكم يباع الدقيق منه

واحسن ما سمعت فى محبوب فلاح قول بعضهم

رب فلاح مليح * قال يا اهل الفتوة
كفلي اضعف خصري * فاعينوني بقوة

اقول هذا من باب عمى العاشق عن عيوب المحبوب والا فالفلاح وان كان جميلا فان افعاله بعدم اللطافة مشهورة وغاية الامر ان هذا العاشق نظر الى الردف الثقيل والخصر النحيل فدهش فاتضح الجواب وبان الصواب ثم انه اضاف الطاحونة الى نفسه لكونها كانت ملازمة له وفاطنا فيها ويحتمل انها كانت ملكه او ان هذا من باب بنى الامير الجدار ثم ما كفى هذا القائل للخبيث الطبع الرثيث الوضع الذي لا يعرف الحب ولا يدريه وعشقه يشبه الخرا ماذكره من النظم الركيك والمعنى الدنيء حتى تخيل له ان الرحا تخاطبه بالمقال وانها تفهمه عن شرح الحال فاستحضرها وقال لا وحينا في الزريبة فاكتا شيها لك يشعر هذا الكلام بان الرحا خاطبته وانها سالته عن حاله وقالت له ما هالك اليوم يا مسكين وقد وصلت الى العظم السكين وكيف صبرك على فراق محبوبتك ومقاساتك التعب والمشقة من اجلها هذا اذا جعلنا خطاب الرحا له واما اذا كان الخطاب لمحبوبته فيكون ذلك من باب سلام الرحا عليها واستفهامها منها ما هي فيه في هذا الوقت وبالجملة فان كانت اللام التي قبل حرف الروي مضمومة كان المخاطب له وان كانت مخفوضة كان لمحبوبته ولعل هذا هو الاصوب وسيأتي ان نصب اللام وخفضها لا يضر في الشعر ويفهم من قرائن المقام ان محبوبته كانت مثله طحانة تطحن على الرحا في الزريبة فان هذا العاشق كان يتردد عليها ويشاهد هذا الامر فكانت الرحا اي لسان حالها ترى منه هذا الامر فتخاطب تارة العاشق وتارة المعشوقة خطابا بلسان الحال لا بلسان المقال فانها ليست من اهله ثم انه لما علم من حالها انها سفضعت له ورقت لحاله حيث خاطبتها بالجبارة وانه يريد منها ما يريد الراهب من المسكاره اراد ان يعرفها ما يقع لغيره قبل مواصلته وما يتفق لبعض احيانا واخوانه من الاثوار من تقول جسمهم من ضرب العرقلة وتعب السواقي والحرث ويكون لك لاجل ما يأتي به ويشتكي حاله فاتى باداة الاستثناء فقال الا وكلاف يقول لها يا صبحي مالك) وفي نسخة بدل ما لك والك بالواو (طور ابن شيخ البلد حالم كاحوالك) اي ان هذا الكلاف ويقال له العلاف بالعين المهملة ويسمى التوار ايضا وهو الذي يتكلف اليها ثم والاثوار ويتعاطى خدمتها لما رأى هذا العاشق ومقاساته للاهوال من اجل محبوبته وقد صار في حالة رذيلة سقيمة عند مشاهدة محبوبته لان العاشق اذا شاهد معشوقته اعتراه التغير وغالب الاصفرار واذ بلم النحول قال الشاعر

علامة من كان الهوى في فؤاده * اذا ما راى المحبوب يوما تغيرا
ويصفر منه اللون بعد احمراره * وان طالبوه بالجواب تحيرا

وايضا رآه في حالة فقر وافلاس ونا هيك بالعاشق المفلس كيف يكون حاله

وشاهد ما هو فيه من النحول وشدة النحول قال له يا صبي ما لك او والك على الرواية الثانية لغة
عند اهل الريف والمعنى واحد اى ما حالك هذا الذى انت فيه وما سبب مقاساتك
المنطيب وانما خاطبه بلفظ يا صبي لكونه اعترته الصبوة اى المحبة والميل وسيأتى اشتقاقها
او انه كان من صبيان البلد اى من شجعانها وفلاذله للحب واغلمه الغرام والمعنى انك لست
مختصا بهذه الحالة وحدك بل ان بعض اخوانك من الاثوار نابه ما نابك واصابه ما اصابك
وهو ثور ابن شيخ البلد الذى هو اعظم الاثوار واكبرها فان الحال بتاعه مثلها للتى قد نحل
جسمه واصفرت ذاته مما قاساه من التعب وما كابده من النصب وما اكله من الضرب
على اضلاعه وما حصل له من شدة او جياعه وهذا من باب التسلية والتأسى بالغير كما سبق
واراد تسليته بالثور لكونه فلاحا ومن شأن الفلاح فى الغالب لا يضرب الامثال
الا بالبهائم ولا يكثر الا من ذكرها وذكر الات الغيط ونحوها فخاطبه من جنس ما يناسبه
كأنه يقول له سل نفسك وصبرها على العشق والغرام فان هذا الامر ليس مختصا بك
فان صديقك ورفيقك الذى هو ثور ابن شيخ البلد حاله يشبه حالك واتى بهذا
التشبيه للتنبيس المبنى على غير تحسيس لينا سب عشقه وحال محبوبته كما تقدم بيانا لسلو
يخرج تشبيهه عن ماهية ما هو فيه لانه دائما فى معاشرة البهائم والاثوار وكذلك
محبوبته فاتحد الحال وظهر الجواب عن هذا الاشكال اذ هو نظم يشبه بول
الرجال وقائله اثقل من الجبال واما شرح كلمات الابيات واشتقاقها فقوله رقاص
طاحونتنا الرقاص آلة يصنعها النجار من الخشب تشبه الكف والانامل معلقة فى عود
من الخشب او من الحديد فاذا دار الحجر رقصت عليه وسمع لها حس وسميت الرقاص
لانه مشتق من الرقص على وزن القمص او من قرية فى البحر الغربى يقال لها مرقص
ومصدره الرقص يقال رقص يرقص رقصا فهو رقاص والطاحون على وزن
المأبون والمجنون مشتقة من طحن القمح او من الطحين ومصدره الطحن يقال
طحن يطحن طحنا فهو طاحن له ومطحون والخلخال مشتقة من الخلخلة او من
الخيلاء او من خلخلة الهواء ومصدره الخلخلة يقال خلخل يخلخل خلخلة والرحى
جمع رحى وهى حجران صغيران احدهما مركب على الآخر الاعلى يدور وعلى الاسفل
وفى وسط الاسفل عود من الحديد يدور عليه الحجر الثانى يقال له القطب قال
ابن دريد رحمه الله تعالى فى مقصورته

* وان سمعت برحا منصوبة *
* للحرب فاعلم اننى قطب الرحا *

والرحا بضم الراء واحدتها رحًى كما تقدم وهى مشتقة من الراحة او من
الروحاء محل بأرض الحجاز او من الرواح وقيل من المروحة ومصدرها
الرحا يقال رحى يرحو رحا

قال

قال الشاعر

* له راحة مشتقة من ريحانهم * تروحني لما اروح الجارضي

والزريبة مشتقة من زرب البهائم لانهم دائما يزربوا فيها ويعلفوا فيها وربما بالوا فيها ايضا كما هو معروف بينهم ومصدرها الزرب يقال زرب يزرب زربا والكلاف مشتق من الكلفة او من الكلف وهو النمش الذي يظهر في وجه الامرد او الجارية بعد بلوغها ودليله ان هارون الرشيد مر يوما بجارية تباع فقال والله لولا كلف بوجهها لاشتريتها وانشدت الجارية تقول

ما سلم الظبي على حسنه * كلا ولا البدر الذي يوصف

البدر فيه خلس بين * والبدر فيه كلف يعرف

فاشتراها هارون الرشيد لفصاحتها وحظيت عنده واذا كان بلفظ العلاف كما تقدم فيكون مشتقا من العلف او بلفظ التوار فيكون مشتقا من التيران ومصدر العلف يقال علف يعلف علفا وقوله يا صبي مالك بنصب اللام والبيتان التا نيات بكسر اللام وهذا لا يضر لانه ورد في شعر العرب وتقدم في غير هذا المحل اشتقاقها من الصبي من الصبوة او من الصابون او من قناطر الصابون وتقدم تعريف التور لغة واصطلاحا (مسئلة همالية) لاي شيء اتى في النظم بالتور فقط وكان من حقه ان يأتي بالعجلة ايضا او بالبقرة حتى يكون الناظم في مقام التور والمحبوبة في مقام العجلة او البقرة بحيث يكون الذكر للذكر والانثى للانثى ويكون هذا من باب المقابلة التي هي ابلغ في النظم (قلنا الجواب) المشهور انه يفهم من ذكر التورة ذكر العجلة او بنت البقرة كما ان ذكر عنتر يفهم منه ذكر عبلة فكان الاعتراض على الناظم في غير محله وكان المقابلة معنوية وهذا من باب قياس فلحس ابن فلطس الذي قاس البحر على المغطس (فان قلت) لاي شيء خص الناظم الربي في الزريبة مع انها ليست معدة لذلك وانما هي معدة لزرب البهائم فيها كما تقدم انهم يبولوا فيها بيقين فان البول فيها لا يدوم ولربما كانت جوانبها سالمة من البول فيعملوا فيها الربي لاجل الطين او يقال ان نساء الارياف لا يتحاشين من الزبل والجلة فان المراة منهن اثوابها دائمة متضمخة بالجلة وغيرها في غالب الاوقات فاتضح الحال عن وجه هذا الهبال ومن اشعارهم مواليا

* رايت حربيفي بفرقلة يسوق تيران *

* لو كرا صفر على راسه كما الليسان

* ياريتني كنت لمحدوه من الحدوان *

* او كان لي شلق فوق راسي من الكتان

هذا المواليا من بحر التخريف ومعنى التخريف بالتقدير من سمنود لا يحصيه واما
معناه للخارج عن الادراكات للبارح لقلوب ذوى المروآت الذى يمجه الطبع
ولا يسعه محل من البيوت ولا ربع فان قوله (رايت حريفى بفرقله يسوق تيران)
هذه الرؤية بصرية اى شاهدت ببصرى لا بيدى وحريفى اى محبوبى
وهذه اللفظة من لغة الارياف لانهم يخاطبون محبوبهم بهذه الكلمة فيقول له
الشخص منهم فلان حريفى اى صديقى او صاحبى او محبوبى ويقول له فلان
تعال عرفنى او لاقشنى يا ابو وسعه او هارشنى يا ابو عريضه او حارفنى
يا مليحه او يا بوكاره او يا بوكره ونحو ذلك من هذه الالفاظ وسياتى كيفية
لقشهم على المرد والنساء فى الارجوزة الاتيه فى اخر الجزء ان شاء الله تعالى
وقوله بفرقله يسوق تيران * يريد به التفنن فى وصف المحبوب حيث جعله سواقا
بفرقلة لان الانسان اذا عشق شخصا يصفه بوصف يليق بحالته التى هو
فيها من لبس او صنعة او نحو ذلك مما يكون مغرما به وعاشقا له كما اتفق ان
بعضهم كان يهوى غلاما يهوديا وكان الغلام مغرما بضرب الناقوس
فرءاه يوما وهو يضربه فانشد يقول

* * رايته يضرب الناقوس قلت له * من علم الظبى ضربا بالنواقيس
فقلت يا نفس اى الضرب يعجبك * ضرب النواقيس ام ضرب النواقيس

فانظر الى دقة هذا الكلام والى مصادمة هذا النظام فكان هذا مناسبا لها لكل
منهما لان العاشق فلاح والمحبوب سواق ولا يستغنى الفلاح عن عشرة السواق ولا
السواق عن الفرقلة ايضا والفلاح عنده التيران فى مقام الاولاد كما ان السواق
عنده الفرقلة اعز من اخيه وولده ولهذا تراها دائما على كتفه لا تفارقه فكان المطلوب
من هذا العاشق وصف هذا المحبوب بما يناسب مقامه وما يألفه ثم ما كفى هذا
العاشق الماسخ والهم الراسخ ما وصف به للحبيب من امر تعاطيه الفرقله واشتغاله
بسوق التيران وانه عنده من اكابر الريف ومن اعز السواقين الاعيان حتى وصف
ما على راسه فقال (لوكر اصفر على راسه كما اللبشا) هذا على حذف مضاف تقديره
ان هذا المحبوب لوكر وهو الشد الذى يلفه على راسه يشبه فى لونه نوار اللبشا وهذا
من قبيل التفاخر بمحبوبه والتعاظم له حيث وصفه بان له لكرا اصفر على راسه
يشبه نوار اللبسان وانه متميز عن غيره من السواقين والريفيين بهذا الكر
فقل ان يلبسه احد من جنسه واذا فرض ان احدا يلبسه لا يكون كله اصفر
كنوار اللبسان بل ربما تكون اطرافه فقط من عصفرة او معصفرة كما يفعله اهل
الرياف لاولادهم فان قيل لاى شئ شبه كر محبوبه بنوار اللبشا ولم يشبهه
بالزعفران او العصفر ونحو ذلك (قلنا الجواب واضح) وهو

انه انما شبهه بهذا الزهر لانه لايعرف الزعفران ولاغيره من الصبغات وانما يعرف ما تظهر صفرته من اصناف النوار مثل نوار اللبسان لانه فلاح والفلاح لايعرف الا ما يظهر من الزرع وكذلك محبوبه سواق بفرقلة فكان الانسب ان يشبه كرة بما يعرفه والا لو فرض انه شبها اكربشئ لطيف او وصفه بوصف ظريف لخرج عن ماهية الرذالة وكان منه تشبيها لطيفا بعيدا عما يقتضيه طبعه من الثقالة فاتضح الحال من وجه هذا الاشكال ثم لما علم ان محبوبه دائما يمشي بحدوة في رجله اذا احتاج الى حرث الارض او حصاد الزرع او الذهاب الى الساقية اذا كانت بعيدة تمنى ان يكون حدوة في رجليه من الحدوان فقال (يا ريتني كنت له حدوة من الحدوان) اي يا ليتني فابدل اللام راء على لغة اهل الريف اكون دائما حدوة في رجليه ولو كان بها النجاسة حتى اتلذذ بمس بشرة رجله الخشنة وكعبه المقشف فانظر الى قلة عقله وصناعته بحيث جعل نفسه حدوة من الحدوان بل هو حدوة من الجديان واردل من هذا التمني في هذه الابيات قول بعضهم في المدرجات

يا ليتني كنت له سنداسا * او كنت في اقدامه مداسا

فتمنيه في الشطر اشنع من تمني هذا الفلاح لان السنداس اشنع من الحدوة لانه محل الشيء المستقذر نعم الشطر الثاني من قبيل ما نحن فيه ثم ان هذا الفلاح لم يقبل ولم يبلغ مناه ولم ينل ما تمناه ولم يظفر من محبوبه برضاه تمنى ان يكون محبوبه مرفوعا على راسه فقال (او كان لي فوق راسي شلق من الكتان) الشلق يطلق على قطعة حبل من الليف او الكتان وربما سمى اهل الريف الحزمة الصغيرة شلقا وهذا من باب التذلل للمحبوب والتواضع له حيث جعل نفسه حدوة من الحدوان في رجليه وجعل محبوبه شلق كتان فوق راسه لاجل ما يعصب راسه به اذا اشتد وجعها من الم الصداع والضارب والدواهي والمصائب وهذا من عدم ذوقه وقلة عقله وشدة جهله فان قيل اذا كان هذا العاشق قصده ان يكون محبوبه في صورة شلق من الكتان يربطه براسه يكون على هذا التقدير محبوبه دائما في تعب منه مع ان العاشق لا يريد الا راحة محبوبه (قلنا) ان هذا من باب التواضع والفشروي للمحبوب وطلب الرفعة له والعلو بكونه دائما فوق راسه مرفوعا لان الراس ما داس وعلا فلا يكون فوق محبوبه شيء ولا دون هذا العاشق احد من العشاق في التواضع او انه من قبيل الاشتغال به بربطه على راسه على الاحتمال الاول حصلت هنا المقابلة لراسه وللحدوة التي في رجل محبوبه فكان هذا من باب التدلي وعكسه فناسب الامر واتضح المعنى وهذا كله من تمنيه ما لا طمع فيه على حد قول بعضهم (الا ليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب) (مسئلة تهبالية) لاي شيء تمنى هذا العاشق ان يكون حدوة ولم يتمن ان يكون

وطامع انه المناسب وزنا كان الطف واظرف من الحدوة واغلى ثمنا والحدوة فيها يبس وعجرفة اكثر من الوطا والوطا يفرح به الفلاح ويقبله خصوصا في ايام الاعياد ونحوها والمحبوب لايليق به الا الشئ النفيس فما الجواب قلنا الجواب عن هذا البحث الفشروى ان هذا المحبوب دائما يمشى الى الحرث والحراث لايليق به المشى في حالة الحرث الا بالحدوة وايضا هي اكثر استعمالا لكثرة مايدوس بها في الارض المحروثة في سروحه ورجوعه وفي شدة الحر وبذلك تكون النجاسة فيها اكثر والقذارة اوفى واوفر فتكون بمقامه انسب واوفق بحاله من الوطا واقرب وايضا هي المعهودة والمعتادة في مثل هذا المقام اذ من عادة الفلاح انه لايسرح ويروح الا والحدوة خلف قفاه مربوطة بحبل في نبوته والعادة تثبت ثمرة فكان الاولى لهذا العاشق ان يتمنى ان يكون له حدوة لانها عند المحبوبة المالوفة فهي احسن من الوطا وايضا العاشق من شانه انه يحب ما يالفه محبوبه ويهواه ومن شانه التذلل للمحبوب والخضوع له والذل في الحب لائق بالمقام كما قال بعض الملوك في جارية وكان مغرما بها ومشغوفا بحبها

اي هارون الرشيد كما في تزيين الاسواق

ايا ربة الخدر التي ضيعت نسكي * على كل حال انت لابد لي منك

فاما بذل وهو اليق بالهوى * واما بعز وهو اليق بالملك

وقال هارون الرشيد في جواريه الثلاث

ملك الثلاث الانسات عناني * وحللن من قلبي بكل مكان

مالي تطاوعني البرية كلها * وبد فوتن اعز من سلطان

ما ذاك الا ان سلطان الهوى * واطيعهن وهن في عصياني

فاتضح الجواب وبان الصواب (مسئلة اخرى) فان قيل كان من حق الناظم ان يقول (اوكان شلق في وسطى محزم به) لان الشلق كما تقدم حبل من الكتان او الليف والحبل لايكون معدا الا للحزام او لربط شئ ونحوه واما وضعه على الراس فنادر فما الحكمة في ذلك قلنا الجواب عن ذلك ان الشلق وان كان معدا لما ذكر الا ان الغرض للناظم خلاف ذلك وهو انه يريد رفع محبوبه على راسه حتى يصير في اعلا مكان واشرف منزلة وبذلك ظهرت الحكمة فيما قاله وايضا يمكن الجواب بان يقال ان من عادة الفلاحين انهم يلقوا على رؤسهم الحبال اذا كانوا في شغل دق الكتان او قتل الحلفه فيجعلونها مقام الكرويه يلفون بها رؤسهم ويحظون بها طواقيهم لئلا تقع من على رؤسهم واما اذا جعلنا الشلق بمعنى الحزمة الصغيرة كما تقدم فلا اشكال بل هو الاوفق بقوله فوق راسي من الكتان فاتضح بما قلناه الجواب وظهر المعنى وبان الصواب *

(شرح لغات الابيات) قوله حربوق مشتق من الخرفة او من الخرافة

او من حروف الهجاء او من حرف الماجور قال الشاعر

حريف اذا ما اشتق فاذكر حرافة * وقد قيل من حرف الهجاء وحرفة
وقد صح فى القاموس الازرق انه * من الحرف للماجور فاصغ لحكمة

ومصدره الحرف يقال حرف يحرف حرفا فهو حريف والفرقلة مشتقة من الفرقلة على وزن المزبلة او من الفرقال على وزن المثقال او عبيد الزبال وروايته فى القاموس الازرق والناموس الابلق ان الاصل فى وضعها الطراشة التى تلعب بها الخلابيص فى السامر وحملت الفرقلة قياسا عليها وكان اسمها فى الاصل فرقيعة وان الذى صنعها صار يضرب بها الناس ويفرقع فكل من رآه يضرب آخر فرقع له فحذفوا العين المهملة من آخر الفعل واضافوا اللام وهاء الضمير الى تقيته واقاموا الضمير المذكور مقام هاء التأنيث وجعلوا مجموع ذلك علما على هذه الحالة المنقولة وقالوا فرقلة كما قالوا مثل ذلك فى بعلبك ومعدى كرب ونحوهما من المركبات المزجية فان قيل اذا كان اصل الفرقلة الطراشة فلاى شئ ترك الناظم الاصل واتى بالفرع والاصل اشرف من الفرع الا فى بعض مسائل ذكرها العلماء قلنا انما كان يناسب الاتيان بالاصل لو كان محبوبه خلبوصا فان الطراشة من ملازمات الخلوص ولكن المقام لا يناسب الا الفرقلة لكون هذا المحبوب سواقا للبهائم وهو من اولاد الفلاحين فكان الانسب الفرقلة كما تقدم ومصدرها الفرقلة يقال فرقل يفرقل فرقلة وقوله يسوق على وزن يفوق مشتق من السواق او من الساقية او من السواقة ومصدره السوق والسواقة يقال ساق يسوق سوقا وسواقة قال الشاعر

يسوق اذا ما اشتق فهو سواقة * وساق وسواق وسقس لعده

والكر ما يلف على الرأس من الكتان والقطن وغيره وهو مشتق من الكركرة على وزن الخرخرة او من الكراويا او من الكرب او من كر الشئ اذا حله يقال حل عرضية فلانة اذا حلها من على راسه ومصدره الكر يقال كر يكر كرا وقوله كما اللبسان اللبسان نبات يطلع فى البرسيم له ورق عريض يأخذه اهل الريف وينزعوا اوراقه ويخرطوه بالسكين ويضيفوا عليه اللبن والملح ويبقوه زمانا يسيرا ويأخذوا قوامه ويسمون مجموع ذلك كبر باللبن وسيأتى ذكره فى كلام المتن وزهره يخالف زهر الكتان لانه اصفر وزهر الكتان ازرق قال ابن سودون

زهر الكتان مع اللبسان هما لونان ولا كذب
كيهود فى دير خلطوا بنصارى حركهم طرب

وهو مشتق من اللبس لانه ربما يلتبس على الشخص القليل المعرفة قبل ظهور نواره بنبات آخر غيره يسمى عند الفلاحين حميض بضم الحاء المهملة

وبتشديد الميم وربما اشتبه ايضا بنبات يسمى فسا الكلاب وورقه ايضا يشبه ورق
اللبنا وفسا الكلاب فيه بيقين منافع مذكورة فى منافع النباتات او من بئر
اللبسان وهى بئر مشهورة فى ارض مصر يطلع فيها نبات يدخل فى علم الصنعة
الالهية ويقال ان هذا البئر هى من باب الكنز الذى تاتى اليه الحبشة وتاخذه
فى اخر الزمان ومصدره اللبسان يقال لبس يلبس لبسانا والحدوان على وزن
الجروان واحده الحدوة وهى جلدة تعمل على قدر القدم لها خيوط من الجلد تمسكها
ويستعملها الحراثون وغيرهم لدفع المشقات واذهاب الحفا والعيا عن الرجل
ونحو ذلك ومصدره الحدو يقال حدا يحدو حدوا وقيل مشتقة من الحداية وهى
طائر معروف من الفواسق الخمس التى جوز الشارع قتلهن (فان قيل ان الحداية
من شانها الخطف والحدوة بخلاف ذلك فكيف تكون مشتقة منها قلنا
هناك ادنى مناسبة وهو ان الحدوة اذا مشى بها الشخص ربما خطفت بعض الحصا
وطرحته اذا اسرع صاحبها فى المشى فكان هناك بعض شبه بالحداية من هذا الوجه
(فائدة) ذكر صاحب القول المعاب فى وصف الغراب واقعة عجيبة وهى ان بعضهم
افتقر فدخل الى بعض اخوانه من الاغنياء يلتمس منه شيئا فعبس فى وجهه فخرج
من عنده منكسر النفس ومضى الى بعض المقابر فمرغ وجهه على الارض ودعا الله
تعالى واذا بحداة القت عليه شيأ فنظر فيه فاذا هو كيس ملآن دنانير
وفيه جوهرة تساوى جملة من المال فاخذه واتجر فيه وصار فى يسر الى ان مات
فانظر الى لطف الله تعالى ونعمه ومزيد عطائه وفضله على خلقه ورايت فى
القاموس الازرق والناموس الابلق ان الحدوة مشتقة من الحدادى
واستشهد على ذلك بشاهد فشروى فقال

والحدوة اشتقاقها صححوا * من الحدادى فاستمع ما رجحوا

والحدادى على وزن الجمادى جمع حداية والشلق مشتق من الشلوق او من
الشلقة او من الشاقول الذى يوضع فيه ربع الميقات ومصدره الشلق يقال
شلق يشلق شلقا والكتان معروف وهو مشتق من الكتانية الذين يتعاطون
تعطينه وتشميسه ونحو ذلك ومصدره الكتن يقال كتن يكتن كتنا (فان
قيل لاى شئ تمنى ان يكون محبوبه شلق كتان ولم يقل شلق خوص او حلفة
او نحو ذلك قلنا لعل شلق الكتان اقوى من شلق الخوص والحلفة او لعله من
باب اشتغال العاشق والمحبوب بزرع الكتان وقلعه وملازمتهما لهذا الامر
فهما لا يعرفان غيره فاتى بما يناسب الحال نعم لو كان محبوبه صعيدى لناسب
ان ياتى بشلق الحلفة لكون الصعيدى يالفها ولهذا يقال صعيدى مصاص
حلفة او كان خواص لناسب ان ياتى بشلق الخوص فاتضح الجواب

وزال

وزال الاشكال وتم المقال وقد انهينا ما اوردناه من شرح بعض كلامهم ودشهم وفتارهم وحل لغاتهم بلا مرا وكشفت معناها الذعليشيه الخرا الذى لا يعرف الا بالذوق ولا بد ان ناتى بطرف يسير من شعر من يدعى النظم وهو جاهل ويقول الشعر وهو ذاهل (من ذلك) ما اتفق ان هارون الرشيد جلس يوما عند زوجته زبيدة فجرى ذكر ولدها الامين وكان بليدا جدا بخلاف اخيه المأمون فانه كان حاذقا فطنا لبيبا عارفا فى النظم والنثر وغيره وكان الخليفة يميل اليه لفصاحته وسرعة جوابه وشدة حذقه فمدحه عندها فاغتاظت منه لكونه لم يمدح ولدها الامين فقال لها انه بليد لا يدرى النظم ولا يعرف النثر فقالت له بل ولدى اشعر من اخيه واقوى جراءة واشد فكرة ومعرفة فى النظم والنثر وان شاء الله تعالى فى غد اقول له ينظم الشعر ويعرضه على ابى نواس فقال لها الخليفة حبا وكرامة فى غد ان شاء الله تعالى لنسمع كلامه ونطلع على شعره قال فلما مضى النهار ارسلت خلف ولدها الامين واخبرته بالقصة التى وقعت بينها وبين ابيه والزمته بنظم الشعر وان يعمل ابياتا ويعرضها على ابى نواس فاجابها لذلك واعتزل فى محل خال من الناس وقدح فكرته الكاسدة وقريحته الباردة حتى عمل ابياتا يا تى ذكرها تشبه رص القلقيل ثم انه اتى الى امه واخبرها ففرحت وارسلت الى ابى نواس وقالت له اسمع ما قاله ولدى الامين فقد صار ماهرا فى الشعر بارعا فى النظم فقال له ابو نواس اسمعنى ما قلت فانشد يقول

نحن بنوا العباس * نجلس على الكراسى

فقال ابو نواس نعم وانتم لذلك اهل ومحل وانتم اصحاب الرتب العالية كمل الابيات فانشد تقول

نقاتل الاعادى * بالسيف والمزراق

فقال له ابو نواس تلفت ما قلت وغيرت القافية فاغتاظ منه الامين وامر بسجنه فسجنه اياما فتفقده الخليفة فقيل له هو فى السجن حبسه الامين لكونه عاب شعره فاحضره واحضر الامين وساله عن السبب فاخبره بالقضية كما تقدم فقال الخليفة للامين لولا انه رأى فى شعرك خللا ما عابه فقال انظم غيره واقوله قدامك حتى تنظر نظمى وتباهى فيما انظم فقال له افعل ما بدا لك قال فمضى الى محله واعتزل وطرد الجوارى ولم يبق احدا عنده وقدح فكرته الكاسدة حتى عمل ابياتا واتى الى والده وحضرت والدته زبيدة وكذلك ابو نواس فقال لهم اسمعوا شعرى فقال ابو نواس تكلم بما قلت فانشد يقول

يا قاعدا فى الاربع * ما مثلك فى الابلد
شبهتك بكنافة * مبسوسة بالخردل

والسمن فوقك سايح * مثل الحصان الابلق

فلما سمع ابو نواس هذا الكلام قام يجرى فقال له الخليفة الى اين فقال الى السجن يا سيدى ولا اسمع هذا الكلام فضحك عليه وعلى شعره فتحققت والدتر زبيه بلا دتر وسكت (واسمع من هذا النظم) ما قاله مرجان الحبشى وكان اميرا بثغر سكندريه وقد عارض بهذا النظم الشليع والكلام الوضيع همزية الاديب الورع الزاهد العالم الماجد البوصيرى رحمه الله تعالى ونفعنا به وخمسه ايضا وها انا اسرد لك هذا النظم الخسيس مصحوبا بالتخميس وهو

يا رسول الله قل من الناس المعروف
اصبحت بينهم مثل الطير المنتوف
بعد ما كنت مثل الخروف المعلوف
يا رسول الله اغثنا اغاثة الملهوف لقد اضربه اشعار من الكلماء

يا رسول الله ما عاد فى حد خير
يا رسول الله ما بقوا يوقروا صغير مع كبير
يا رسول الله كن لى منهم نصير
يا رسول الله اصبحنا بينهم مثل الحمير وهم يسوقونا بالعصاء

يا رسول الله احنا من رعيتك
يا رسول الله احنا من جملة امتك
يا رسول الله احنا فى جيرتك
يا رسول الله بحق صحابتك اجرنا من النار لها شعراء

وانا امدح نبى ربه اختاره وعزه
يا ما غزا الكفار بعسكره وغزه
ومن صلى عليه ربه لم يخزه
وقد عرج به ربنا وعزه وقد رأى من ايات ربه الكبراء

ضاهيت بها همزية الابوصيرى
والفرق بينهما يلوح للنحرير
وانظر الى الصبر هو مثل البورى
والاجبل مصر مثل الطور ولا الصقر الصايد مثل البوماء

انا انتخب الفاظها من القاموسا
ومن عارض نظمى فى نحيته يلقى موسا
ومن له فى الادب رتبة او ناموسا
لابد ان يميز بين الجاموسا والناموسا واولاد الحلال ما هى مثل اولاد الزناء

نظمي هذا ما هو مثل نظم الناس
نظمي هذا مثل درة في الكاس
ومن يستمع نظمي يقول دهاس
قد فقت في النظم ابو النواس   انا مرجان والحبش لي اباء
انا مرجان والي اسكندريه
وادري بحورا النظم بالكليه
ومن عارض نظمي يلقى بليه
انا اصبحت مثل الشمس المضيه   ونظمي مثل نظم ابو العلاء
نظمي مثل درة في حق
لهني على فتى عارف من حق
هو ابن المخاض مثل بنت الحق
ولا النمل السباعي مثل البق   وانا اصبحت مثل القط اسطاد الغاراء
انا اصبحت مالي في نظمي نظير
ولا مناهي قولي لاكبير ولا صغير
وانا اعطاني ربي الخير
انا مرجان الحبشي الامير   استخرج الدر من البحراء
واختم قولي بمدح طه الزين
يا سعادة من زاره في حنين
وقبل حجرته وشاف بالعين
وقال له يا جد الحسن والحسين   اشفع لمرجان ينجو من النار اء
فانظر الى قلة عقله وكثرة جهله على صاحب الهمزية نفعنا الله تعالى به
وظن هذا الغبي البليد ان نظمه في غاية البلاغة واستحكام الصناعة
مع انه اجهل من الحمار واجمد من الاحجار ورايت له ايضا نظما اثقل من
الحجارة وانجس من ماء الخرارة قد حكى في ترتيبه القليل في الرص
وفي رويته ذقن العرص عارض به لقلة عقله وسوء جهله خمرية القطب
الرباني والهيكل الصمداني سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته
في الدارين (سقينا على ذكر الحبيب مدامة طربنا بها) (كميتة من الكرم ختامها
مسك) ودارت علينا سقاة في يدها كوثر * كل ساق منهم يحكي لنجمة الفلك
وبايما شفنا من خمرتنا ورايتنا من سكرتنا * امور محتكات ومرتبكات ربك
وشاهدنا العجائب ورايتنا الغرائب * واندكت جبالنا من اطوارنا دك
مدامتنا هذه تعلو على مدامة الفارض * واين الثريا من الثرى لعمري بعيد من الدك

مدامتنا ما مثلها فى الكون مثل * ولا عند الرهبان والقسوس وابناء الترك
مدامتنا هذه من ذاقها فى كاسها * قال من طعمها هذه مثل السك
ومن اوصاف خمرتنا اذا صبت على حجر * لقام ذلك الحجر من حسن معانيها يبكو
ومن اوصافها كان ان شربها ضعيف * طاب لوقته ولم يجد قط يشكو
ومن اوصافها ان مرمزكوم على ديرها * وشم رائحتها من بعيد خلص بلا شك
ومن اوصافها ان صب فى قارورة صبا * تتأكل الامر وراح الطرف من حسنها يحكو
ومن اوصاف خمرتنا ان شربها ابكم * لترجم بكل لسان مثل سنا الملك
وقد شرب منها مرجان شربة * فاضحى بها هائم فى الكون بلا شك
فدونك مدامتنا لا تحول عن شربها * ففى شربها يا خالى البال الحك والدلك
وفى شربها فى حانها وسط مجلسها * من يد ساقيها السعد والملك
واختم خمريتى هذه بصلاتى وسلامى * على نبى عربى جاء الجمل يشكو
وعلى آله واصحابه كلما اخطوا الحجاج * عند سيرهم الحمول وفكو

فانظر الى عدم اصابته فيما ان هذه الخمرية وفرضها لكون ناظمها قلب طوطها فى عرضها وقد اتفق ان بعض القضاة من الاروام قال لنائبه نحن ننظم الشعر ونسمى بيت النظامين ونقول الشعر محاضرة فقال له النائب لا يبعد عليكم فقال له قد نظمت بيتا محاضرة فقال النائب اسمعنا اياه فقال

شين الشرع لها شاره * وتقطع مثل المنشاره

ما تقول ايها النائب فى هذا الكلام وحسن هذا النظام فقال بعد ان صاح عليه واشار بكلامه اليه وانا الاخر نظمت محاضرة عروض كلامك وشبيه قولك ونظامك فقال القاضى تكلم ايها النائب وصاحب الراى الصائب فقال

سعيده كانت مزاره * وتحب طبيخ البيساره

قال فهام القاضى طربا من كلامه ومن شدة ما اعجبه من نظامه واعطاه جوخة كانت عليه ومال قلبه اليه ولم يزل معه فى عز واكرام وهيبة واحترام الى ان عزل وادوات سفره قد حضرت وودع النائب بقوله فلا رجعت وكتب بعض البلداء ممن يدعى النظم لرجل من العلماء يسمى الشيخ محمد السلسيلى مراسلة يعرفه فيها عن حال بنت تسمى هند وعن اخت لها تسمى عرب وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحبها لانه طبعه كان يميل للاناث حتى انه كان لا ياكل الا من الزبدية ولا يشرب الا من القلة ولا يركب من الدواب الا الانثى ولا يقبل المذكر قط وكان من الاولياء العارفين غير انه كان يغلب عليه الخلاعة والانبساط مع النساء لاجل الستر على احواله رحمه الله تعالى ونفعنا به فارسل اليه يقول

بعد ازكى السلام منى نهاضة * لحبيب يحب دون بعاضه

اسمه السلسيلي والشيخ محمد * زادك الله في الانام رياضه
انت في ذا الزمان فصيح عزيز * وسواك الانام مثل المقاصه
انت ارسلت في الكتاب بتنسا له * من عريب فانها من بياضه
وهنيد زادت من الكل عجبا * بسواد العيون لا يا المعاضه
من يحب الملاح يسلي الدراهم * وفهدنا ما تملكني قراضه
وانا اسمي رازق الشيخ محمد * الضم القول اطرزه بالفصاحه

فلما قرأ الشيخ هذه الابيات ضحك وجعلها معه وصار كلما حصل له انقباض يعطيها لفقيه يقرأها له لانه كان بصيرا فينشرح ويزول عنه انقباضه وتقرب من هذا النظم المرثية التي انشأها لبعض الشعراء البلداء في رجل مات من الامراء يقال له ابن الخواجا مصطفى فاحببت ان اثبتها لما فيها من الابيات المحرفه والمعاني المقلحمه وهي هذه

الحمد لله لطيف اللطفا * في ابتدائي بمديح صنفا
وعلى ازكى البرايا كلها * صلوات الله جاءت بالوفا
وعلى الال جميعا كلهم * وعلى اصحابه والخلفا
بعد هذا ابتدي مرثية * في امير موته قد سقفا
جاءه الموت سريعا عاجلا * وعليه عزرائيل عكفا
بعد ما مات بلغني موته * عندها دمعي بعيني زلفا
ودموعي من عيوني قد جرت * مثل ما تجري سواقي مرصفا
قلت لما موته قد جاءني * صائحا يا اسفا يا اسفا
مات من في الناس يذكر اسمه * بالامير ابن الخواجا مصطفى
يوم ماتا الارض كادت ان تغور * والسما صارت سحابا كسفا
والاماكن كلها من بعده * وبنات الارض حقا قلعفا
كم له وسط المدينة سمعة * كالصناجق بل واعلى شرفا
كان والله شجاعا بطلا * حتى تنظره العدا ترتجفا
قد تولى وانقضت ايامه * يا نعم يا ابن الخواجا مصطفى
وجميع امواله قد قسمت * اخذوها اهل الطمع بالجرفا
لما ذا الامير اتاني نعيه * خفق القلب له وارتجفا
والاعادي فرحوا في موته * لاجل مال ينهبوه جرفا
من معادن فضة مع ذهب * وكنوز اخرجوها قففا
ورثوها بعده اعداؤه * فرقوها اليوم بفرد العلفا
من جواهر لا تناهى كثرة * لامعات نورها قد رصفا
ويواقيت زبرجد لؤلؤا * ودلاهم سابغات رعفا

قدرت فی بیت مال خدها * الف الفی الف الفی مقطفا
وعلی الکاشف منها اخذا * بعدما اسرف فیها مجحفا
اودعوها بیت مال بعدما * اخذ الکاشف منها واکتفی
کم اتی فی بیته من مرأة * مع بنات لا بنات الغدفا
ثم قد نحن علیه حزنا * وعلیه الناس صلت صففا
کم امیر جاء فی تربته * ووقع فوق التراب الشقفا
کم فقیه جاء فی موتته * وتلا یاسین ثم الزخرفا
ما تری قدمات بالبطن اذی * اوربا او بالرعاف ارتعفا
لیتنی شاهدته فی کفن * ذی بیاض حین قبر لفلفا
لیته لو عاش قرنا کاملا * لکن الموت علیه زحفا
یا تری من عاد یخلف بعده * فی مکارم قل فیها من وفی
نفسی یا تی حسین بعده * ینفع المیت ویبقی منصفا
لیت شعری لو تخلف بعده * وبمکرم مثله کی یخلفا
حیث اخلی داره من حسنه * زائدا الموت علیه عطفا
هکذا الدنیا دوا ما طبعها * تقهر الناس وتاتی بالجفا
کلما فیها تراه زائل * تنقلب بالغدر مثل الحرفا
لیس یعجبنی الاماره کلهم * کالامیر ابن الخواجا مصطفی
کم غمرنا احسانه مع جوده * کم عطایا زائدات بالوفا
کیف لا ابکی علی من جاد لی * بعطایا ما عطاها خسرفا
رب فارحمه وخلی بعده * امه والست وابنه یوسفا
قد توفی فی جماد الاول * سادس الشهر خمیسا شرفا
عام ارخ من ثلاثین مضت * بعد الف من سنین تعرفا
بعد هجرة من اتانا رحمة * بالهدی ازکی البرایا اشرفا
یا الهی اغفر لناظمها اسمه * عابد الرحمن وابنه یوسفا
جاء یسمی محمد معوری * فارض عنه یا لطیف اللطفا
وارحم الوالد واجداد له * والامیر ابن الخواجا مصطفی
وصلاتی وسلامی دائما * للنبی والآل اصحاب الوفا

ودخل بعض البلداء من الشعراء علی السلطان الملك العادل بیبرس وقد فتح قریة من قری الکفار فقال له اطال الله بقاء الملك انا فلان بن فلان بن فلان عاش ابی من العمر ستین سنة وعاشت امی اربعین سنة وانا فی سن الخمسین سنة وقد عملت لك ابیاتا تتضمن تاریخ فتح هذه القریة التی ملکتها ثم اخرج له رقعة

مكتوبا فيها (قد فتح السلطان بلدة * وانى لسعد البلدة * فلما فتحها ارخها * ما كما فى شهر ذى القعدة) فقال له الملك لم ار ابرد من كلامك الاشرف ومن نثرك الاحليك قال فخجل الرجل ومضى الى سبيله (اقول) قد سبق لك ان هذا كله من عدم الذكاء والفطنة وكثرة الجهل وقلة المعرفة والا فصاحب الذوق السليم لا ينطق بهذا الكلام السقيم فقد قال بعضهم لا ينبغى للشاعر ان يعرض قصيدته حتى يهذب الفاظها ويحرر معانيها ثم بعد ذلك يعرضها على من يشاء ويعطيها لمن يحب وقد قال بعضهم فى ذلك

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت فى تهذيبها

فاذا رويت الشعر غير مهذب * جعلوه منك وساوسا تهذى بها

وعشق بعض الفقراء غلاما فاراد ان يخلو به فلم يمكنه من ذلك فسلك معه طريق المكر والحيلة وصار يترجم بكل لسان بالزور والبهتان ويخبر عن بلاد وارض بعيدة واماكن صعب شديدة ويدخل بين الجمع ويشخص ببصره الى السما فيقول الحاضرون شئ لله ويقول لهم انظروا يا محجوبين الاوليا وهم طائرين فوق النجائب وقد اقبلوا من المشرق والمغرب فيقومون اليه ويقبلون يديه ويلتمسون منه الدعاء فلما راه الغلام على هذه الحالة اعتقد انه ولى وقال فى نفسه انا لى مدة اخدم شيخى ما رايت شيا فينبغى ولا اولى ولا اخبرنى بشئ من هذا الا يقول لى صلى وصم وما اشبه ذلك والاولى ان اخدم هذا الولى الفقير لعله ان يطلعنى على الاولياء والنجائب الطيارين دائما فى الهواء ثم انه تشاجر مع شيخه وانفصل منه واقبل على هذا الشقى وقال له يا شيخ جئتك طائعا ولامرك سامعا واعلم انى تعبت مع شيخى وهو يقول لى صم وصلى واعبد ربك الذى لا اله الا هو ولم ار منه بركة ومرادى ان انظر الاولياء الراكبين النجائب الخضر فقال له هذا الشقى اعلم يا ولدى ان الطريقة ليست بصوم ولا بعبادة فانت تريح نفسك من هذا التعب وانا اصب لك عمود النور فى بطنك فتنظر سائر الاولياء من وقتك وتقبل على النجائب الخضر وتركب وتشاهد الملكوت العلوى والسفلى فقال له الغلام فمتى تصب لى عمود النور هذا فقال له باسم شئ لله وما يكون ما الحياة هذا فقال له شئ ابيض يجرى فى قصبة الذكر عند وصول الوصال للفقير وعند الخلوة بالتلميذ قال وكان هذا الغلام مغفلا لا يعرف شيا من هذه الامور الذميمة فقال لذلك الشقى الممقوت قربنا على الخلوة فاخذه ومضى الى ان صار فى خلوة التعس والنكس والخسران ومحل الفسق والفجور فقال له انطرح يا ولدى على بطنك حتى اصب لك عمود النور فعند ذلك انطرح الغلام على بطنه

وصار هذا الشقي يترجم ويبرجم ويهمهم ويرمي ويزبد ويظهر الزور والبهتان والنزغ من الشيطان ثم انه كشف ردف الغلام فازداد به الوجد والهيام وقد اشتعلت في قلبه النيران وقام عليه الاعور الجبار فخطر على بابه تلك القبة المشيدة الاركان المزخرفة الالوان ودكه فيه فلم يمنعه الا الخصيتان فعندها صاح الغلام الامان الامان فلم يقلبه حتى قضى منه المراد على حسب ما اقتضاه عقله الخسيس فعندها صاح الغلام يقول هذا البيت

كفى حزنا ان لا نجابة عندهم * ولا لاوليا الا القبائح والذم

ثم ان الغلام قام وامسك لحيته وصار يشتمه ويلعنه ثم تركه ومضى واستوفى ما قدره الله عليه فانظر الى هذا القليل الدين الخبيث وتحيلاته على الفعل القبيح قاتل الله فاعل هذا الامر ولعن الله عامل عمل قوم لوط (ويحكى) عن الامير مقلد رحمه الله تعالى انه كان سائرا بموكبه وغلمانه الى بعض القرى فرأى رجلا مقتولا بجنب حائط والدم يجري على اوراكه فوقف ساعة ينتظر احدا فلم ير احدا ثم حانت منه التفاتة فرأى رجلا فقيرا قائما يصلي وقداما ابريق وفي رقبته سبح وعليه مرقعة كبيرة فوقف الامير مقلد عنده حتى اتم صلاته وقال لبعض غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ فقبضوا عليه فقال له الامير مقلد يا شقي تلبس على الله وعلى الناس ماهذه الخوبشة وتقتل النفس التي حرم الله قتلها فلاي شيء قتلت هذا الرجل الذي مررنا عليه قال فصار يحلف ذلك الفقير ويتضرع الى الله تعالى ويدعو على الذي قتله فقال الامير مقلد لغلمانه فتشوه ففتشوه فرأوا معه السكين الذي ذبح به الرجل الملقى على الارض ووجدوا جميع حوائجه عنده فلما رأى ذلك الامير مقلد قال له ما انت فقير بل انت زنديق ثم التفت الى غلمانه وقال لهم اقتلوه فقتلوه فانظروا يا اخواني الى هؤلاء الفقراء المتزندقين واعمالهم الخبيثة التي لا تحصيها كتب ولا دفاتر ولا دواوين فنسال الله تعالى السلامة في الدين والعبادة على اليقين وان يجعلنا من الطائفة الذين سلكوا مسالك الحق وساروا على قدم الصدق وعرفوا الله بخلوص النيات وترك المحرمات في مواضع الشهوات والقيام على قدم المجاهدات وتركوا الفضول واتبعوا ما جاء به الرسول اللهم احشرنا في زمرتهم وتحت لوائهم امين يارب العالمين (وسمعت) بعض الملحدين من الدراويش المحلقين لحاهم يقول كلاما يخالف الكتاب والسنة وهو ان البعث والنشور والجنة والنار لا حقيقة لها وان الشخص حشره ونشره وحسابه في نفسه وان الدنيا لا تفنى ولا تزول وانما هي شمس تطلع وقمر يزيد ويغيب وينشد قول ابي العلاء المعري

اني حسبت شقيق شرع موسى * وجاء محمد بصلاة خمس

وقالوا لا نبي بعد هذا * فضل القوم بين غد وامس

ومهما عشت في دنياك هذي * فما تخليك من قمر وشمس

فان قلت المحال رفعت صوتي * واذ قلت الصحيح دخلت رمسي

ثم يقول ان الشخص اذا خرجت روحه ومات دخلت في جسد من الاجساد في آدمي او في حيوان حتى يدور عليها الدور فترجع الى صاحبها الاول فيظهر بصورته التي كان عليها اولا وهكذا سائر العوالم فانظروا يا اخواني المشبهة كفرهم وجهلهم وسوء اعتقادهم لعنهم الله تعالى ويحكى ان رجلا صالحا اضاف جماعة من الملبسين معتقدا انهم من الصلحاء فلما فرغوا من المأكل والمشرب جلسوا يتحدثون فيما بينهم الى ان تكلموا في القرآن فقالوا لهذا الصالح اتزعم ان القرآن كلام الله تعالى قال نعم ومن شك في هذا كفر فقالوا والله ليس كذلك وانما هو كلام بحيرا الراهب علمه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع ما قالوه قام عليهم بالسب واللعن وعرف ضلالهم واخرجهم من منزله على اشنع حال نسال الله تعالى السلامة في الدين والدنيا والاخرة (واجتمعت) برجل من الفقراء كان يكثر الذكر والعبادة وكنت اعتقده فجلست معه يوما فتكلم في فضل العبادة فقال لي يا سيدي انا لي عشرون سنة على هذا القدم ثم قام فصلى فلما فرغ من صلاته توجه الى ناحية سيدي احمد البدوي نفعنا الله به وقال كن لي يا ابا الفرجات وتقبل عبادتي ويسر لي رزقي فقلت له ما هذا الكلام لا تقبل العبادة الا لله تعالى ولا يرزق الخلق الا رب العالمين وانما سيدي احمد البدوي رجل من اولياء الله تعالى وكل من قصد بالعبادة كالصوم والصلاة غير الله تعالى فقد اشرك وجعل لله تعالى شريكا والله سبحانه وتعالى اله واحد لا شريك له في ملكه فقال لي يا سيدي انما افعل ذلك عن شيخي الذي كان يقول لي قبل موته اقصد بعبادتك سيدي احمد البدوي فقلت له معاذ الله انما هو مخلوق والعبادة لا تكون الا للخالق وقد مات شيخك على ضلال وعبادتك كلها في هذه المدة فاسدة باطلة ثم ان ادركته العناية فتاب على يدي وانقذه الله تعالى من الضلال الى الهدى وتوجه الى الله تعالى واخلص في عبادته (وحضرت) مرة بعض الموالد فسمعت رجلا من الفقراء الزنادقة قد هام في الجمع وغنى فقال

يا ها انما خدمي خراطين كلبتي * والضحكات والحاضرين ورا الشر

وعشق بعض الفقراء الزنادقة غلاما جميلا فتحيل الى الوصول اليه فلم يمكنه ذلك فجاء الى رجل اشقى منه وعرض عليه حاله وشدة حبه لهذا الغلام فقال له ذلك الشقي خذ مصران غنم واملأه زيتا ولفه على بطنك من داخل الثياب وقف في وسط الجمع ودردش باللسان وخبر عن الشام وعن الزيتون وادخل يدك بلطافة وانت بجانب الغلام وحل المصران وخذ في يدك شيئا من الزيت

وارفع يدك في الهواء فان الزيت يسيل منها وتكون قد وضعت في جيبك زيتونة
خضراء فاخرجها بلطافة وارها للغلام والناس فيعتقدونك ولي من الاولياء
ويميل قلب الغلام اليك فاذا اتاك وقال لك علمني الولاية وهذه الكرامة فقل له الولاية
لا تحصل الا بتدبير النقطة الخارقة وهي المني ولا يصح تدبيرها الا في الخلوة
وادخل عليه بهذه الحيلة حتى تقضي منه المراد قال ففعل ما امره به هذا الخبيث ونزل
الجمع ووقف بجانب الغلام ودردش باللسان واستحضر الشام وعن شجرة الزيتون
ومد يده الى الهواء فسال الزيت من يده واظهر الزيتونة الخضراء فصاح الفقراء
وقالوا اشي لله وقبلوا يده فجاء الغلام وقبل يده ومال اليه وقال له يا سيدي اكون
معك واطلعني على الكرامات والولايات فقال له يا ولدي الولاية لا تنال
الا بالنقطة الخارقة فقال له يا سيدي ومتى تفعل ذلك فقال له يا غلام هذا لا يكون
الا في الخلوة ولا يصح بحضرة احد فقال له الغلام سر بنا الى الخلوة فاخذه ذلك
الشقي ومضى به الى الخلوة وقال له نم على بطنك فنام الغلام وكشف هذا الشقي عن
ردف ثقيل وخصر نحيل وركب فوقه ودفع ايره فما بقي الا الخصيتان فصاح الامان
الامان ما هذه الا ولاية زرقاء ثم قام من عليه بعد ان قضى مراده وتحقق الغلام
ان هذا كله من الحيل حتى وقع له ذلك ثم سارا ماشيين لقيا جمع فقراء في مولد
فقام هذا الشقي بجانبه في الجمع وترنم وهمهم وقال

صلونا على قبة مليحة مرخمة * ويصيبنا فيها من النور جانب

فاجابه الغلام بقوله

ما عدت تنظرها من اليوم يا شيخ * وما عاد لك الا التعب والمصايب

قال فزعق الفقراء عند ذلك وهاموا وظنوا ان الفقير وصل الى قبة الفلك الاعلى
ورقى عليها وان الغلام فات مرتبته وتجبر عنها وفاق على شيخه في الولاية والحال انه
ما رقى الا على هذا الردف الثقيل والخصر النحيل وصب في تلك القبة الدهمة الحادة
الحارة الدافقة وقتل الدود ودفع فيها العمود فهم في سكرتهم يعمهون قاتلهم
الله انى يؤفكون وقد قيل في هذا المعنى

يصان الفتى في حجر والده وانه * تدروش قاموا انا نكون وركاه

اي يستوي عليه جماعة من الفقراء او من طائفة الملحدين المخالفين الطاغين هم
من خواص الطوائف قاتلهم الله تعالى افسدوا عقيدتهم وشغلوهم عن الدنيا
والدين ودار بهم في التعاسة والخزي والنجاسة حتى تطلع لحيته فيتركونه خرا
بلا ذوق لا من النساء يشبع ولا من الرجال يحيى ومنهم طائفة لا يطلقون
الامرد ولو التحى وشاب ويشتغلون ويظنون ان الصواب بقول من قال

اهواه طفلا في القماط وامردا * وملتحيا واذا علاه مشيب

وقال آخر

بلوطي يدعي عاشق المرد في الورى * ويدعي زان من يحب الغوانيا
فقلت لاصحاب اللحاء تعففا * فلا انا لوطيا ولا انا زانيا

وهذا بخلاف مذهبنا في المحبة وسلوكنا في العشق فان الامرد اذا جاوز ثماني عشر سنة مجته النفوس ولا يرغب فيه الا وقت القتل من الفلوس فاذا بلغ العشرين خشن وجهه بيقين وظهرت لحيته وتغيرت حاله وعم النمل وخفي الخال الذي في خده وصار وجهه مثل قفاه وتلي عليه لا حول ولا قوة الا بالله وقد قيل في المعنى

التحى الامرد الذي كان في السن مسرفا
حسنا كان وجهه وسريعا تصحفا
سر والله ناظري مذ رأى ذلك اشتفى
شكر الله لحية صيرت وجهه قفا

وقال آخر

سلب الناس بالمحاسن حتى * اذهب الله حسنه والجمالا
طلعت ذقنه ودارت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ولوالدي عفا الله عنه في المعنى مع التشبيه البديع والجناس المصحف

قاربت للطلوع في الخد ذقن * اثرت لمحة قبيل النبات
كانتشار الظلام في الشرق لما * غابت الشمس عند وقت البيات

وقال آخر

ما يفعل الله باليهود * ولا بعاد ولا ثمود
ولا بفرعون اذ عصاه * ما يفعل الشعر بالخدود

فالعشق والغرام لا يكون الا لرشيق القوام حلو الابتسام من ابناء العشر وذوي اللطافة في الطي والنشر فاذا بلغ خمسة عشر سنة صارت محاسنه لعشاقه محسنة ولو اخطر لعذاله ما سنه وهذا هو الغرض والمرام عند اهل العشق والغرام ولا اعتبار بعشق هؤلاء الطوائف فانهم لدين الهوى مخالف وقبائحهم بلا دين وضلالتهم غادير واعتقاداتهم فاسدة وتجاراتهم كاسدة ومن فعل هؤلاء الطوائف الذي ابتدعوه والامر القبيح الذي اخترعوه مع هذه الاحوال وارتكابهم الضلال انه اذا مات بينهم انسان وكفنوه وعلى النعش وضعوه وتعاطى حمله اربعة ابالسة كانهم من جنس القساقسة او من دير الرهبان او من جن سليمان فيجرون بالنعش بقوة باس وشدة انفاس ويقيمون الصياح والزعيق ويقولون طار الشيخ بتحقيق ويقيمون به في بعض المحال يقرؤون فواتح وتصنيع بسببهم المصالح ويطوفون به حول البلد والمقبرة وهم في غبرة وعفرة كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وربما ساروا به من بلد الى اخرى وقد يرجعون به القهقرى وهم في خباط وعياط وشياط وصياح واضطراب وجبان ويقولون شي لله يا شيخ فلان

وربما غلط النسوان ولربين به الطرح بقدر الامكان * واخبرني بعض الاخوان ممن شاهد الامر عيان انهم مكثوا دائرين بميت من اول النهار الى غروب الشمس حتى انتفخ من شدة الحر وصار جلده لا يطيق اللمس فانظر رحمك الله هذه البدعة الفظيعة والطريقة الذميمة الشنيعة التي ارتكبوها من غير دليل ولا اثبات وانما هي اثم عليه واذية للاموات فعلى العاقل ان يقف على قدم الشرع ليحصل له بذلك مزيد الخير والنفع قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى

وزن بوزن الشرع كل خاطر * فان يكن مأموره فبادر

وان لا يختلط بهؤلاء الطوائف المضلين وارباب البدع الملحدين بل يكون على حذر منهم ويعتزل عنهم وان رأى منهم ما يخالف الشرع زجرهم ان استطاع والا تركهم وعاشر من يعود عليه منه الانتفاع قال بعضهم لا تصحب الا من انجيك حاله ودلك على الله مقاله ولنختم هذا الجزء بارجوزة تتضمن ما ذكرناه في هذه الاوراق وما عايناه من احوالهم باتفاق كما تقدم الوعد عن تحقيق فنقول وبالله التوفيق

قال الفقير يوسف بن خضر * لله حمدي دائما وشكري
ثم الصلاة والسلام ابدا * على رسوله الكريم احمدا
كذاك كل آله وصحبه * ومن قفاه بعدهم من حزبه
وبعد اني ناظم ارجوزة * لطيفة مفيدة وجيزة
تخبر عن حال ذوي الردا له * كذا عوام الريف لا محاله
فخذ هداك الله ما اقول * في نظمها وعنه لا تحول
اذا اردت وصف اهل الريف * اهل الشقاء وذوي الحيوف
وغيرهم من فقهاء الجهل * كذا قضاتهم عديمي العقل
والعلماء منهم والخطبا * وغيرهم ثم النسا والادبا
فاعلم هداك الله للصواب * لا تصحب الفلاح لاكتساب
ولا الفضل منه حقا تعرفه * ولا لامر من مهم يكشفه
ولا ترج منه نفعا يحصل * اذ ليس للامر الشديد يحصل
وليس يرتجى لقضاء حاجة * بل دابه الالحاح في اللجاجه
وان قضى مع كون ذاك نادرا * تلق له وجها عبوسا كاشرا
ويطلب الاجر على قضاها * او تتخذه سيدا وجاها
تصير في خدمته والنفع * في الحرث والقلع وضم الزرع
وكلما اردت منه تخلص * ترميك في هم له ينغص
فاسمع لقولي ان ترد فلاحا * لحاجة فما ترى نجاحا

ولا تؤمنه على معامله   فليس يعطيك سوى المماطلة
وان تزد معه سريعا يختصم   يقول لك حتى اسد الملتزم
وان بقي شيئ من الزرع فلك   خذه والا لا انطول املك
وان اطلت معه المخاصمة   اتاك بالشرع الملاكمة ه
ويسحب البوت والحزاما   ويلزمك بماله الـزا ما
وربما يقول للملتزم   هذا يريد ان يزيل نعمي
وياخذ الزرع بتلك الحيلة   والمال يبقى يا امير بلدي
واخرب سريعا وتبور الارض   من حى فلاح عليه القرض
فيمنع الامير رب الدين   عنه ويمسى حائرا فى شين
فليس فيهم ابدا نجاح   وليس يرجى منهم صلاح
بل مثلهم مثل الكلاب الجائعة   وحالهم حال الوحوش الراتعه
ونطهم فى الوحل ثم الحيله   وضربهم للثور ثم العجله
تسبيحهم قد ردح بنا للساقيه   واحسب مال البلد فى الزاويه
غالبهم عوراتهم مكشوفه   شعرته من طولها ملفوفه
وان لحمز اليتر يوما قصدا   ينزل عريانا كما قد ولـد ا
وليس فوق جسمه ما يستر   بل ايره ممطط مطرطـر
وفلسه للحر والبرد برز   وطيزه من الشقا بها غرز
رجلاه لو تراهما من القشف   مثل جلود قد بدا فيها التلف
وهمهم وشغلهم فى الطـر   فى حالة البرد ووقت الحر
ونطهم فى الحر بالغيطان   كمثل نط الوحش فى الوديان
وضمهم للزرع وقت القيظ   مثل عفاريت اتت فى الغيظ
وان يريدوا المزح والملاعبه   مثل كباش قد اتت محاربه
تلقاهم حينئذ زعيقا   تحسبه يا صاحبي نهيقا
بل ربما يفوق صوت الرعد   فى عفرة وعثرة وطرد
وان تجمعوا اللعب الكوده   تراهم فى غارة وعوره
من كثرة الصياح والزعيق   والجرى فى الزقاق والطريق
اولادهم ان لعبوا المداره   اوجلسوا للرقص والزماره
اوسرحوا بقصد جمع الجله   اوالتقاط سبل اورجله
مثل عفاريت اتت فى زوبعه   اوفرق من القرود الجائعه
صبيانهم اذ يلعبون فانح   كانهم بها يرسوا رح
وان هم فى حاجة تعللوا   فعلل الصبيان تلك العلل

وان اتت مواسم كالعيد — تراهم في النط كالقرود
ومردهم ترقص والنساء — فعيدهم وحظهم فساء
طباعهم مثل طباع البقر — وان تشا فقل كطبع الحمر
عشيرتهم على الطباع نقلت — مثل قرود في الفيافي اقبلت
ويقتلون النفس عند كلمه — ان قال شخص بالضلاله
شخص يما منهم لسعد — للشر يدعوهم وكل كيد
ولحرام اخر يميل — يصيح في اغرائهم يقول
خذوه من قبل تروني باسه — ثم اقتلوه واخمدوا انفاسه
فذا يصيح يال سعد اسعدوا — واخر يال حرام انجدوا
فذانك اللفظان دون لبس — عندهم امر بقتل النفس
فيحربون الارض بالغارات — ويرصدون القتل في الطرقات
وان اتتهم للقتال عسكر — فروا الى جبالهم واستتروا
وعندما عادوا الى البلاد — عادوا الى الشر والفساد
فما جزاهم غير قطع الراس — وشنقهم وضربهم والحبس
فقسوة القلب لهم طبيعه — وقلة الخير لهم ذريعه
ومشيهم في الحر من غير وطا — ونومهم في القيظ من غير غطا
وطرهم في ظلم الليالي — في الحزن يا صاح او التلال
قد يبست جلودهم في الحر — كانها قد خلقت من صخر
ونطهم في الطين ثم الوحل — وضربهم للثور ثم العجل
وحفرهم في البئر والسواقي — ومشيهم ايضا بلا طواقي
ومنهم من لا يزيل شعرا — والراس لا يحلقه ما عمرا
ولا يقص شاربا او لحيه — ولا ينظف فلسه من خريه
وشدة فيهم على الخناق — منها يطول الشر بانفاق
وضربهم للاب ثم الام — وصبرهم للجسر ثم اللطم
واكلهم في العدس والبسله — كمثل اكل كلبة او عجله
ومن تراه منهم يصلي — تراه لا يعرف فرض الغسل
ولم يميز طاهرا من نجس — ولم ينظف ثوبه من دنس
وان جثا يوما على الفسقيه — تجد له طيزا كالمهرنيه
كذاك من يجيد واخر — وذا مخاصم وذا متشاجر
وان اقام عندهم ذو فضل — فهو حقير عندهم في ذلك
ولن يطيعوا الشرع الا غصبا — او يوجعوا الاجل ذاك ضربا

وهم عبيد قابض الاموال　　فعندهم كالعمر او كالخال *
ويجلسون عندهم في ادب　　او يقف الواحد منهم كالصبي
وللبس فيهم رحمة لعالم　　لكن لاهل الشر والطغا لم
فالشر والعدوان فيهم شائع　　والخير والاحسان منهم ضايع
اخلاقهم تروى عن ابن حجر　　طباعهم تروى عن ابن بقر
دناسة اللبس لهم مرويه　　عن ابن شلتوت له معزيه
ذقونهم تروى عن ابن وحل　　والضرط الفساء وابن زبل
فلا جزاهم ربنا خيرا ولا　　لقاهم سوى الهموم والبلا
فقيههم ذو الكم والعمامه　　اذا اتى كانه غمامه
والعلم عند الله ليس يعرف　　سوى بذلك الاسم حين يوصف
وان جثا يوما على الجيفان　　كانه الناطور في الغيطان
يفترس الاكل من يسار　　ويلبعه عن مضغ ذاك عازى
يقول اروى لكم روايه　　تنبي عن الضمير بالدرايه
وفي غد اروى لكم قصيده　　لعنتر في عيلة الفريده
كذلكم دلهمة البطال　　وسيرة الزاهب والجمال
واشرح لكم واقل لكم عن شيخه　　وام جابر بنت ابو فريخه
واروى لكم ما قد اتاني عن ابي　　وابي قد قال ايضا عن ابي
وقال جدي ذاك ابو غنداف　　صلوا ولو كنتم على المقداف
ولو بلا وضو ولا طهاره　　كما روى عن جدتي شراره
قاضيهم اذا اتى لشغل　　مثل رئيس قد اتى بالطبل
ينزل عن البغلة او الحماره　　كانه الراهب ابو زراره
وعندما يجلس في انتفاخ　　تفرش له قطعه من الاجناخ
وبعد ذا ياتي اليه المشتكى　　ثم يقف على عصاه متكى
وبعضهم على العصا يلتف　　رجلا له وهو ثقيل يحف
يساله يا قاضي الهموم　　هات لعندي ابن ابي عموم
وحياة دقنك جلتي سرقها　　واربع قفقف من ذيلها حرقها
وقد اخذ وحياة راسك حدوتي　　وعمتي المشرمطه ولبدتي
احكم بحكم الله يا قاضي البلد　　والا ضربك الف نبوت بالعدد
يقول هذا قد لزمه الحد　　حيث سرق ومنه تقطع يد
زح يا قفا يا عرص يا ابن الزبله　　ادفع له قيمة هذي العمله
وصالح الخصم وهات لي فرخه　　والا على نقتك [illegible] شخه

ان عقد النكاح ليس يدري ... منه سوى زوجيت بنت عمرو
وليس يدري شاهد ولا ولي ... ولا يعرف صحة من علل
اذا اقضي قضية وبيتها ... يجري سريعا عندها باليتها
ففيرهم شعاره الابريق ... والنط والصريخ والتصفيق
وذا مريدي ومريد جدي ... وذا الولد با بني وعبدي
يسير طول الليل خلف ظهري ... غير مصلي مغرب او ظهر
الا باذني او بدا تشويشه ... ومن راه قال ذا درويشه
وعند ما ياتي به المواليدا ... من خلفه تلقاه حقا لابدا
ويدخل الجمع به يدروش ... وباللسان بينهم يدردش
فبزعقوا ويضربوا الكفوفا ... ثم يقوموا كلهم صفوفا
ثم يقولوا اخبر الشيخ الولي ... عن اوليا جاءت من ارض الموصل
هذا يجي بين السما والارض ... على العجائب ما عليه من فرض
ولا بقي عاوز الى عباده ... هذا بقي في نفسه الرشاده
هذا فقير بالقول والاشاره ... هذا ولي فسية الحماره
وان تسله حالة الطريق ... يقول ما نعرف سوى الابريق
وهز وسطي ثم طرق يدي ... وميلان لبدتي وشدي
ان قدم الماجور احط كفي ... واطلع بلقمة مثل دور الخف
وبالدرا وليس تحت الشط ... امشي وابريقي تحت ابطي
وانزل على من لي عليه سياده ... واقول له البيته وهات العاده
وهات لي الفرخه مع العليقه ... وليس يعرف غير ذي الطريقه
ومذهبي يا سعد يا حرام ... ولا اقل بان ذا حرام
اخذت عن شيخي بهذا الفعل ... فهو حقيق مشيه بالعجل
ومنهم طوائف خوامس ... وكلهم يجمعهم ابا لبس
لا يعرفون الصوم والصلاة ... ولا يرون الحج والزكاة
تراهم جميعهم انعاما ... لا تعرف الحلال والحراما
الشخص منهم ينكح العمات ... وينكح الاخوات والخالات
ويستبيح الفعل وهو كافر ... وقتله فحل هذا ظاهر
فكلهم يجمعهم اراذل ... وليس فيهم رجل يماثل
لاهل فضل اولذي كمال ... بل كلهم في رتبة الجهال
ناظمهم ان قال يوما شعرا ... فشعره يشبه طعم العذرا
او فتح قول جا بلا رواية ... او رض قلقيل بلا دراية ٦٤

ان لم تكن ذقت الخرا في العمر	فذق كلام نظمهم والنثر
سماعه اذا بدا رذيته	لكن له ما بينهم مزيته
لكونهم اجلاف مع اوباش	مثل عير الجون والكباش
اسماؤهم تخبرك عن اوصافهم	القابهم تنبيك عن اشرافهم
وهم حنيجل وجليجل وقطا	والحاج عنطوز بن ابي قرزة وطا
وعفر مع دعموص مع زعيط	كذا اخرا الحس وابو معيط
ثم قليطه وسلاطه قد ورد	كذا الهاطه وزعاطه في العدد
شقليط مع مقابط مع خبيط	صغادمع بهوار مع صرميط
بزبوز مع عموز مع قروش	سمعوت مع برغوت مع غلوش
البقش ثم العفش عنهم ذكروا	كذا احنين بن بنين عنهم شهروا
كذا سمعنا انهم يكنوا	ابو شوالي ومنادد يعنوا
كذا ابو عفر ابو دعموم	وابو الدواهي مع ابو المشوم
ابو شادوف ابو جاروف ابو نطاح	مشكاح ابو رماح ابو رياح
من جهلهم ميم محمد يكسروا	والحاء ايضا عندهم قد يكسر
محمدين قد سمعت منهم	كذا بهام وعقيوب فيهم
والقلط والضراط قد روينا	ويبدلون الصاد ايضا بسينا
فهذه اسماء مثل الوحل	او انها شبه ضراط النمل
وان ترى الاسما لا تعلل	فانها والله بئس العلل
وان ينادي الشخص منهم اخرا	يجيبه بقبح لفظ كالخرا
وان ينادي للمرا يا داهيه	تجيبه لباسي عجليه
وعندهم من افصح اللغات	كقولهم في الارث ذا ميراثي
وضيع البوشه وهات	ماضال الي مازال هذا الوادي
يعنون بالجواد مركوبا حضر	كذاك هاتوا الي الكرا من السحر
جعبوبتي دلحت من المرجوز	سيري اسكني جواحد الطاحونه
قومي اخبتي لي في الزريبه نقره	لاجل اقوم بالليل وفيها اخره
غدا ترى الجدعان نطوا في المراح	يوم الهريبه في الزريبه بانشراح
جعمارا جا يجمص بين طجله	اليوم الوعزيا وعنده عجله
والجح عنطوز قد حضر في كرشه	اليوم وراح هريط عنا الكرشه
وحطها في الدست يطبخها بفرحه	بفزتها خدها ابن راس المسيحه
البو بلد ناشيها ابو عوكل	وابو فسوه وابو ضرطه وهيكل
والجح قلوط الكبير في هودج	والجح جماص بن خرق النودج

واسما اسماؤهم مناسبه ذواتهم وافعالهم مقاربه
نساؤهم ايضا لهن اسما فخذ هديه بسدها ونجما
زعره وبعره ميكله خطيطه بلوه وعلوه شايعه حويطه
شيخه زراده مع شراره سموا كذا امعيكه وركيله ضمنوا
سقسا قه ايضا كذا اشليايه وخربوه وقسيوه وعطايه
كذا اغسيله ثم غاسوله ودده حمله ولبده وعطيه في العدد
وطالبه وهاربه خطيبه كذا فريحه بنت ابو غريبه
وقد سمعت رجلا ينادي تحيه خذيوه اغسلي الزيادي
واحلبي البقره وهاتي النحله روحي حدا الجيد عان وشوفي النحله
قومي وحطي العدس في الفصوله انتي ويا بنت ابو يعشو له
يا داهيه يا داهيه تعالي جنكي من الحيط بنت ابو شوالي
قومي تعالي اتعشي بنا في الموضع ابنك بيجري هي تقل كل واشبع
هاتي لنا قطعة وشيء من ابنكي الطي بها الجله وشوفي بينكي
يا داهيه روحي وهاتي البقره انتي وبنت الحسر قفا كي خضره
يا داهيه روحي وشوفي النقره في وسطها جله طريه خضره
وحولها شوفي الجار والعجيله ولي بعرها اعمليه جله
فهذه اسما النساء فخرا شبيهة بالوحل عند الخرا
ولقبهم يا ابن الوطا يا صلوع يا خرا الحسن وابن بنت القسوه
يا علق ما تجي عندي يا بوكاره يللي بتجري كل يوم في الحاره
وانت بتقعد للمسا في الشونه وكم بنيكوك في الدده يا لعوثه ١٨٣
تم الجزء الاول من هذا الكتاب ويليه الجزء الثاني من تجزئة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين * (وبعد) فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني كان الله له ورحم سلفه انه لما كانت الهمه البارده والفكره الكاسده تحركت اياما قلايل لتاليف كتاب صاد في الاوراق حاصل في احوال اهل الريف باتفاق وما لهم من نظم ونثر وحب واشتياق وصار جزءا لا يرى في الكثافة له شبيه ولا يكترث به ذو فضل في العلوم نبيه وكان كالمقدمه للقصيده وقد حوى معاني تشبيه تحوف الجريده وختم بالارجوزة الحاوية لما فيه من النثر والاشعار وغاية انه اعتراف من بنات الافكار اردت اتصاله بهذا الجزء الثاني وحل معاني القصيد التي عليه

مدارتلك المباني فحركت فكرتي الخامله واطلقت عنان اليراع لبيان تلك الامور الحاصله لحل معاني القصيد متسكبا عليه انسكاب الوابل على الصعيد بالفاظ يفوح معناها كريح المسوي ومعاني تشبه في الوضع خابط عشوى فساعدتني الفكره لما التي قصدت وتحركت معي لما اليه اردت وهذا اوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود فاقول

ذكر نسب الناظم وماحواه وذكر الموضع الذي ضمه وآواه وسبب سعادته وحصولها وصفة لحيته هل كانت طويلة او قل طولها وكيف مال عليه الدهر في اخر الزمان حتى انشأ هذا القصيد واشتهر عنه وبان فنقول

اما نسبه فعلى اقوال فمنهم من صرح انه ابو شادوف بن ابو جاروف بن شقادف بن لقالق بن بجلق بن عفلق بن عفر بن دعموم بن فلحس بن خرا الحس فاذا ذقت الكلام بمعقول عرفت انها نسبه على هذا القول (وقيل) ابو شادوف بن ابو جاروف ابن بردع بن زوبع بن بجلق بن عفلق بن بهدل بن عوكل بن عمرو بن كل خرا فانتهى نسبه على القول الاول لابن خرا الحس وعلى الثاني لابن كل خرا وهو الاصح لان اكل الخرا ابلغ من لحسه (واما قريته) ففيها خلاف قيل انه من تل فندروك وقيل من كفر شمو طاطي وهو الصحيح لان الناظم صرح بذلك في بعض اشعاره يخبر عن نسبه فقال

ايا ناس في قولي دلايل	ونظمي حق ما هو شي هبايل
ابو شادوف انا قال لي ابويه	عليه وجدتي ديك ام نايل
باني قد تربيت بجماعه	بكفر يعرفوه ناس اوايل
يسمى كفر شمو لي وطاطي	فكن صاحب فهامه يا فساقل
وذا قولي وابو شادوف اسمي	وشعري حق من جاني يسايل

وسمعت شعر لبعض اهل الريف يدل على انه من تل فندروك وهو هذا

سمعنا من قديم ومن جديد	كلاما ما كنا نشبه الحديد
ابو شادوف عنه خبرونا	بقول حق جانا بالوكيد
بتل فندروك وفيه تربى	وعاش ياقوم وانشا القصيد
وذا قولي وعقداف اسمي	وكم من نظم اجبو من بعيد

وقد يجمع بين الروايتين فيقال انه ولد في كفر شمو طاطي وتربى في تل فندروك (واما صفة لحيته) فقال بعضهم كانت طويله جدا وقال اخر كانت معتدلة في الطول والقصر وقد يجمع بين القولين فيقال انه لما كان في ابتدا عمره في سعادة كامله ونعمة وافره كما سياتي كانت طويلة لكثرة ما كان يتعهدها بدهن الفراخ والزيت الحار والتمشيط واصلاح الشعر ونحو ذلك فلما كبر وتغير عليه

الزمان واعتراه الهم والاحزان قل طولها من اكل الطبوع والصيبان ونحو ذلك اى انها نشأت فى الاول طويلة ثم انها عرضت فعرضها ضر طولها فلا تعارض بين الروايتين كما قال الشاعر (ذوائب طالت فأفسدت * عنده ما ضر طولها) (قصروها فاصلحت * عند ما قلطوالها) * وقيل من الدليل على قلة عقل الرجل صغر رأسه وطول لحيته وان كان اسمه يحيى فقد فقد العقل بالكلية (وفى المثل) طويل الذقن قليل العقل كما اتفق ان بعضهم كان له صاحب طويل اللحية يؤدب الاطفال ففقده اياما فسال عنه فقيل هو منقطع فى بيته حزين فظن صديقه انه مات له ولد او احد من اقاربه فذهب اليه فرآه فى حالة الحزن وهو يبكى وينوح فقال له عظم الله اجرك واحسن عزاك ورحم الله ميتك كل نفس ذائقة الموت فقال له اتظن انه مات لى ميت قال فما الخبر فقال له الشيخ اعلم انى كنت جالسا ذات يوم فسمعت رجلا ينشد ويقول شعر

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة ردى على فؤادى اينما كانا
ألا تأخذين فؤادى تلعبين به فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا ان ام عمرو هذه من احسن الناس واجملهم ما قيل فيها هذا الشعر فشغفت بحبها اياما وانقطعت زمانا ثم انى جلست يوما من الايام فسمعت قائلا يقول (اذا ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار) فعلمت لولا ان ام عمرو هذه ماتت ما قيل فيها هذا البيت فداخلنى الحزن واعترانى الاسف قال فتحقق صاحبه قلة عقله وتركه ومضى (وقيل) مر بعضهم فى يوم شديد البرد فرأى رجلا صغير الراس طويل اللحية وعليه قميص واحد وهو يرتعد من شدة البرد ورأى تحت ابطه حراما ابيض من الصوف مطوى فقال له لاى شئ لا تضع هذا الحرام عليك يقيك الم البرد فقال اخشى من نزول المطر عليه فيبتل فيذهب حزنه وتزول بهجته قال فتحقق الرجل قلة عقله وتركه ومضى وأجود اللحا ما كانت معتدلة متساوية الشعر لا طويلة ولا قصيرة * فان قيل ان فرعون كانت لحيته تزيد عن طوله شبرا او شبرين على ما قيل ومع هذا كان عارفا فطنا * قلنا الجواب ان الله تعالى كان قد اعطاه ثلاث ايات منها طول لحيته وانها كانت خضرة اللون ولم يكن لمثله ذلك وكان له جواد يضع قدمه عند منتهى بصره وترتفع رجلاه اذا صعد ويداه اذا هبط اويقال انه وان كان على غاية من المعرفة فهو فى حكم مسلوب العقل لادعائه الالوهية وارتكابه الامور الشنيعة ونحو ذلك على حقيقته كما تقدم انتهى (وقيل) احذر الناس واشطهم الاجارده فينبغى لمن صاحبهم ان يكون منهم على حذر لشدة حذقهم وقوة معرفتهم وكثرة محاورتهم للامور كما اتفق ان بعض الملوك قال لوزيره من اشطن الناس واحذرهم قال

الاجرود قال اريد ان تطلعني على حقيقة ذلك قال تصنع طعاما وتصنع له ملاعق كل ملعقة ثلاثة اذرع وتأمر الناس يحضروا للاكل فاذا حضروا وجلسوا تامرهم ان لا ياكلوا الا بالملاعق وان الرجل منهم لا يمسك الملعقة الا من طرفها وياكل وتنظر ما يظهر لك قال ففعل الملك ما أمره به الوزير وحضر الناس للطعام فلما جلسوا امرهم أن لا ياكلوا الا بالملاعق وان لا احد يتجاوز بالمسك طرف الملعقة كما مر قال فارادوا الاكل فلم يقدروا وارادوا القيام فمنعهم الملك وامرهم بالجلوس فصار الرجل منهم يملأ الملعقة ويريد ان يدخل ما فيها فمه فتطول عن فمه وتفوت قفاه فتحيروا في امرهم فبينما هم على هذه الحالة اذ دخل عليهم رجل اجرود فقال لهم ما بالكم لا تاكلون من الطعام فاخبروه بالقضية فقال هذا امر سهل انا ادلكم على حيلة تاكلون بها ولا تخالفوا امر الملك كل رجل منكم يطعم الذي قباله وجهه وكذلك الاخر يمد ملعقته يطعم من اطعمه حتى تكتفوا من الطعام والملاعق على حالها فصار هذا يلقم هذا بملعقته والاخر يفعل مع الاخر مثل ما فعل معه حتى اكتفوا جميعا فتعجب الملك من حيلة هذا الاجرود وقوة شيطنته وشدة فراسته وامر له بصلة واخلع على الوزير* ووقف رجل اجرود بين يدي بعض الملوك يشكو خصمه فقال له الملك اني متعجب من شكواك يعني انك اجرود ولا يغلبك احد فقال العفو يا ملك ان كان في وجهي بعض شعرات فان خصمي جلس املس لا شعر في وجهه قال فضحك الملك وانصفه من خصمه وامر له بصلة (واما سبب سعادته في ابتداء امره وكيف مال عليه الدهر) فعلى اقوال احدها انه لما نشأ وصار له من العمر عشر سنين كان في قوة وشهامة ومعرفة في رعي الغنم والنطي الغيط والمشي في الجرحافيا عريانا وكان يسيل الجلة الخضرا على راسه من الغيط الى داره في اسرع زمن حتى ان الرطوبة المتحللة منها كانت تسيل على وجهه وربما عطش فشرب منها وربما عم ما يسيل منها بقية جسده كما هو عادة اولاد الارياف وكان يمكث الشهر والشهرين لا يغسل له وجها الا ان صادفه رشاش بول عجلة او بقرة وهو سارح الى الغيط ومروح فيمعكه بيده فيكون قائما مقام الماء لغسل وجهه وكان مع هذه النظافة الفشروية لا يغفل عن ضرب الاولاد ولعب الكوره حول الحارات والنط على المزابل والاجران ولعب الداره والطيله والزماره والعياط والغاره وضرب الكلاب بالسنام والهباب حتى انه من دون رفاقته صار يومه بيومين وشهره بشهرين كما فيه شاعر القريتين شعر

ابو شادوف من يومه مجعص ... شبه الجرو يتنطط بقوة
ويسرح غيط ابويعرج ويجمع ... من الجلة الطرية في القروه
وهو عريان وسايل فوق راسه ... ووجهه صار كيف وجه البعو

وماقد سال من الجله الطريه   يسيل عليه وماعنده مروه
ويقعد شهر ما يغسل لو شو   ولا شهرين وجسمه فيه قوه
ويسرح للضحى في الجرن يكنس   ويطرد مثل كلبتنا ام جروه
ويا زينوا ابوشادوف لما   يجي الجاموس يقطع وسط ربوه
وينزل يقرد فيها ودا هم   ويتنطط كما عفريت خلوه
ابوشادوف من صغره مدلل   تربا عندنا كلب بن جروه
ابوشادوف عطاه الله نعمه   لبس لبده وعنده اليوم فروه
وابوه اليوم شيخ الكفر قاعد   حدا الصرم وراسه جنب حدوه
يقول سيدي يقول له يا معرص   تحط المال او نخليك دعوه
وهو من مثل ابوشادوف يقبض   وابوه وعمته بنت ام فسيه
ونختم قولنا بمديح محمد   رسول الله كم زاح كل بلوه
عليه يا ربنا صل وسلم   واصحابه الكرام اهل الفتوه

وكان الناس يحسدون والده عليه وعلى قوته وشطارته وشده معرفته في نقرة الطبله وصوت الزماره وكان ابوه قد ملك في حال حياته حمارا اعرج وعنزتين وحصه في نورا الساقيه ونصف بقره وعشرة فرخات وديكهم واربع كيلات نخال من شعير وملك حواربعمايه قرص جله وسطموده يخزن فيها الزبل ايام الشتا وكان عنده قله مكسوره وزير اثلم وجروانه يكنس بها الجرن وكلب يحرس الدار فلما تمت الكمالات والسعادة توفي الى رحمة الله تعالى كما في الغالب ان الفقير يوم يسعد يموت * وما احسن ما قال الشاعر

اذا تم شيء بدا نقصه   ترقب زوالا اذا قيل تم

فكفنه ابنه ابوشادوف في رداء من مجر الكتان ودفنه في تربه تعرف بتربة ابن جادوف شط بكفر شمرطاطي وقيل بتل فندروك وقد يجمع بين القولين فيقال مات بكفر شمرطاطي ودفن في تل فندروك وقبره الان يعرف بقبر ابو جادوف يزوره الفلاحون ويلعبون بجانبه الكوده وربما تبول وتزبل عليه بعض البهايم في بعض الاوقات * وقد رثاه بعض شعراء الارياف فقال

الا كونوا اسعفوني يا جماعه   وابكوا يا مشاه في كل ساعه
ابو جادوف ولى اليوم عنا   وخلى العنز والبقره بتاعه
وخلى ابنه ابوشادوف يحزن   عليه اليوم يبكي وسط قاعه
وابوشادوف يعيط وسط راسه   ابويا مات وعدنا في مشاعه
وراح من كان شيخ الكفر بكم   على الجلعان ودولك الرباعه
ولما كان يركب يوم غاره   على كلبه ويدلع دلاعه

ويلبس لبدته من فوق راسه — ودقنه بارده فيها سقاعه
وحوله جرو بن خراي فلحس — واهل الكفر ماسنهم نجاعه
تقول ريس على جوف المغاني — او الحلبوص جا يشفع سقاعه
وحسه داح رب ارحم عصامه — ويشبش طوبته في كل ساعه
وابوشادوف باالله ابوشنا به — ويصبح شيخنا صاحب فقاعه
ويبقى مثل ابوه راكب وحوله — جماعه في جماعه في جماعه
ويتعنطز ويسرح في السهاري — ويتمعص ويقعد في السراعه
ويختم قولنا والدايم الله — ودا الكاس حتى مافيه اندفاعه
ويا شاطر وشاعر طول عمري — والضم لضم يستلمع لماعه
جعلته فيه يحزن من يشوقه — وودعته يقولي اليوم وداعه
وضال على الزين اصلي طول عمري — بنبي الله واطلب لي الشفاعه
وابوشادوف انا لاحد غيري — وضربة دم تكثر دي الجماعه

قال ولما فرغ العزا وراق الزمان واخذ واخاطر ابوشادوف والمشايخ والجدعان وتصدق على والده بالفطير المعمول بالنخالة والشعير ولطخ قبره بالوحل والجله وعمل بجانبه مدود للعجله سحب النبوت ويمشي كالنعوت وامتشيخ على الكفر واطاعه زيد وعمرو وجلس على ركبه ونصف وربط وعيط وانتطط وغنا وقال وافتخر بهذا المقال وانشد وجعل يقول شعر

ابوشادوف عمري يا سلامه — اقول القول ويا صاحب فهامه
ولولا ان ابويه في ترابه — انا في الكفر شيخ بلا ملامه
واحكم على المشاه واسرح وروح — واخوض البحر الى حد الحزامه
واشد على الحمار اركب وحولي — جماعه شبه شمعه في ضلامه
ابو عنطوز وابو يزبوز وعقلي — ودم الحس قفاك وابو عمامه
وانا ما عاد يكفي اليوم واحد — وضال الى يحعص في شهامه
واطحن قرن من خالف كلامي — بنبوتي واكسر به عضامه
ابويه كان قبلي شيخ عليكم — فخلوني وروحوا بالسلامه
ونختم قولنا بمديح محمد — واصحابه الملاح اهل الكرامه

قال فعند ذلك حسدوه المشايخ والجدعان على مشيخة الكفر التي حصلت له بعد وفاة ابيه على التركه فاغروا عليه الحكام فارسلوا اليه وعاضوه في جانب منها وقيل فيها كلها ولم ينفعه الا المطمورة الزبل التي ادخرها وهي التي كانت سببا لسعادته بعد موت ابوه على ما قيل ثم صار يداري الناس ويتملق لهم بالكلام الى ان تناست القضية ودخل فصل الشتاء ففتح المطمورة ليلا

وباع الزبل وكثر عليه الرزق على هذا القول (وقيل) انه اقترض عشرين نصف فضه فاخذ بهم بيضا وطلع مصر فصادف عيد النصارى فباع البيض بزياده عن ثمنه فكان هذا سببا لسعادته وقد يجمع بين القولين فيقال انه باع الزبل والبيض فلا تعارض فى ذلك وكان يعطى ويتكرم فقصدته الشعرا والادبا من أطراف الكفور حتى انه اجاز شاعرا بخمسين بيضه وكيلة شعير واعطى اخر ماية قرص حلبه وجاه اخر بغراره فملاها نبلا من اولها الى اخرها ودفعها له وكان قد اقبل عليه الرزق زياده عن والده فكان عنده وزتين وعشرين فرخه بديكهم وقفص للفراخ من جريد ونبوت اعوج ولبده وخلقه زرقه وقفه سلاثه تخال وعشرة حزم عروق جزر ناشف وغير ذلك ولم يزل على هذه الحاله يبارك له المولى فى الرزق فانما الرزق من الله تعالى (كما اتفق) ان بعض الصالحين كان فقيرا جدا فبينما هو نائم اذ هتف به هاتف يقول له يا فلان امض الى محل كذا خذ منه الف دينار فقال افيها بركة قال لا قال اذهب عنى فاتاه مرة ثانيه وقال له اذهب الى المحل الفلانى وخذ منه خمسماية دينار فقال افيها بركة قال لا فقال اذهب عنى ولم يزل ياتيه مرة بعد اخرى حتى قال له اذهب الى محل كذا وخذ منه دينارا واحدا فقال افيه بركة قال نعم فقال اذا اخذه فذهب واخذ الدينار وبورك له فيه وصار فى نعمة وسعاده فانظر الى الشخص اذ اقنع شبع وبورك له فى قليله قال الولى الصالح العارف بالله تعالى سيدى يحيى البهلول رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين امين

(استقنع بقليلك * ياتيك الله بكثيره) وقال (كم عارض بعد رشاش * ينهل من المزن)
(انا مالى غناسى * ايش على منى) اقلق من رزقى لاش * والخالق يرزقنى)
وقال رضى الله عنه (يا ابن ادم قل طمعك * دا السعاده وعد سيدك)
(لا تقل دايا لسطاره * او تحصلها بايدك) (لو تكن تبع زمانك * غير رزقك ما يجى لك)
(ان رزقك مثل ظلك * ان مشيت يمشى قبالك * (من له فى الغيب شئ * لم يجيه حتى ينال)
وقال الامام الشافعى رضى الله عنه وارضاه وجعل الجنة مثواه (وجدت القناعة كنز الغنى * فصرت باذيالها متمسك) (فلا ذا يرانى على بابه * ولا ذا يرانى عليه منهمك)
(وصرت غنيا بلا درهم * امر على الناس كانى ملك) حتى مال عليه الزمان وجفته الاهل والخلان ونفذ جميع ما كان معه من المال وصار فى اكبر الهم واشد الاحوال ولم يجد له خلا ولا مساعدا ولا صديق ولا صاحبا ولا رفيق كما هو عادة الدهر فى رفع الاسافل وخفض السادة الامائل فهو كالميزان فى فعله او المنخل فى حاله ونقله كما قال الشاعر

رايت الدهر يرفع كل وغد ... ويخفض كل ذى شيم شريفه

كمثل البحر يغرق كل حى * ولا ينفك يعلى كل جيفه

وقال آخر (الدهر كالمنخل فى فعله * فاعجب لما يصنعه المنخل)

(يحط اللب من تحته * وترفع القشرة والفسول)

(فحوادث الدهر تاتى على غرر ويذهب الشخص على خطر * وقد قلت فى مطلع قصيدة من هذا المعنى هذه الابيات

حوادث الدهر قد تاتى على خطر فاحذر عواقبها تنجو من الضرر

واعد لها من دروع الدهر سابغة تقيك شدتها اذ ترم بالشرر

كانت لياليها اللذات مثمرة قطفت منها ثمار العز فى الصغر

الى اخر الابيات فليس لحوادث الدهر الا الصبر الجميل والتسليم الى الرب الجليل ومن دهمه حادث الزمان وانصرفت عنه الاهل والخلان ما حكى ان بعض الحسدة وشى بالوزير الكاتب ابن مقله الذى انفرد فى زمانه بعلو الخط وحسنه وادعى انه دلس على الملك فى بعض الامور فامر الملك بقطع يده فلما فعل به هذا الامر لزم بيته وانصرفت عنه الاصدقا والمحبين ولم ياته احد الى نصف النهار فتبين للملك ان الكلام عليه باطل فامر بقتل الذى وشى به واعاد ابن مقله الى ما كان عليه وندم الملك على ما فعله معه من قطع يده فلما راى اخوانه ان نعمته عادت اليه عادوا اليه يهنوه واقبلوا اليه يعتذرون له فعند ذلك انشد يقول (تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا) (عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس وبانوا) (يا ايها المعرضون عنى * عودوا فقد عاد لى الزمان) قيل مكث بيده اليسرى بقية عمره ولم يتغير خطه حتى مات (ومن النوادر الدال على فصاحة ابن مقلة) ما اتفق ان رجلا كتب رقعة والقاها اليه بحضرة الملك ليقراها عليه وكل لفظ منها فيه حرف الراء وكان ابن مقله لا يقدر ان ينطق بهذا الحرف (وصورتها) امر امير الامراء ان يحفر بئر على قارعة الطريق ليشرب منه الشارد والوارد قال فلما ان تاملها غير الالفاظ واتى بالمعنى * وقال حكم حاكم الحكام ان يجعل جب على شاطئ الوادى * ليستقى منه الغادى والبادى * وكان هذا من قوة بلاغته رحمه الله تعالى (وقيل) اربعة يضرب بهم المثل حسان بن ثابت فى الفصاحه ولقمان فى الحكمة وابن ادهم فى الزهد وابن مقلة فى حسن الكتابة والخط قال الشاعر يصف هذه الاربعة بهذه الابيات

فصاحة حسان وخط ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم

اذا اجتمعت فى المرء والمرء مفلس تنادى عليه لا يباع بدرهم

وأما ضد هذه الاربعه فلله در من قال فيها *

سماحة اطروش وثقل ابن قينة وغفلة قريان وعكس ابن ايهم
اذا اجتمعت في المرء والمرء موسر لكان فصيح القوم عند التكلم

ومما دهمه حادث الدهر وعلاه الهم والفقر فاصبح بعد العز حقيرا * وبعد الغنى فقيرا ما اتفق ان رجلا ركبته الديون فترك عياله وخرج هايما على وجهه الى ان اقبل على مدينة عالية الاسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو في حالة الذل والانكسار وقد اشتد به الجوع وآلمه السفر فمر في بعض شوارعها فرأى جماعة من الاكابر متوجهين فذهب معهم ودخلوا محلا فدخل معهم الى ان انتهوا الى محل يشبه محل الملوك فدخلوا ذلك المكان وهو تابعهم الى ان انتهوا الى رجل جالس في هيئة عظيمة وحوله الغلمان والخدم كانه من ابناء الوزراء فلما رآهم قام اليهم واكرمهم فاخذ الرجل المذكور الوهم واندهش مما رآى من البنيان والخدم والحشم فتاخر الى ورائه وهو في حيرة وكربه وخايف على نفسه حتى جلس في محل بعيد منفرد عن الناس بحيث لا يراه احد فبينما هو جالس اذ اقبل عليه رجل ومعه اربعة كلاب من كلاب الصيد وعليها انواع الخز والديباج وفي اعناقها اطواق الذهب بسلاسل من الفضة فربط كل كلب منها في محل معد له ثم غاب واتى باربعة اصحن من الذهب ملآنين من الطعام المفتخر ووضع لكل واحد من الكلاب صحن على انفراده ثم مضى وتركها قال فصار الرجل ينظر الى الطعام من شدة الجوع ويريد ان يتقدم الى كلب لياكل معه فيمنعه الخوف فنظر اليه كلب فعرف حاله فامتنع عن الاكل واشار اليه فقدامه فاشار اليه ثانيا ان كل من هذا الصحن وتاخر الكلب فاكل الرجل حتى اكتفى واراد ان يذهب فاشار اليه الكلب ان خذ الصحن بقية ما فيه من الطعام والقاه له وستره بكمه ووقف ساعة فلم يأت احد يسال عن الصحن فمضى به الى حال سبيله ثم سافر الى مدينة اخرى فباع الصحن واخذ بثمنه بضايع وتوجه الى بلده فباع ما معه وقضى ما عليه من الدين وكثر عليه الرزق وصار في نعمة كثيرة زائدة وبركة عميمة مدة من الزمان فقال لنفسه لا بد ان تسافر الى مدينة صاحب هذا الصحن وتاخذ له هدية سنية تكافئه بها وتدفع له ثمنه وان كان انعم به عليك كلب من كلابه فاخذ هدية تليق بمقام الرجل واخذ معه ثمن الصحن وسافر اياما وليالي حتى اقبل على المدينة وطلع اليها يريد الاجتماع به فاقبل على محله فلم ير الا طلالا باليا وغرابا ناعيا ودارا قد اقفرت واحوالا قد تغيرت وحالا للقلوب قد ارجف ومحلا تركه الدهر قاعا صفصف كما قال بعضهم

سرى طيف سعدى طارقا يستفزني سحيرا وصحبي بالديار رقود *
فلما انتبهنا للخيال الذي سرى ارى الدار قفرا والمزار بعيد

فلما شاهد تلك الاطلال البالية وراى ما صنع الدهر بها علانية اعترته الحيرة

عن يقين والتفت فراى رجلا مسكين في حالة تقشعر منها الجلود ورؤيته
يحن اليها الجلمود فقال له يا هذا ما صنع الدهر والزمان بصاحب هذا المكان
واين بدوره السافره ونجومه الزاهره وما هذا الحادث الذي حدث على بنيانه وما
الامر الذي لم يبق منه غير جدرانه فقال له هذا المسكين وهو يتاوه من قلب حزين
اما في كلام الرسول عبرة لمن اقتدى به وسمعه حق على الله ان لا يرفع شيئا في هذه الدار
الا وضعه وان كان سؤالك عن امر وسبب فليس مع انقلاب الدهر عجب انا
صاحب هذا المكان ومنشيه وساكنه وبانيه وصاحب بدوره السافره واموالها
الفاخره وتحفه الزاهيه وجواره الباهية ولكن الزمان قد مال فاذهب الخدم
والمال وصيرني في هذه الحالة الراهنه ودهمني بحوادث كانت عنه كامنه وسؤالك
هذا عن امر وسبب فاخبرني عنه واترك العجب قال فاخبره بالقصه وهو في تالم
وغصه وقال له قد جئتك بهدية فيها النفوس ترغب وثمن صحنك الذي اخذته
من الذهب فانه كان سبب لغناي بعد الفقر ولزوال ما كان عندي من الهم
والحصر قال فهز الرجل رأسه وبكى وآن واشتكى وقال يا هذا اظنك مجنون
فان هذا امر لا يكون كليب من كلابنا يتكرم عليك بصحن من الذهب فارجع فيه
ولو كنت في اشد الهم والوصب والله لا ياتي منك شيء يساوي قلامه فامض
من حيث جئت بالسلامه قال فقبل الرجل اقدامه ويديه وانصرف راجعا
يثني بالمديح عليه ثم انه عند فراقه ووداعه انشد هذا البيت الذي يلتذ بسماعه
فقال (ذهب الناس والكلاب جميعا * فعلى الناس والكلاب السلام)
وقد ناب مؤلف هذا الكتاب من كيد الدهر نائب ورمته الليالي بسهام الهموم
من قسي المصائب فاصبح بعد الجمع وحيدا وبعد الانس فريدا يسامر النجوم
ويساور الهموم يبكي على فراق الاحبة الدموع ويرجو عود الدهر وهيهات
الرجوع (شعر)

فليت شعري والدنيا مفرقة   بين الرفاق وايام الورى دول
هل ترجع الدار بعد البعد آنسة   وهل تعود لنا ايامنا الاول

لكن الصبر على غدرات الايام من شيم السادة الكرام شعر

اصبر ففي الصبر خير لو علمت به   لكنت باركت شكرا صاحب النعم
واعلم بانك ان لم تصطبر كرما   صبرت قهرا على ما خط بالقلم

وكل هذا توطئة لما نال الناظم من الهموم وما اعتراه من منطوق حوادث دهره
والمفهوم وهو الذي كان سببا لانشا هذا القصيد وشكواه هذا الامر الوافر
المديد فقال

* *

ص يقول ابو شادوف من عظم ما شكى   من القل جسمه ما يصنال نحيف

ش (هذا الكلام له بحر وقد وتقاطيع ومد فبحره الطويل المديد الناقص المزيد ومن جعله من بحر الكامل قال فيه متهابل متهابل ومن قاسه ببحر الوافر قال هو من البحر الزاخر ومن نسبه لبحر البسيط قال هو من معنى الخلط والتخبيط ومن قارنه ببحر السلسله قال هو من معنى هلهله هاهله ومن شابهه ببقية البحور قال في تمثيله انتحادا وتود واما قده المعهود فعلى وزن بروه تخلى الماصغين جلود واما تقاطيعه المذكوره فهي هي الكلمات المنثوره

يقول ابو شا دوف من عظم ما شكى بتول

عليها في الضحى مع عزو بها ومجموع هذا الكلام من هذا النظام (بتول عليها في الضحى مع عزو بها) فاذا عرفت القد والبحر والتقاطيع فلنشرع لك الان في شرح الكلام على حسب التواقيع او على نمط الفراقيع * فنقول (قوله يقول) اى يريد ان ينشئ قولا في الخارج فيه شرح حاله وعلى ما ناله من حوادث الزمان وما اصابه من دواعي الهم والاحزان والقول له مصادر واشتقاقات فمصدره قال يقول قولا ومقالة وربما يزاد فيه قلة وقيلولة واشتقاقه من القيلولة او من القلل او من الاقوال او من قالوا او قلنا وانما نذكر هذه المصادر لفشرويه وهذه الاشتقاقات الهبالية لابني عليه ما ساذكره لك مما اتفق لي مع بعض من يدعي العلم وهو جاهل وما ذاك الا اني لما توجهت للحج الى بيت الله الحرام سنة اربعة وسبعين والف وبلغت بندر القصير انتظر السفن للسفر فجلست اياما في زاوية على البحر المالح اعظ الناس فبينما انا ذات يوم في هذا المكان اقرا فيه وابين للناس الكلام ومعناه وانا في هيئة تشين النظر وفي اهبة ذهاب وسفر وبهللة وهبال وهلفطة ومقال اذ اقبل علي بلا محاله رجل يشبه دائرة الهلاله طويل هبيل فظ ثقيل له عمة كالهيولى في العظم وطيلسان نسج من صوف الغنم ثم جلس يريد الضرر ونظر الى شذر فظهر لي منه الشر والجدال ومنتظر مني متى قلت قال وكان الامر كما ذكرت وما اليه بهذا المعنى اشرت فابتدأت في الكلام وقلت قال النبي عليه السلام فعند ذلك قال لي بلفظ كثيف ما معنى قال في التصريف فلما سمعت سؤاله تحققت جهله وهباله وعلمت انه خالي من العلوم وجاهل بالمنطوق والمفهوم فقلت له ان قال يتصرف منه اسما وافعال وهي قال يقول قولا وقلة وقيلوله ومقالة على الكمال وان اردت جعلت لك بيقين تصريف هذه السنه ستا وثلاثين فقال لي وهذا التصريف في اى متن من المتون فقلت له في ديوان ابن سودون فركن الى قولي على جهل منه وعمى فعرفت انه لا يدري الاسم ولا المسمى ثم انقاد الى بعد الدعوى والهبيس

انقياد الغنم للتيس واتمثل الأمر في رواحه ومقيله حتى مضى الى حال سبيله
(فان قيل) لاى شيء خلطت على هذا السائل في هذه المعاني والاشتقاقات
ووسعت عليه في هذه الامور المبالغات كنت تقتصر على ما قالوه في كتب التصريف
ولا تخرج عن الكلام حرف قلنا الجواب نعم كان ينبغي هذا الكلام ولكن مع من
يدرى العلم واما الجاهل البليد والفظ العنيد فليس له الا ما يناسب جهله
من دش الكلام والتحريف فيما يليق بذلك المقام فكان ما سبق من الجواب
وحاله مناسب لسؤاله وهباله فاتضح الاشكال عن وجه هذا المبال *
(مسئلة هبالية) ما الحكمة في ان الناظم ابتدا كلامه بصيغة المضارع ولم يأت
بصيغة الماضي كما قال صاحب الغية النحو رحمه الله (قال محمد هو ابن مالك الخ
الجواب المشهور ان هذا الفعل الماضي الذى هو قال يتولد منه المضارع وهو
يقول ويقول يأتى منه قولا كما سبق في تاصيل الافعال والاسماء فاكتفى بالفرع عن
الاصل او انه اراد تعداد الامور التى حصلت له من تغير الزمان وانقلابه ولم يكن
اخبر عنها سابقا بلفظ الماضي فاراد الاخبار عنها بلفظ المضارع الذى هو يقول
وان كان في معنى الماضي صورة وفي معنى المضارع حقيقة قال الشاعر
* فقال هو الماضي يقول مضارع * وان كان ذا الماضي له في الحقيقة *
* وقال ابو الطيب المتنبي عفا الله عنه *
* اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم *
اى اذا نوى شيأ مستقبلا امضى فعله قبل ان يدخل عليه ما يجزمه اى يمنعه
عنه ويسكنه عن الحركة عن فعله انتهى وايضا الواتي بالماضي لا اختل الوزن
وان كان المعنى باقيا على حاله فاتضح الجواب وبان الصواب وقوله (ابو شادوف)
هذه كنيته ودخلت عليه فصارت علما كما قالوا في معدى كرب وبعلبك وبرق نحره
ونحو ذلك واما اسمه الحقيقى عجيل تصغير عجل على ما قيل وسببه ان امه لما ولدته القته
في مذود البقرة فجاء العجل ولحسه فسمى بذلك ايا ما حتى اشتهر بهذه الكنية *
وسبب اشتهاره بها اقوال احدها انه لما مال عليه الدهر كما تقدم صار يحرث بنفسه
لسقى الزرع بالآلة التى يعملوها اهل الريف تسمى ابو شادوف وصورة فعلها انهم
يجعلوا ناطورين من طين على جانب البحر ويجعلوا بينهما نقر مثل الحوض الصغير
ويضعوا فوق الناطورين خشبة صغيرة ويعلقوا فيها ايضا خشبة بالعرض
حكم قصبة الميزان ويضعوا في طرفها الذى من جهة البر شيأ ثقيلا والذى
من جهة البحر الدلو او القطوة التى يضعوا بها الماء ثم ان الرجل يقف الى جهة البحر
ويتكئ على طرف تلك القصبة فيقع الدلو او القطوة في البحر ويغرف الماء ثم يترك
فيثقل طرفها الثاني ويصعد الدلو او القطوة فيفرغ في النقرة مع مساعدة

الرجل له ويجري الماء الى الزرع وهكذا حكم ما شاهدناه مرارا عديدة ويسموا
مجموع الآلة والناطورين ابوشادوف وهو مشتق من الشدف وهو الغرف
قال في القاموس الازرق والناموس الابلق شدف بمعنى يشدف شدفا
بمعنى غرف يغرف غرفا قال الشاعر *

اذا ما رأيت الماء فاشدف براحة فذلك للظمآن اهنى واطيب

فالناظم لما لازم هذه الآلة وصار لا يفارقها غالب الاوقات سمي باسمها
من باب تسمية الحال باسم المحل * وقيل ان امه ولدته عند ابوشادوف
فسمي باسمه لكن يرده ما تقدم من ان اسمه الاصلي عجيل وقد يجمع بين الاقوال
فيقال ان امه لما ولدته عند ابوشادوف اخذته ووضعته في المدود وحسه
العجل على ما تقدم فسمي عجيل ثم اشتهر بما ذكر فلا تعارض بين الاقوال وقيل
سمي بذلك لكثرة غرفه الماء بهذه الآلة فصار كل من سال عنه يقال له عند الشدف
اى الغرف ثم زادوا هذه الكلمة الالف والواو وقالوا شادوف ولكثرة تكرارها
جعلوها حكم الولد والنواطير مثل الاب له وقالوا ابوشادوف ووضعوها
على ذات الناظم لكثرة مجاودته لتلك الآلة وعرفوه بها فصارت علما يخاطب بها
كما سيق بيانه (مسئلة هبالية) ما الحكمة في ان الدلو والقطوة لا يفارق الخشبة
التي هي في حكم قصبة الميزان وهل هي حكم الاب له كما سبق من ان النواطير
في حكم مقام الاب للشادوف وان الدلو والقطوة ابدا لازم هذه الخشبة بالضرورة
لها ومتى انفك عنها بطل عمله فهو مجاورها في وقت الحاجة لاغير (الجواب)
ان الخشبه لا تستغني عن الدلو والقطوه وهما لا يستغنيان عنها فكان كلاهما
في حكم الولد للخشبة وكانت الخشبة في حكم الاب لما ذكر لان كلا من الدلو والقطوه
مرتبط بالخشبة فاتجه المقال عن وجه هذا الهبال (فائدة) الاب مشتق من آب
اذا رجع قال ابن زريق رحمه الله في قصيدة له

ما آب من سفر الا وازعجه راى الى سفر بالعزم يمنعه

اى ما رجع من سفر الا وازعجه راى الى سفر ثان وكذلك الاب لانه في كل ساعة
يرجع الى ولده ويتفقده وينظر اليه وقيل مشتق من الابوه كما ان الاخ مشتق
من الاخوه قال الشاعر *

ابو المرء من آب اشتقاقا لاسمه * واخو المرء ايضا قد اتى من اخوة

ومصدره آب يؤوب اوبا فهو آيب وقال ابن سودون ان ابو هذا فعل ماض
ناقص واصله ابوس ويدل على ذلك قول الشاعر

قالوا حبيبك وارى ثغره صلفا * ماذا تحاول ان ابداه قلت ابو
اى ابوس وانما حذفت السين لوجهين الاول لقصد جناس الشعر الثاني الا ...

اللائق بهذا عند الأدباء والأقرب الى السلامة من الواشين والرقباء والثانى حذف السين لانها فى الجمل بستين والستين فى البوس اسراف عند البعض هذا كلام المصحح به فى ديوانه انتهى قلت وكلام هذا البعض الذى نقله ابن سودون مردود لان المحب اذا ظفر بمحبوبه لا يشتفى فؤاده بستين قبلة ولا بماية خصوصا اذا كان ذلك المحبوب لطيف الذات حسن الصفات مطيعا للعاشق مصافيا مصادق وانطبع بقده المأنوس وانضم لعاشقه انضمام العروس وتملى المحب بالحبيب وخلا المجلس من الواشى والرقيب هنالك لا ينحصر البوس بعد ولا يكون له غاية ولا حد قال الشاعر

سألت بدر التم فى قبلة * اجاب ان توفى وملتمس السبب
لما اختلينا واجتمعنا به * غلطت فى العد وضاع الحساب

وقلت فى المعنى

رايت له شرطا على الخد قد حوى جمالا وقد زان الملاحة بالقرط
فقلت مرادى اللثم قال بخلوة فقبلته القاعلى ذلك الشرط

اللهم الا ان يكون المحل غير قابل للمحب والحبيب بان يكون بحضرة من واش او رقيب فيكون الضم فى تلك الحالة والتقبيل بحسب امن العاشق فى الكثرة والتقليل ومنهم من لا يعتريه فى ذلك وهم ولا الباس ويقبل محبوبه ولو بحضرة الناس ولو تفزمنه وفر ربما مال نحوه ومر قال الشاعر

لو تراني وحبيبي عندما فر مثل الظبي من بين يدي
وغدا يعدو واغدو خلفه وترانا قد طوينا الارض طي
قال ما ترجع عنى قلت لا قال ما تطلب منى قلت شي
فثنى عنى وولى خجلا وانثنى بالتيه عنى الحي
كذب الناس ان التمه آه لو افعل ما كان علي

ومن اللطائف ان ابا نواس مر يوما فى شوارع بغداد فرأى غلاما جميلا فقبله عيانا فترافع الغلام واياه على يد القاضى يحيى بن اكثم وادعى عليه بما وقع قال فاطرق القاضى ساعة وانشد يقول

اذا كنت للتجليس والبوس مانعا فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا ترخى الاهداب من فوق طرة ولا تظهرن من فوق صدغك عقربا
فتقتل مسكينا وتهجر عاشقا وتترك قاضى المسلمين معذبا

قال فاطرق الغلام ساعة وانشد يقول

وكنا اذا نرجوك للعدل بيننا فاعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها اذا كان قاضى المسلمين يلوط

وقوله (من عظم ما شكى) اى من عظيم امر بل من امور يشكو منها وصرح بشكواه راجيا بان الله تعالى يفرج عنه ويعيد له ما سلف من ايام النعيم التى كان فيها فان الامر اذا اشتد هان واذا ضاق اتسع قال الشاعر

ولرب ليل فى الهموم كدمل ٭ عالجته حتى ظفرت بفجره
ولقد تمر النائبات على الفتى ٭ وتزول حتى لا تجول بفكره

والشكوى على اقسام شكوى لله وهى محموده وشكوى للمخلوق وهى مذمومه اللهم الا ان يكون فى حال شكواه معتمدا على الله متكلا عليه مستعينا فى دفع ما نابه من الشدايد فلا باس بذلك واذا اصبر واحتسب كان اولى وفرج الله عنه قال تعالى وبشر الصابرين وقال تعالى ان مع العسر يسرا ومن كلام الاستاذ يحيى البهلول نفعنا الله به ٭

٭ اذا ضاقت بك الاحوا ٭ ل فكر فى الم نشرح ٭
٭ فعسر بين يسرين ٭ اذا املته تفرح ٭

ثم ان الناظم اراد تعداد الامور التى تراد فت عليه مبتديا باعظمها واهمها فقال (من القل) بكسر القاف وسكون اللام اى ان اهم شكواى واعظمها اولا من القل وهى قلة المأكل والمشرب حذفت تاء الكلمة لضرورة النظم وايضا عدم الميسرة فى الملبس وشدة التعب فى كد المعيشة (وفى الحديث) كاد الفقران يكون كفرا اى قارب ان توقع فى الكفر لانه يحمل على عدم الرضا بالقضا وسخط الرزق وذلك يجر الى الكفر وفى الفقر قال ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى شعر

لعمرى لقد قاسيت فى الفقر شدة ٭ وقعت بها فى حيرة وشتات
٭ فان بحت بالشكوى هتكت سريرتى ٭ وان لم ابح بالفقر خفت مماتى

وقيل وجد مكتوب على تاج كسرى انوشروان اربع كلمات وهى العدل ان دام عمر ٭ والظلم ان دام دمر ٭ والاعمى ميت وان لم يقبر ٭ والفقر هو الموت الاحمر ٭ وهى الكلمة التى يعايرها اهل الريف الرجل الفقير فيقولون فلان فى قل وربما زادوا عليها اخرى فقالوا هو فى قل وعرة اى فى حالة كد وتعب وارتكاب امور شنيعة واحوال منكرة وهى من الفاظ اهل الريف قال بعض شعرائهم ٭ (ابو جاموس صبح حالوا ٭ يبكى الناس وهو شهده) ٭ (بيجرى ما يلقاشى ٭ وفى قلة وفى عرة) ٭ والقل على وزن الغل والظل مشتق من القلقلة او من القلة بضم القاف او القولق وعرة بفتح العين المهملة وجزم الهاء فى اخرها على وزن زبره فخذ زبره وزنها على عرة لا تختلفا ابدا ومعناها ارتكاب المفاسد وقلة الدين ونحو ذلك ومن هذا المعنى قالوا فلان عرا اى مرتكب

هذه الأمور واما بالثاء المثلثه فهي واحدة العثرات وهي اللغة الفصحى بمعنى ان المتلبس بهذا الحالة عثراته كثيرة فالمعنى واحد وقد ورد لفظ القل في كلام العرب (وهو ما حكى) ان رجلا حضريا اضافه رجل بدوى فاخرج له صحنا من الطعام وشيا يسيرا من الخبز فصار البدوى كلما اخذ لقمة يقول الحضري قل بسم الله الرحمن الرحيم يا بدوى ولم يزل يكرر عليه التسمية حتى استحى البدوى وقام ولم يشبع من الطعام ومضى ثم بعد ايام خرج البدوى من منزله فراى صاحبه الحضرى فاخذه واجلسه في داره واخرج له قصعة كبيرة ملأنة من الثريد واللحم وقال له كل يا حضرى وسف ما في القلة بركه اى ما في قلة الطعام مع الشح بركه ودعك تسمى الله او تترك التسمية وان كان محل ذلك البركة فالمدار على سماحة النفس وان كان صاحبها فقيرا فالكرم فيه راحة القلوب وستر العيوب قال الشاعر

اذا كثرت ذنوبك في البرايا * وسرك ان يكون لها غطاء

تستر بالسخاء فكل عيب * يغطيه كما قيل السخاء

وفي الاثر كل عيب يغطيه الكرم (مسئله هباليه) ما الحكمة في اشتقاق القل من القولق او من القلا او من القلقله وما المناسبة لذلك وما معنى هذه الالفاظ (الجواب القنشورى) ان القولق اسم لشئ من الجلد يصنع لحفظ الدراهم ويربط في الحزام على الفخذ الايمن يفعله بعض سقاة القهوه وغيرهم فاشتقاقه منه لضيقه وعدم اتساعه كما ان القل هو ضيق المعيشه وعدم اليسره فناسب المعنى في ذلك واما اشتقاقه من القله بضم القاف فلاحد امورلما الحصر الماء فيها فكذلك حكم القل وعدم البركه حكم وجود الماء وعدم اوان المناسبه في ذلك لضيقها في حد ذاتها وان الماء لا ينزل منها الا من خرم ضيقه وانها اذا وضعت في الماء تبقبقت وصارت حكم الذى يشكوا الى الماء * قال الشاعر *

*

ما يقبق الكوز الا من تالمه * يشكوا الى الماء ما قاسى من النار

فكان في ذلك مشقه وشيء من التعب فناسب اشتقاق القل من هذا المعنى والقول الثاني انه من القلقله فهو كذلك من قلقلة الامور اى سرعة حركاتها وشدتها وارتكاب المشقات ونحو ذلك قال الشاعر

قلقل ركابك في الفلا * ودع الغوانى في القصور

القاطنين بارضهم * عندى كسكان القبور

اى حرك ركابك في الفلا وهو الفضا المتسع والمعنى سر شرقا ومغربا واكتسب ما يغنيك عن سؤال الناس ولا تكن عيلة عليهم ولا تذل نفسك

المودع الغواني جمع غانية وهي ذات الجمال اي اتركها ولا تشتغل بها عن
طلب رزقك فربما اشتغالك بها يتولد منه البطالة والكسل فلا تجد
ما تنفقه عليها فتميل نفسها الى غيرك ويترتب على هذا مفاسد كثيرة فاذا
سعيت وتركتها واتيت لها بما يسد جوعتها ويستر عورتها مما تحتاج اليه
دامت معك على المراد واحسن حال وان كان لا يفيدك من السعي السفر
الا اليسير فهو اولى من عدمه بالكلية قال الشاعر

على المرء ان يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر

(وفي بعض الكتب المنزلة) يقول الله تعالى يا عبدي خلقتك من حركة
تحرك رزقك (وفي المثل) الحركة فيها بركة * وقال الامام الشافعي
رضي الله تعالى عنه

تغرب عن الاوطان في طلب العلا * وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد
فان قيل في الاسفار ذل وغربة * وتشتيت شمل واجتماع شدائد
فموت الفتى خير من حياته * بدار هوان بين واش وحاسد

فاتضح الجواب باتفاق عن وجه هذا الاشتقاق (وقوله) جسمه الضمير
راجع للناظر اي جسمه وهو ذاته مشتق من التجسم او من المجسمة وهم طائفة
يقولون بالحلول والتجسيم قبحهم الله تعالى ومن جسم العاشق اذا نحل بعد الحبيب
ولم يجد له دواء ولا طبيب (وقوله) ما ينفك كلمة ربيبه ومعناها ما يزال
كما تقدم في الجزء الاول اي لم يزل جسمه من القل والتعب وعدم المنيسده
(نحيف) على وزن رغيف واصله نحيفا بالالف المقصوره وحذفت لضرورة
النظم والمعنى ان جسمه ضعف ورق من كثرة توارد الهموم عليه وتحمل
الاذى والكد في تعب المعيشة ونحو ذلك فان الهم يضعف الجسد ويمرضه
بخلاف الراحة وكثرة النعم ومن هذا يظهر ان اصحاب المال والرفاهية في
الغالب ان اجسامهم في نضارة وملاحة وطلاوة من حسن المآكل والمشارب
ونظافة الملابس ودقتها فلا يرون بذلك الهم تأثيرا * وقال الامام
الشافعي رضي الله عنه من نظف ثوبه * قل همه * وفي الحديث الثوب يسبح
الله فاذا اتسخ انقطع تسبيحه فالجسد مثل الزرع ما دام صاحبه يتعهده
بالسقي والاصلاح وتنظيف العلة عنه دام في نضارة زائدة وملاحة
زاهيه ومتى تركه اعترته الآفات وتغيرت عليه الاحوال * واما دقة
الجسد ورشاقته من غير مرض فهو ممدوح في النساء والرجال ويقال لصاحبه
اهيف قال الشاعر

* * * *

واهيفا

(واهيفان لعيا * بالمرد انثى وذكر) (قالت انا قمريه * قلت اسكتي انتِ قمر)

وأبلغ من هذا قول بعضهم

هيفاء لو خطرت في جفن ذي رمد * لما احس بها من وطئها المـا
خفيفة الروح لو رامت تخفتها * رقصا على الماء ما ابتلت لها قدما

(مسئلة هباليه) لاى شئ قال الناظم نحيف ولم يقل سقيم لكونه انسب في المعنى وافصح في العباره وقد ورد في القرآن العظيم في قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم اى من عبادتكم الاصنام (قلنا الجواب الفشروى) ان الناظم عدل عن هذه اللفظه لتضمنها معنى اللفظة التي على وزنها وهي قطيم والقطيم بلغة الريافه هو صاحب الابنه وبلغة اخرى وهو الخالي من الزواج فلو فرض انه اتى بها في النظم لربما يسوه انه كان به ابنة فيحصل من ذلك الضرر او يقال انه داعي في ذلك قوافي الشعر فلا اشكال فاتضح المقال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم اراد الاخبار عن بلية ابتلى بها ايضا نشأت من الفقر والعترة وعدم ما في اليد كما تقدم فقال

ص (انا القمل والصئبان من طوق جبتي * شبه النخاله يجري فوق جبهتي)

ش قوله (انا) يعني ابو شادوف اخبركم ايضا معاشر الاصحاب واشكو اليكم وهو ان القمل المعروف المتداول بين الناس بخلاف الوارد في القرآن العظيم فانه نوع من السوس والقراد كما ذكره بعضهم (فائدة) ذكر الدميري في حياة الحيوان عن بعضهم ان القراد يعيش سبعمائة سنه وهذا من العجب انتهى والقمل يتولد من العرق ومن وساخ الجسد واشتقاقه من التقمل او من تقميل الغزل اذا صبغ وبوش ووضع في شدة حرارة الشمس فيلبس ويصير فيه نقط بيض تشبه القمل فلهذا يقال غزل مقمل ومصدره قمل يقمل قملا وهو اسم جنس الانثى منه قملة واما الذكر فلعله يسمى قامل قال الشاعر

* * *

وما قامل في الثوب الا دابيه * يدب دبيب العقربان اذا مشا

(والعقربان) على لغة الثعلبان اسم للثعلب قال الشاعر

أربٌ يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وخوطب بلفظ المثنى كما ورد في القرآن العظيم في قوله تعالى القيا في جهنم وقوله تعالى يا مالك خازن النار القيا في جهنم وقول الحجاج يا غلام اضربا عنقه واما قوله في البيت الاول يدب دبيب العقربان اى لانهم شبهوا القمله بالعقرب والبرغوث بالفيل ولهذا انها تلدغ والبرغوث يعض (فان قيل) اذا كانت القمله تشبه العقرب والبرغوث يشبه الفيل فلاى شئ لم تكن كبيرة مثلها ولكنها

كلدغة العقرب وكذلك البرغوث لم يكن قدر الفيل وفعله كفعله
(الجواب عن ذلك) ان القمل لما كان منشؤه من جسد الانسان
وانه لا يفارقه لمنافع اقتضتها الحكمة الالهية وهي مص الدم الفاسد
وان كان يتحصل منه الاذى كان المناسب لحكمة الله تعالى ان يكون
صغيرا ولدغته قليلة الألم اذ لو كانت القملة قدر العقرب للزم ان يكون
الادمي قدر الجمل ويكون دائما في خوف من رؤيتها وتعذيب من لدغتها
والله تعالى كرم بني ادم وكذلك البرغوث لما جعله الله تعالى يسكن
مخارس الثياب والمحلات الضيقة كان صغيرا مثل القمل اذ لو كان
قدر الفيل للزم ان يكون الآدمي مثل الجبل والبرغوث واحد البراغيث
والانثى منه برغوثة وهو مشتق من البر والغوث * قال الجلال
السيوطي رحمه الله تعالى شعر
لا تكره البرغوث ان اسمه * بر وغوث لاية تدري
فبره مص دم فاسد * والغوث ايقاظك للفجر
واستغنى الناظم عن ذكره بذكر القمل لانه تابع له (سؤال) ما الحكمة في ان
البرغوث ينط والقملة لا تقدر على ذلك (الجواب) ان القملة لما تنشأ
من العروق ودواخل الجسد كانت ضعيفة بهذا المقدار ولكونها انثى
والانثى عاجزة عن الذكر واما البرغوث لما كان منشؤه من التراب
كانت طينته قوية ولهذا تشبه بالفيل وهو اعظم الحيوانات ذاتا فكانت
القوة ناشئة فيه فصار ينط فاتضح الحال عن هذا الاشكال وقال بعضهم
ان اذى البرغوث اقوى من اذى القمل قال الشاعر
اشكو اليك براغيثا بليت بها قد جرعوا القلب كاسات من الغصص
اصيد هذا يجي هذا يؤالمني فتنقضي ليلتي في الصيد والقنص
وما احسن ما قال بعضهم
بعوض وبرغوث وبق لزمتني حسين دمي خمرا فطاب لها الخمر
فيرقص برغوث الزمر بعوضة وبقهم يسكت لتسمعه الزمر
وافادني بعض اخواننا الحشاشين ادام الله باكل الحشيش انسهم واشغلهم
بدخول الارطال عند النوم حسهم ان الشخص اذا استعمل ما تيسر من
الحشيش قبل النوم ودخلت عليه الارطال ونام فلا يستعمر بأذى البراغيث
ولا غيرها خصوصا اذا استعمل الحلاوى بعد اكله فانه يحصل اقتفا الاعراض
ويظهر مظاهر عجيبه ولا يضره الاكل الحامض كما قال بعضهم متضمنا
كلام سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه * *

امنطا

امنسطل بالزبيد من فقد قهوة * شمول على نيرانها يجمع الشمل
نصحتك ان اصبحت في سطلة فلا * تذق حامضا واختر لنفسك ما يحلو

(وسمعت) من امي عفا الله عنها لغزا في البرغوث ولم افهمه الا بعد زمان طويل لما فهمت العلم ومارست الفصحا وهو هذا يا شي من شي احمر حمير ورق الجمير جراوراه خمسه مسكوه اثنين وتفسيره يا شيئ يا حرف نداء اي يا رجل فسر لنا اسما يخرج من شيئ مبهم وهو احمر حمير بتشديد الميم وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت تصغير احمر بمعنى شديد الحمرة ورق الجمير اي كورق الجمير في لونه تصغير جمار وهو قلب النخل وورقه اللين الملتف جراوراه ٥ خمسه وهي الاصابع مسكه اثنان منها وهما الشاهد والابهام وبين جميع وجميع الاجناس المصحفا انتهى (ومما يمنع اذى البراغيث) البخور بقشر الرازيج النافع عند النوم (ومما يقتل القمل) الحنا والزيبق اذا لت فيهما خيط صوف وعلق في العنق وفعل ذلك (واما منافع القمل) فقد ذكر صاحب كتاب الفقرا ان صاحب الشقيقة اذا اخذ قملة من راس سالم من الوجع ووضعها في باقلا مشوية وسد عليها بشمع وعلقها على موضع الشقيقة برئت باذن الله تعالى وقوله (والصئبان) معطوف على القمل وهو بزره المتولد منه فعطف الفرع على الاصل لانه من لوازمه وغالب كثرته في رؤس الاطفال لرقة اجسادهم فيعالج بالادهان والحنا المعتاده وتسريح الشعر ونحو ذلك وله اكلان في الجسد بسهولة فهو اشد ضررا من القمل لكونه اضعف منه والطف جسما واصله صيئبا بتقديم الموحده على الياء المثناة من تحت جمع صيبي ثم انهم ارادوا العدول عن هذا الجمع لئلا يشتبه باولاد الادميين فقدموا اليا المثناه من تحت على الموحدة وقالوا صئيبا وهو مشتق من الصابون لبياضه او من الصبيه او من قاطر الصابوني ومصدره صيبن يصيبن صيبانا وسكت الناظم عن نوع اخر من اولاد القمل وهو النمنم بكسر النونين وسكون الميمين لكونه من لوازمه ايضا لان الفرع تابع للاصل كما تقدم وتمم على وزن سمسم وهو مشتق من النمنمة او النمام نوع من المشموم واما اذا فتحنا النونين فيكون مركبا من فعل امر فكانه ياعره بالنوم مرتين ومن معناه قول الحريري عفا الله عنه

(سم سمة تحمد اثارها * واشكر لمن اعطى ولو سمسمة)

وهذا يقرب من فن الاحاجي كقولهم طاجن وطاقية والياسمين وقول بعضهم

اني رأيت عجيبا في دياركم * شيخا وجارية في بطن عصفور

(واحمر الخد تاتي * يعزى اليه الخضاب) * (بعير عين وناب * وفيه عين وناب)

ويطلق لفظ نمنم على كلام الاطفال الصغار اذا اشتهى الاكل فيقول نمنم او نيف

بضم الموحدة وسكون الهاء لانه ينطق بالفاظ تخالف الفاظ الكبير كما هو مشاهد (واما لغته) قبل نطقه فقيل انها بالسريانيه واذا اشتهى الماء يقول انبوه بضم الهمزه وسكون النون ورفع الموحده وجزم الهاء واذا مد يده لنجاسة يتناولها زجر بلفظ كخ بالكاف والخاء المعجمه واذا دنا لاحد شئ يؤذيه يزجر ايضا بلفظ اخ بالالف والخاء المهمله واذا احدث شيئا اعجبه ولعب به يقال له او يقول هو عليه دح بالدال والحاء المهملتين ويقال له او يقول هو على المأكول اذا فرغ منه بح بالموحدة والحاء المهملة واذا ارادت امه ان تخوفه او تسكته عن الصياح تقول له اسكت لا ياكلك البعبع بكسر الموحدتين او رفعهما وجزم العينين المهملتين والبعبع مشتق من البعبعه وهي صوت الجمل وبين اح ودح وبح الجناس المتغير الاول ويخاطب امه بلفظ ماما واباه بابا واخاه الصغير واوا ونحو ذلك وتغزل بعضهم في صغير بيت من المواليا جمع فيه هذه الالفاظ فقال *

(يامن سلب للحشى والقلب والروح واواح * غيري تواصل وانا لى من وصالك بح)

انا اطعم البف والنمم وقولة بح * بعبع انا كخ بابنا وغيري دح

وقال ابن سودون رحمه الله في معنى ذلك

لموت امي ادى الاحزان تحنيني * فطالما حسستني لحس تحنين

وطال ما دلعتني حال تربيتي * حتى طلعت كما كانت تربيني

اقول نمم تجي بالاكل تطعمني * اقول انبوه تجي بالماء تسقيني

قوله تحنيني وتحنين فيه الجناس التام الاول من الانحناء والثاني من التحنن والشفقة كما لا يخفى ويقال عذار متمم اى يشبه نبته بدبيب النمم او نبات النمام وقد قلت في تشبيهه بدبيب النمم شعر *

دب العذار على خديه خيل لى * بانه نمم يمشي على مهل *

وبعضهم زاد نوعا رابعا وسماه تحليس بكسر اللام وتشديد الحاء المهملة على وزن تعبيص او تقليس مأخوذ من البعبصة وهي ادخال الاصبع في دبر الغير والقلس من اللقاسه يقال لقس الكلب الاناء اى لحسه بلسانه فيكون فيه نوع شبه باللحس او يكون على قياس قطيس واللحاسة والنجاسه على وزن واحد يقال فلان لحس اى مرتكب شيأ يشبه النجاسة او كثير الكلام بلا فائده فتكون اللحاسة والنجاسه بمعنى واحد قال في القاموس الازرق والناموس الابلق لا فرق بين لحاسة ونجاسة فيها بالاشك فهذا اصوب ويقال انت تعيس لحس اى انت تشبه لحس الكلب للاناء او انك تلحس الخرا بلسانك او تلحس بالكلام ولا تدرى منطوقه من مفهومه والتعيس من معنى ذلك ايضا فكلها الفاظ قريبة الشبه من بعضها البعض ولهذا التحليس مزيد ضرير * قال في القاموس الازرق والناموس الابلق *

ولى

ولي من اذى اللحيس في الرأس كربة * ونملي واكل في الثياب وفي الجسد

ومصدره لحس يلحس لحيسًا فان قيل ان هذا اللحيس الذي زاده هذا البعض
شيئ تافه جدا فكان وجوده كالعدم ولهذا تركه الناظم كثيرة فما الجواب
قلنا نعم وان سلمنا انه لا وجود له الا بعسر لدقته ففي الجملة له محض اذية وضرر
فصار من اتباع القمل بل من اولاده كالصئبان والنمنم كما تقدم او يكون هذا قياسا
على من زاد في اقسام الكلمة نوعا رابعا وسماه خالفة وعنى به اسم الفعل وهو صه
بمعنى اسكت فاتضح الحال من وجه هذا المقال وقوله (في طوق جبتي) اي
كائن اي مستقر في طوقها والطوق على وزن الجوق كما يقال جوق الطبالة
وجوق المغاني ونحو ذلك وهو اسم لما طوق به العنق من ثوب او غيره كالحديد
والفضة والذهب والنحاس ونحو ذلك قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به
يوم القيامة اي المال الذي كنزوه في الدنيا ولم يؤدوا زكاته ولم يصرفوه في
وجوه الخير يجعل في عنقهم كالطوق ويعذبون به في النار والطوق مشتق من
الطاقة او من الطواق لتدويرها او من خان ابو طاقية بمصر ومصدره طوق
تطويقا ونساء الارياف يجعلونه من فضة ويسمى عندهم ضامن ايضا وهو
احسن الحلي عندهم * واما ما يوضع في اعناق الرجال في السجن فانه يسمى عندهم
ضامنة يقال فلان ضامنة اي بمعنى ان هذه الحالة الحديد التي في عنقه ضامنة
له لا يقدر ان ينفك عنها مثل الرجل الضامن للانسان متى طلب منه احضره
(وقوله) جبتي على وزن شختي ولحيتي هذا اذا نسبتها لنفسك واما اذا كانت
لغيرك فتقول جبتك على وزن شختك ولحيتك مثلا * واذا وصفتها وقلت
جبتك حمرة فتكون بالتصحيف خشتك حمرة اي ناكك رجل يسمى حمزة والجبة واحدة
الجبب مشتقة من الجب وهو القطع لان الخياط يجبها اي يقطعها ويفصلها يقال
جاب الفيافي بمعنى قطعها وقد قلت في المعنى شعر *

اجوب الفيافي طامعا في وصالها * واقطع ارضا لست منها بجابر

ومصدرها جاب يجب جبا وجبة * وهي على قسمين ريفية وحضرية فالريفية من
من صوف تخين غليظ مشدودة محكم الثوب ويجعلون اكمامها متسعة
خصوصا شعرائهم فانهم يعرفون بزيادة وسع الاكمام لان كم الرجل منهم يشتمل
ركبتيه ونساؤهم على شكل الشعراء في وسع الاكمام وزيادة فان كم المرأة منهن يسع
الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثاني وربما جامع الرجل زوجته من كمها ولا
يحتاج لبغية رفع الثوب كما وقع لي في ذلك فاني تزوجت منهن وكنت اجامع زوجتي
في بعض الاحايين من كمها فسبحان من خصهم بقلة الهندام حتى في الثياب والاكمام
فهي امور لديهم محبوبة * والمناسبة مطلوبة (وفي المثل) راوا قرد يسكر على بيرلد

فقالوا اما للمدام الرايق الا لهذا الشاب العايق ورأوا جاموسة منقبة بكيب
فقالوا اما للصلبية القصيفة الا النقاب الرفيع قال الشاعر

رايت مجذوما فى قاع بئر * واخرا برصا يجذوا عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

واما الحضرية وهو الذى يستعملها اهل المدن خصوصا العلما والظرفا وهى من الصوف الرفيع اللطيف يجعلونها مخصوصة الابا طمفتوحة ويقال لها مفرجية بتشديد الراء لكونها انفرجت من مقدم الشخص وبان ما تحتها ويصنعون لها السجاف الحرير وغيره حتى تصير اعجوبة للناظرين وبهجة اللابسين فسبحان من حلاهم بطلاوة الملبوس وزينهم بكل قدما نوس وجعل نساهم زينة للنفوس كما فى المثل الاساس بحسب بانيه وكل شئ يشبه قاينه فالانسان ينشأ على الطبع الذى جبل عليه وشبيه الشئ منجذب اليه قلت فى المعنى

رايت بخده ماء ونارا * وذاك الورد منتثرا عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

ثم ان الناظم لما علم ان القمل والصيبان وغيرهما الكائن فى طوق جبته لا يمكن حصره لكثرته اراد ان يشبهه بشئ يناسبه فى الكثرة واللون فقال (شبه النخالة) وهى قشر البر والشعير الذى يعلو المنخل عند التخيل وسيأتى تعريفها واشتقاقها وهذا التشبيه يعطى حكم المشبه به من وجهين الاول ان القمل ابيض والنخالة كذلك الثانى انه اذا تراكم على بعضه البعض يرى فى العين كثيرا كما ترى النخالة فكان تشبيهه بها هو المناسب وهى مشتقة من النخل او المنخل او النخال قال فى القاموس الازرق والناموس الابلق

اسم النخالة مشتق كما ذكروا * من منخل ونخيل ثم منخال

ونخالة الشعير اقوى نفعا لانها اذا نقعت فى الما وسخنت بالنار وشربها من يشتكى الصدر ابرأته باذن الله تعالى (وقوله) يجرفه اى القمل والصيبان وتوابعهما المتقدم (جريف) اصله جرفا لانه مصدر بحذف الفه وزيد فيه اليا لاجل الضرورة او انها لغة ريفية فلا اعتراض وهو مشتق من الجرف او من الجرفة او الجرافة فان قيل كان حق الناظم ان يرجع الضمير لاقرب مذكور وهى النخالة وكان هذا هو الانسب قلت لعله عدل عن تانيث الضمير لضرورة النظم اذ لو فعل ذلك لاختل الوزن او يكون من باب الترخيم كقوله *

افاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد ازمعت صرمى فاجملى

او انه رجعه الى قشر البر والشعير المسميان بالنخالة فيكون على تقدير حذف المضاف فلا اعتراض عليه فان قيل ايضا ان كلام الناظم يفهم منه ان القمل والصيبان

قد انحصر في طوق جبته فقط ولم يكن على بدنه منها شيء واذا كان كذلك فما فائدة
الشكوى منها (قلنا) يمكن الجواب بان يقال ان قوله في طوق جبتي اي غالب
القمل يتراكم ويصعد الى طوق جبته حتى يصير من كثرته يشبه النخالة في الجرف
ولا يلزم من هذه العبارة ان بقية جسده سالم منه بل اذا كان في طوق جبته بهذا
المقدار فيكون شيء منه في الجسد من باب اولى لان الجسد محل معاشه وغذائه
من مص دمه وشرب اوساخه وانما القمل من شانه ان يسرح اولا في الثياب ثم ينتشر
على البدن يمص الدم الفاسد وكل من شبع منه صعد الى اعلا الثوب او الجسد
فيمكث فيه ليستنشق الهوا ويرتاح كما ان الآدمي اذا شبع يرتاح بسكونه ونومه مثلا
فهذا ابدا كما جرت به العادة فاتضح الجواب (فان قيل) لاي شيء لم يتعرض الناظم
الشكوى من البق والنمل والبعوض ولم يذكر شيئا منها مع ان كلا منها اذية وضرر شديد
(الجواب) عن هذا السؤال من وجوه شتى الاول ان البق وان كان كثيرا كما
في المثل ان البقة تولد منه وتقول يا قلة الدرهم فانه في الغالب لا يهوى الا البلاد
المدن لعلو اماكنها وكثرة اخشابها وطليها بالجص والجير لانه يعيش بها ويتولد
فيها وبلاد الارياف ليس فيها شيء من البنا العالي المكلف وان وجد في القرية فيكون
دار الشاد بها او دار الملتزم مثلا والناظم لا يتوصل اليها ولا ينام بها وانما بيوتهم
غالبها من الكرس والوحل ومن كان فيها الجملة ايضا فقليلا لا يعرفون البق ولا يرونه
ولا يهوى اماكنهم (واما النمل) فانه وان كان موجودا في بلاد الارياف فانه لا يهوى
الا المحل الذي فيه بعض الادهان كالسمن والزيت ويهوى الشيء الحلو كالعسل والسكر
فياتي اليه ويشمه ويكون قوته الشم كما ذكره صاحب حيوة الحيوان ومثله الكمون فان
الوعد يغنيه عن سقي الما كما قال الشاعر *

لا تجعلوني ككمون بمزرعة * ان فاته السقي اغنته المواعيد

والناظم لم ير النمل اثرا في بيته لقلة ما فيه من الحلوى والادهان بل لعدمها بالكلية
فلهذا لم يكن للنمل عليه سبيل لا في ثوب ولا موضع بل كان منفيا عنهم بهذا السبب
(واما البعوض) فانه وان كان موجودا في بلاد الارياف لكنه ياتي اياما ويذهب
بخلاف القمل والصئبان فان اذاهما دائم مستمر في الثياب وغيرها كما تقدم والشيء
اذا كان يؤذي قليلا ويغيب كثيرا يكون وجود ضرره كالعدم فكان هذا سببا
لترك الشكوى من الجميع فاتضح الجواب (فائدة) اذا انقع الحنظل في ماء القرنفل
بعد اشتوائه ورش بها في المحل فهي مبيدة قتلة البق ولم يبق منه شيء واذا ظهر النمل في
محل فيه البق اكله قال الشاعر * (اكل البق المني * حسبي ما حل بقتر) *
(حيث النمل ساعدني * فما خلى ولا بقى) * (واما النمل فيمنعه رائحة القطران)
ويمنع البعوض دخان النخالة (مسئلة هيا لهم) ما الحكمة في ان الشيخ اذا كلمه

قملة او قرصة برغوث او شئ مما يؤذى يسرى ذلك الاذى فى سائر جسده ظاهرا وباطنا حتى يشمل الكبد والرئة والقلب ونحو ذلك مع ان القمل او البرغوث ونحوها لا يتوصل الى باطن الجسد الا ان دخل من منفذ من المنافذ واذا دخله نادرا ما مات فى الحال قبل وصوله الى باطن الانسان وكثيرا ما يدخل البرغوث فى اذنه فيمكث قليلا فى حركة واذية فيخرج بسرعة او يموت فما وجه ذلك (الجواب) المقنع ان يقال ان الجسم باطنه وظاهره فى التألم على حد سواء لان الروح سارية فيه كسريان الماء فى العود الاخضر فاذا حصل الاذى فى ظاهره تألمت الروح وسرى الالم فى جميع الجسد ظاهرا وباطنا وامثل لك مثلا فيتروايا وهو ان الشخص اذا حبس فى خزانة صغيرة مثلا وكانت لا تسع غيره وليس لها منفذ وطال سجنه فيها فان جسمه يضعف ويتغير وتعتريه الامراض ويتالم ظاهرا وباطنا خصوصا اذا حصره البول وبال فيها حتى ملأها او ضرط فيها ايضا فتصعد تلك الروائح الى العلو فلا يجد لها مصرفا فتعود على لحيته وشواربه فتقذرهم ضررا بليغا خصوصا صاحب اللحية الطويلة العريضة ما لم يكن عرضها اضر طولها فيخفف الضرر اوقل طولها فكذلك على كل من الحالتين فانكشف الحال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم شرع فى ذكر مصيبة اخرى ابتلى بها وهى فى الجملة اشد ضررا من القمل والصيبان لكونها من جهة الاقارب فقال من (ولا ضرنى الا ابن عمى محيلبة * يوم يجى الوجيه على يحيف) *

ش (قوله) ولا ضرنى اى ضررا زائدا اى ضررا زائدا على ما تقدم (الا ابن عمى) اخو والدى وهو مشتق من العموم لان نفعه يعم اولاده واولاد اخيه لانه فى حكم الاب لهم اذا فقدوا والدهم ولهذا تسميه العرب ابا قال بعض المفسرين فى قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر ان المراد به عمه او من العمامة لعلوها ووضعها فوق الرأس حكم التاج كما فى الحديث العمائم تيجان العرب فكذلك العم له الرفعة على اولاد اخيه لكفالته اياهم وولايته عليهم وقوله (محيلبه) تصغير محلبه وهى اناء يعمل من فخار احمر مجوف البطن محصور الرقبة لها اذن واحدة وتعمل باذنين ايضا اذا كانت كبيرة سميت بذلك لحلب اللبن فيها من باب تسمية الظرف باسم المظروف والحاصل ان الاوانى المعدة للحلب على اقسام محلبة ومحلاب وهو على ثلاثة اقسام صغير وكبير ومتوسط والمحلاب اطول من المحلبة واوسع منها فما واضيق بطنا فهو يشبه قعر القادوس وهو صغير جدا وربع وهو اناء صغير يأخذ فى الكيل قدر ربع المحلبة وقررقة بفتح القاف وتشديد الراء المهملة وكسر القاف وسكون الهاء فى آخرها وهى تشبه المحلاب فى صغر القعر الا انها محصورة الرقبة واسعة البطن مثل المحلبة ولها اذنان او اذن واحدة واكبر الاوانى للبن القسط وهو جرة كبيرة وهناك اناء آخر يقال

له الكوز يباع به اللبن في بلاد المدن كما شاهدنا ذلك وهو ثقيل في الجرم قليل في
البركة ومحلبة على وزن دولبة ومحلاب على وزن دولاب وقسط على وزن قيط
سمي بذلك لكونه مقسطا بالوزن او الكيل وربع على وزن سرع وكوز على وزن
بوز لانه يشبه بوز البقرة او العجلة في وسع فمه وهو مشتق من الكز وهو العض
يقال كزت الارض على الحراث اذا عضت عليه وكز الطفل على اصبعه اذا عضه
هكذا رايته في القاموس الازرق والناموس الابلق فالكوز اذا وضع فيه اللبن
او الماء يعبق وتاره يشكو ما ناله من الم النار وما قاساه من العناء حتى صار فخارا
قال الشاعر

ما يعبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان القياس القطلبي من هذا القبيل فهذه الاواني معروفة عند اهل الريف
وغيرها ومنها الذي والتمنه وغير ذلك (فان قيل) ان المحلبة والمحلاب
ونحوهما كالقسط والربع والكوز تشكل معرفة اسمائها واشتقاق بعضها
فما معنى القروقة واصل وضع هذا الاسم الغريب على هذا الاناء وما مناسبة
ذلك (قلنا) يمكن الجواب من وجوه (الاول) ان هذا الاناء عمل في زمن القر
بكسر القاف وجزم الراء وهو شدة البرد ثم انهم وقدوا حرقه في زمن الصيف
فصار يقال قروقه اي هذا الاناء وقت حرقه وكماره ثم انهم حركوا الراء من قر وضموها
مشدده وجعلوا مجموع هذه الحروف علما عليه وقالوا قروقه فصار مركبا من اسم
وفعل الثاني انه لما اتى به وهو جديد ووضع الحلاب بين رجليه وحلب فيه
اللبن فصار يفور ويعلو منه رغوة كثيرة فخاف الحلاب من سيلان اللبن خارج
الاناء فصار ينادي اللبن قر فيه قر فيه اي سكن فيه واستقر ثم زادوا في هذا
اللفظ واوا بين فعل الامر والجار والمجرور وحذفوا اليا المثناه من تحت لثقلها
في اللفظ وحركوا الواو وقالوا قروقه فسمي بذلك الثالث ان طينته في الاصل
اخذت من محل قريب من قراقة مصر فصاروا يقولون اناء قراقي ثم انهم اشتقوا له
هذا الاسم من هذا المعنى وقالوا قروقه الرابع انه مشتق من القرفة بكسر القاف
وهو نوع من البهارات ذكي الطعم والرائحة يدخل في الاطعمة الفاخرة والماكل النفيسة
وكذلك اللبن عند حلبه يكون فيه طيب الرائحة وحلو الطعم قال الله تعالى لبنا
خالصا سائغا للشاربين ثم زادوا فيه واوا وجعلوه علما عليه الخامس ان الاسما
لا تعلل فلا يحتاج الى هذه الابيات المشروحة وهذه الخرافات الهباليه فاتضح
الجواب وبان الصواب (واما سبب تسمية ابن عم الناظم بهذا الاسم فعلى اقوال
احدها ان امه لما وضعته سمعت انسانا يقول لاخرها المحلبه فسمته بذلك
تفاؤلا بهذا اللفظ وصغرته لكون الولد صغيرا الثاني ان امه اتت بولد قبله

وسمته محلاب فمات ثم ولدته وكرهت ان تسميه باسم اخيه فانثت اللفظ
وصغرته وقالت محيليه واشتهر بذلك الثالث ان امه لما ولدته زارها النسا
بحلية جديدة ساعة ولادته فتفاءلت بذلك وقالت محيليه فهذا ما ظهر لي
من هذه المباحث الفشروية والخرافات الهبالية وقوله (يوم) بالتنوين وخفض
الميم لضرورة النظم واليوم اسم لبياض النهار المضيء المشرق بسبب اضاءة الشمس
الذي يصام شرعا كما لا يخفى (وقوله) يجي من المجيء وهو الحضور (الوجبه) ووقت
مجيئها وحضورها بمجرد طلوع المشد او الملتزم او النصراني الى الكفر او البلد
فتوزع على الفلاحين بحسب ما يخصهم في الارض من القراريط والفدن ونحو
ذلك فمنهم من يكون عليه في الشهر يوم ومنهم من يفعلها في كل جمعة مرة ومنهم من
يجعلها في كل ثلاثة ايام وهكذا بحسب كثرة الفلاحين وقلتهم وبحسب زيادة
الارض ونقصها فلا بد منها في كل يوم مدة الاقامة فيقوم الرجل بكلفة المشد
والنصراني ان كان حاضرا وجميع من يكون من طائفة الملتزم ويلتزم باكلهم وشربهم
وجميع ما يحتاجون اليه من عليق دوابهم وما يمونه عليه من المأكل من اللحم والدجاج
ولو كان فقيرا الزموه بذلك قهرا عليه والا حبسه المشد وضربه ضربا موجعا
وربما هرب من قلة شيء يصنعه فيرسل المشد الى اولاده ونحوه ويهددهم ويطلب
منهم ذلك فربما رهنت المرأة شيئا من مصاغها او ملبوسها على دراهم واخذت
بها الدجاج او اللحم واطعمتهم واحرمت اولادها من الاكل منه خوفا على نفسها
من انه لا يكفيهم مثلا وقد يربي الفلاحين الدجاج فلا يأكل منه شيئا ويحرم نفسه
وعياله منه خوفه من الضرب والحبس ومثل الدجاج السمن والدقيق فيبقيه
لاجل هذه البليه ويطبخ بالشيرج ويأكل الخبز الشعير ويصنع لهم القمح الربيع ويأكل
الجبن القريش المالح ويتكلف شراء الجبن الطري الحلو ويرسله في الوجبة كل ذلك
خوفا على نفسه من هذه الامور وسميت وجبه لكونها صارت على الفلاحين
حكم الامر الواجب عليهم للملتزمين فلا بد من فعلها للمشد بالقرية او النصراني
او الملتزم اذا حضر كما تقدم بيانه واذا اسقطها بعض الملتزمين جعل في مقابلتها
شيئا معلوما من الدراهم واضافه الى المال ويلزمهم بدفعه الى المشد بالقرية تؤخذ
منهم كل عام فهي من انواع الظلم والاكل منها حرام ما لم تكن من الفلاحين عن طيب
نفس وانشراح صدر بحيث ان الملتزم يرضيهم بشيء من الارض او غيرها في مقابلة
ذلك وبعض الملتزمين يتعفف عنها بالكلية ولا يجعل عليهم شيئا لا للمشد ولا لغيره الا
اذا تبرعوا بشيء من عند انفسهم فعلى هذا لا تكون حراما ويحل الاكل منها ومثل
الوجبه غرامة البطالين واستخدامهم بغير اجرة ما لم يكن عن رضا منهم في مقابل
السكنى وترك الزرع ونحوه فكل ما كان فيه اضرار للناس فهو حرام *

قال الشاعر *

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وما عليك اذا أذنبت من بأس
الا اثنتان فلا تقربهما ابدا * الشرك بالله والاضرار للناس

فان قيل ان الامير او غيره اذا التزم بقرية وجد في دفاتر من التزمها قبله الوجبة وغرامة البطالين وغير ذلك مما هو من انواع الظلم فيجعل ذلك على اهلها حكم الحوادث السابقة كما جرت به العادة فهل يكون الاثم عليه او على من احدث هذا قبله او عليهما معا الجواب ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اى من اتى بشيء لم يكن موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة فهو رد اى مردود ومعناه باطل لا يقتدى به وفيه بيان على انه لا فرق بين ان يكون احدثه بنفسه او سبقه غيره فالاثم على كل من فعله وامر بفعله اذ كل فعل لم يكن على امر الشارع ففاعله آثم لقول النبي صلى الله عليه وسلم من احدث حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله وفيما ذكرنا رد على ذوى العقول الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع فاتضح الجواب * وبان الصواب * وفي قوله (تجي الوجبه) نوع من انواع البديع يسمى التوزيع وهو ان يوزع الشاعر حرفا من حروف الهجا في كل كلمة من الفاظ البيت او غالبه كقول الصفي الحلي رحمه الله في بديعيته

محمد المصطفى المختار من ختمت * بمجده مرسل الرحمن للامم

فانه كرر حرف الميم في جميع كلمات البيت والناظم حكم له حرف الجيم في كلمتين فقط ويقرب من هذا المعنى ما اتفق ان رجلا فلاحا كان يهوى امرأة جميلة وكان له غلام صغير في غاية من الحذق والفصاحة فارسله يوما اليها لتأتي الى محله فذهب الغلام حتى اتى محلها واخبرها ان معلمه يريدها فامتثلت الامر وارادت الذهاب معه فحضر زوجها في ذلك الوقت فتنكر الغلام ومضى ولم يشعر به احد حتى اتى الى معلمه فرآه يقلي السمك على مجارى عادته والناس حوله يطلبون منه السمك المقلي فابتدره بكلام مقفى موزون يفهمه فيه القضية ويعمى فيه على الحاضرين فقال له يا معلمي فق لي من ذا السمك فاقلي جات تجي فجا لو اتجي لجت ولكن تجى لما يروح تجي وتفسير هذه الكلمات ان قوله يا معلمي فق لي اي تنبه لقولي واستمع له وافهمه من ذا السمك فاقلي اي بهذا الكلام لتوهم الحاضرين انه يريد شيأ من السمك وانه يطلبه منه بسرعة قليه وبين قوله فق لي وفاقلي الجناس المحرف المزيد وقوله جات تجي اي ارادت المجيء وامتثلت الامر فجا اى زوجها في وقت ما ارادت الذهاب ثم قال لو اتجي اى زوجها لجت اصله لجات سهله للضرورة اى لحضرت اليك ولم تخالف

امرك ثم اشتد ذلك الكلام بقوله ولكن ترتجى اى حضورها من الرجا وهو حصول
الشيء على وفق ارادة الطالب لما يروح زوجها ويخلو مكانها تجي الملك ويحصل
المطلوب والشاهد في قوله جاءت تجي فجاء الخ فانه كرر حرف الجيم في كل كلمة كما لا يخفى
فان قيل ان النصراني اذا نزل قرية لقبض مالها يحضر اليه الفلاحون ويكرمونه
ويرسلون له الوجيه ويتذللون بين يديه ويطيعون امره ونهيه بل يكون غالبهم
في خدمته هل هذا حرام عليهم لتعظيمه وهل يكونون آثمين بذلك ام كيف
الحال قلت الجواب ان خدمة المسلم للكافر حرام وكذلك تعظيمه والخضوع
له والتذلل بين يديه ويكون الفاعل آثما بذلك ما لم يخف منه ضررا او اذية بان
يكون حاكما عليه ومتوليا امره واضطر اليه في امر كقباض المال من النصارى في بلاد
الارياف وغيرهم فانهم ما يكون هذا الامر بل اذ يعض الملتزمين يولي النصراني
امر القرية فيحكم فيها بالضرب والحبس وغير ذلك فلا ياتيه الفلاح الا وهو يرتعد
من شدة الخوف كما اتفق في مدة الاستاذ العارف بالله تعالى الشيخ تقي الدين بن دقيق
العيد نفعنا الله به ان السلطان ولى شخصا من النصارى على اقليم مصر
كله يقبض ماله فكان ينزل الى الاقليم في موكب عظيم من الخدم والحشم ويمر على البلاد
يقبض اموالها وهو راكب على فرسه ولا ينزل الا لضرورة الاكل او المبيت من شدة
اذيته وقوته وكان لفرسه ركاب من الفولاذ مطلي بالذهب وقد جعل فيه سفودين
من الحديد خارجين الى الخلاء قدرا يسيرا ثم يرسل خلف الرجل فلا ياتيه الا
وهو يرتعد من شدة الخوف فيقف بجانب فرسه وهو راكب فيغلظ عليه بالكلام
القبيح ويقول له ادفع ما عليك من المال في هذه الساعة فاذا اجاب واحضر المال
في وقته كان والا ضربه بتلك السفودين فيجرحه او يخرق احشاءه فيموت وكان
هذا دابه مع المسلمين لعنة الله عليه فاتفق انه طلع الى قرية الشيخ ابن دقيق العيد
رحمه الله وارسل خلف رجل من اتباعه كان عليه بقية مال من خراج ارض
يزرعها فلما حضر اليه قال له ادفع ما عليك فقال له الرجل امهلني بقية هذا اليوم
فاغلظ عليه واراد ان يحرك الركاب ويضربه بتلك السفافيد يقتله فولى هاربا
والنصراني يتبعه على الاثر الى ان القى بنفسه بين يدي الشيخ وهو يحرق في ثمين
جبلا لانها كانت صنعة الشيخ في ابتداء امره فقال له ما الخبر فقص عليه الامر فلم يشعر
الا والنصراني واقف على راسه فقال له الشيخ امهله بقية النهار فاغلظ على الشيخ
بالكلام فاخذ الشيخ الغضب لغيرته على المسلمين وقام اليه وجذبه من اطواقه فبقي
في يده كالعصفور وقال له يا ملعون الابعد طال عمرك وساء عملك وقد اشتد على المسلمين
ضررك والان قد زال اسبك وانمحى رسمك ثم اتكا عليه حتى قصف ظهره
والقاه في تنور التمين فاحترق ثم نظر الى الجماعة نظرة الغضب فالقى الله الرعب

في

في قلوبهم فولوا الادبار حتى وصلوا الى السلطان واخبروه بالقصة فاشتد به الغضب وارسل خلف الشيخ فسار اليه حتى طلع الديوان فلما مثل بين يديه قال له ما حملك على حرق النصراني فقال له الشيخ وانت ما حملك على توليته على المسلمين وتامره باذيتهم فزاد به الغيظ واراد ان يبطش بالشيخ فاشار الشيخ الى الكرسي الذي هو جالس عليه فتحرك من تحته فانكب الى الارض مغشيا عليه وصار للكرسي دوران وطنين في القلعة ودوي كالرعد القاصف وهاجت العسكر في بعضها البعض وانجت القلعة بمن فيها من الجند الاعوان فصاحوا الامان الامان فاشار الشيخ بيده فرجع كل شيء على حاله ثم اشار الى الملك فصاح من غشوته فلما افاق قبل يديه وقال له العفو يا سيدي بمن على ما تريد قال له انا لا اريد منك شيئا غير انك لا تول احدا من النصارى على المسلمين ولا على امورهم والا هلكت فقال له السمع والطاعة ثم ان الشيخ نزل من عنده على غاية من الكرامة والتبجيل وصار الى قريته ولم يزل هذا الامر منقطعا زمانا لا يتولى احد من النصارى امر المسلمين في قبض مال ولا غيره الى ان احتاج اليهم الحكام لحذقهم وصحة عقولهم في الحساب فولوهم هذا الامر الى زماننا هذا وكذلك اليهود تعاطوا علم الطب حتى تصرف الفريقان في الاموال والارواح ولله در القائل

لعن النصارى واليهود جميعهم * نالوا بمكرهم الامالا
جعلوا اطباء وحسابا لكي * يتقاسموا الارواح والاموالا

فعلى هذا يجوز للشخص معاشرتهم والخضوع لهم اذا خشي على نفسه او عياله ضررا منهم في امر ديني او دنيوي يتوقف على ذلك وقد اضطر اليه فلا باس باستصحابهم من هذا القبيل وقد عوتب سيدي عبد العزيز الديريني نفعنا الله به في تردده على نصراني بلد ترفقا لك

يلومونني في عشرة القبط خلتي * فوالله طول الدهر ما حبهم قلبي
ولكنني صياد رزق بارضهم * ولابد للصياد من صحبة الكلب

واما اذا اخلط الانسان بالمحبة والصحبة لا لغرض دنيوي قد اضطر اليه ولا لخوف ضرر منهم فربما دخل في ضمن قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وفي ضمن قوله صلى الله عليه وسلم من احب قوما حشر معهم وقوله علي بتشديد الياء يريد نفسه لا غيره (يحيف) اي يميل علي ويظلمني ويكلفني ما لا اطيق فكان عليه هذا الضرر اشد من غيره الذي هو اذية القمل والصئبان ونحوهما كما تقدم لكونه ناشئا من الاقارب قال الشاعر

اقاربك العقارب فاجتنبهم * ولا تركن الى عم وخال
فكم عم اتاك الغم منه * وكم خال من الخيرات خالي

فانظر الى هذا الشاعر اللبيب كيف اتى بالعم والخال وصحف الاول بالغنم
واستخدم لفظ الثاني في كونه خاليا من الخيرات وحكم فيه الجناس وتورية
اللفظ وقال بعضهم

عداوة الاهل ذوي القرابة * كالنار يوم الريح وسط غابه

وقال علي كرم الله وجهه العداوة في الاهل والحسد في الجيران والمودة في الاخوان
واصل عداوة الاهل من قصة قابيل لما قتل اخاه هابيل فصارت العداوة بين
الاخوة والاقارب الى زماننا هذا ومنشأ هذا كله الحسد فالحسود لا يسود وفي الحديث
لا حسد الا في اثنين رجلا آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الخير ورجل آتاه
الله علما فهو يعلمه الناس وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

ان يحسدوني فاني غير لائمهم * قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم * ومات اكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر

لا مات اعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك ما يكمدهم
ولا خلاك الدهر من حاسد * فان خير الناس من يحسد

ثم ان الناظم انتقل من شكوى ابن عمه جعليه الى شكواه من ابن اخيه خنافر لكونه
اشأم منه واضر عليه من ابن عمه فقال *

* (وايشم منه ابن اخوه خنافر * يقرط علي بيضي بجلبة ليف) *

قوله وايشم من الشؤم او من التيشم واصلها شام على وزن ابلم او افطم وفي
المثل اشأم من طويس ويقال فلان مشؤوم وذو تيشمة اى عنده قوة وتجبر وشدة
ضر على الناس وسمي الخشب شوما لشدته وصلابته والعرب تهجوا بالشوم واللوم
قيل بنى جعفر البرمكي قصرا بديعا وزخرفه بانواع الحرير وغير ذلك وجلس
فيه اياما فبينما هو ينظر يوما من شباك له اذ نظر الى اعرابي يكتب على جداره
بيتين من الشعر وهما *

يا قصر جعفر علاك الشوم واللوم * حتى يعشش في اركانك البوم
اذا يعشش ذاك البوم من فرحي * اكون اول من ينعاك مرغوم

فقال علي بهذا الاعرابي فلما حضر بين يديه قال له ما حملك على ما فعلت وما سبب
دعائك على قصرنا بالخراب فقال له حملني على ذلك الفقر والفاقة وصبية خرجتها
كافراخ القطا يتعاوون من الجوع وجئت لاستمطر احسانك وارجو نوالك فكنت
تهرا على باب هذا القصر لا امكن من الدخول اليك فلما ايست دعوت عليه بالخراب
وقلت ما دام عامرا لا يفيدني منه شيء فاذا اخرب ربما امر به فآخذ منه خشبة او شيا من
رخامه مما انتفع به قال فتبسم جعفر وقال عدم علمنا بك قد اطال وفوتك وامر

بعيالك اعطوه الف دينار لقصده ايانا والف دينار لطول مكثه على باب دارنا والف دينار لصبية خلفها كافراخ القطا والف دينار لدعائه على قصرنا بالخراب والف دينار لحلمنا عليه فاخذ الاعرابي الخمسة الف دينار وعاد شاكرا وقوله (منه) بتشديد النون لضرورة النظم اى اشد واقوى منه في الضرر على والظالم لى (ابن اخوه) اى اخو مجلبه شقيقه وكان الاولى جره على الاضافه ولكن لم يساعده الشاعر على هذا الوضع لكونه من اهل الريف وايضا يختل الوزن ثم بين اسمه بقوله خنافر مشتق من الخنفرة على وزن الخرخرة او البربرة يقال رقد فلان وخنفر بمعنى انه رقد النفس في حلقه واخرجه من خياشيمه حتى صار نفسا عالية بخنفرة وبربرة قال الشاعر

*(وخنفر عند النوم من خيشومه * فصار بهذا الاسم يدعى خنافرا)*

وسمى بذلك لكثرة خنفرته عند النوم ومصدره خنفر يخنفر خنفرة فهو خنفور على وزن خنشور وخنافر على وزن عباير واحدتها عبوره واما اخوه فاسمه قادوس على وزن يعسوص وقادوس هذا اخلف ولد بن مجلبه وسافل وخنافر هذا ابنه فكان ضرر الناظم من ابن عمه وابن اخى ابن عمه ثم بين الضرر الحاصل منه بقوله (يقرط) بضم المثناه من تحت على وزن يضرط ويضرط بهما لغتان قال الشاعر

(فيها ضرط الواشون جبشها * فصار اضراطهم فيها يفوح)

وهو هنا بمعنى التقريط بالحبل بشده وقوه واما القرط بفتح القاف وجزم الراء فهو قرط الزرع وهو اخذ سنبله وابقاء اصله في ارضه يقال قرط فلان قرط زرع فلان وبضم القاف اسم لحلقة صغيرة من لجين او فضه تعلق في اذن الصبى وهى تمد وحة خصوصا الولد الجميل فانها تزيده حسنا وتكسوه حلاوة قال ابو نواس في مطلع قصيدة له

*ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة في درة بيضاء*

اى ان هذا الجمال اللطيف والشكل الظريف الذى زانه هذا القرط واتصف صار يسعى على الندماء وبيده خمرة تشبه العقيقة في لونها وهى في كاس تشبه الدرة البيضاء من صفا جوهره ولطف ذاته وليسقيهم مما في يده ويدير عليهم المدام ويطفهم برشاقة القد وحسن الكلام الى اخر ما قال وقوله على بيضى اى بيض الناظم الابيض المتكلم ولا بيض غيره من الدجاج والطيور ونحو ذلك وسمى بيضا لشبهه بالبيض اذا انسلخ عنه الجلد وهو مشتق من البياض او من ابو بيض حيوان يشبه العنكبوت او من بيضة القبان (مسئلة هبالية) ما الحكمة في تسمية البيض بالخصيتين وما مشابهة الخصى لهما في الاسم وما اشتقاقهما وما معنى ذلك (الجواب الفشرى) هو ان الخصيتين واحدتهما خصية بكسر الخاء المعجمة وكذلك مثنى الخصى خصوان ولحدها خصا فاذا اتخذت الخصا مثلا واضفت اليه اخر صرت اخذ الخصو بلا اخلاف

فافهم ذلك وقد يقال له خصوبا لواو وبدل الالف المقصوده وهو اسم للزب
فاذا قعدت عليه فهمت لذة الكلام وهو في حكم الاب للخصيتين لانه لا ينفك عنهما
وهما في حكم البنتين له فاشتق من اسم الاصل اسم الفرع لعدم انفكاكه عنه ولهذا ان
الخصيتين دائما في مقام الخضوع للذكر وهو في مقام الرفعة عليهما وهما في مقام
التدلي وهو في مقام الترقي وهما ايضا في مقام الاضافة وهو في مقام الرفع والنصب
وايضا له قوة في فتح الابواب المغلقة وهدم الحصون وقرع القبب المسطحة وهما واقفان
له على الباب تادبا معه وهذا من علامة العربا لوالدكما اتفق ان بعض الشعرا قصد
ملكا يستمطر احسانا فرآه في البستان فوقف على الباب واراد الدخول فمنعه الحارث
فنظر خلف حائط البستان فرأى جدول ماء يجري وينتهي الى محل تحت الحائط فيصب
في فسقية كبيرة ورأى الملك جالسا عليها فاخذ ورقة وكتب فيها هذا البيت

الناس كلهم كالاير قد دخلوا * والعبد مثل الخصا واقف على الباب

ثم طواها ووضعها في قصبة فارسية وسد عليها بشمع والقاها في الجدول فاخذها
الماء حتى القاها بين يدي الملك فتناولها وفك ختامها واخرج الورقة فلما قرا
البيت تبسم ونادا له ادخل يا خصا فقال الشاعر دام الله الملك ما هذا الا
عن وسع عظيم فاعجبه كلامه وانعم عليه وانثنى شاكرا قلت ويذكر مصادفة
هذه الالفاظ ذكرت ما اتفق ان السلطان قانصوه الغوري رحمه الله غضب
على انسان واراد قتله فشفع فيه بعض الحاضرين وعمل عليه ثلاثة الاف دينار ونزل
من عند الملك ليأتي بها فلقيه رجل من اصدقائه وهو على سلم الديوان فقال له
بلغني ان الملك عمل عليك الف دينار فقال لا علي الطلاق ثلاثة قال فلما سمع الملك
وقوع هذه الكلمة منه واستخدامها في معنى الطلاق والدراهم عفا عنه وسامحه
من الثلاثة الاف دينار وانعم عليه ومضى الى حال سبيله (وقد يطلق لفظ الخصا على
الذكر ايضا ويسمى الدلدول والذنب والزب والاير والعرمول وغير ذلك
لكن اشهر اسمائه خمسة وقد ذكرتها في رسالتي رياض الانس فيما جرى بين الزب
والكس وهي

لي عندهم اسماء حقا تذكر * اير وزب دلدل وذكر
وخامس الاسما ادعى بالخصا * اذا غضبت خلتني كالعصا

ويلقب بالاعور والافطس والسداد والمداد وهادم الحصون وفاتح البروج
ويكنى ابو الحملات وابو الصدمات وابو الهيازع وابو الزلازل ونحو ذلك
واذا اطلق الانسان عنانه واطاع هواه القاه في اشد المصائب قال ابن عروس

من الناس في الدنا هوا * والاجواد شاعت ثناها اماشر غير بطني * والى مد في حداها

وقد تشبه الخصيتان بالدجاجتين قال بعضهم يهجو شيخه بهذين البيتين

*(رب ذولٍ غمنا يا ربا * يا رب اهلك شيخنا الاديبا) * كانما خصيناه اذكيا *
دجاجتنا بلقطان حبا) * فالخصا بالضم والكسر اسم مشترك بين الذكر والخصيتين
وكذلك بابدال الالف واوا كما تقدم ويكون من باب تسمية الشيء بما جاوره
وخصيتين على وزن ضرطتين او شحمتين فيكون فيهما الضرطة والشحم يقين واشتقاقها
من الخصر بضم الخاء المعجمة ومن قرية تسمى الخصو او من قولهم للكلب خص مثلا ومصدره
خصا يخصو خصاء قال الشاعر *

خصا يخصو مصاد بخصيتين * خصا صح في نظر الطبيبي

انتهى الجواب عن هذه المباحث الشعرية والاشكالات الهبالية (وقوله) بخلبة
ليف اى ربطه قويه دائرة على بعضه مرتين بحبل مفتول من ليف النخل سمى بذلك
لكونه ملتفا على اصول الجريد وسميت هذه الربطه بالخلبة لكونها تخلب على الشيء
فلا ينفك منها الا بعسر وفى اصطلاح الرعيان انهم اذا ارادوا ربط شيء بمكنة
يقولون اخلب عليه خلبة الوتد اى لف عليه الحبل مرتين واربطه ربطة قوية حتى لا ينفك
منه وهى مشتقة من خلب الزرع او من مخلاب الطير ومن البرق الخلب بضم الخاء المعجمة
وتشديد اللام وهو الذى لا مطر فيه قال ابن العربى نفعنا الله به

كل الذى يرجوا نوالك مطروا * ما كان برقك خلبا الا معى

ثم ان الناظم ذكر السبب الحامل له وتشبيه قبل وانه فقال

ص (ومن نزلة الكشاف شابت عوارضى * وصار لقلبى لوعة ورجيف) *
(قوله) ومن نزلة النزلة واحدة النزولة ويطلق على الجماعة الكثيرة اذا نزلوا فى محل واقاموا
فيه زمنا كما يقال نزلة بنى فلان ونزلة العرب ونزلة الغوازى ومن هذا القرية
المعروفة بالنزلة واما النزول فمعناه نزول الشيء من الاعلى الى الاسفل وضده من الصعود
وهو الترقى من الادنى الى الاعلى يقال صعدنا الى اعلى الجبل ونزل الى ادنى الارض
قال امرء القيس يصف فرسا شيا عا *

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من علي

(وقوله) الكشاف جمع كاشف واتصف بهذه الصفة لانه يكشف عن الاقليم المتولى
عليه ويزيل ما فيه من المفاسد والظلم ويسد الهور ويمكن الجسور ويزيل اللصوص
وكان هذا عادة كل كاشف تولى فى قديم الزمان يسير سيرة حسنه ويمر على
البلاد واذا اقبل على قرية يقرع الطبل فيها فيعتد اهل البدع وارباب المفاسد
ويخلوها من خوفا منه وربما وقعوا فى يده فيها فيهم بما يستحقونه من قتل
او ضرب وحبس او استدد راهم ثم ينزله على القرية اذا كان له عليها عادة بالنزول
وياتى اليه مشايخها ويقفون بين يديه فى اشد ما يكون من الرعب والخوف فيخبرهم
عن احوالهم ويسالهم عن ارباب المفاسد واصحاب البدع ويلزمهم بالقبض

عليهم اذا لم يكونوا في القرية ثم بعد ذلك يسرعون له في الأكل والشرب
والتقادير على ما جرت به العادة واذا وقع في قرية فتنة فيما بينهم او قتل وخروج
عن طاعة استاذهم او قايم مقام القرية هجم عليهم بامر الوزير واخرب القرية وقتل
منهم من يستحق القتل وازال العصاة والجبابرة فعلى كل حال وجوده على الاقليم
رحمة وسيره كشف غمة ما لم يحصل منه ومن عسكره واتباعه الضرر على
الناس من نهب متاعهم واذيتهم وتكلفهم في المأكل والمشرب فوق طاقتهم
والا فيكون هذا من باب الظلم وهو حرام ويجب رده لاريبا به الان سمحت نفوسهم
بذلك فلا باس وقوله الكشاف لم يكونوا غير واحد فهو على حذف مضاف تقديره اي
ومن تواتر نزول كاشف بعد كاشف مع ما يحصل لي منه من الرعب والخوف
من قرع الطبول ودكدكة الخيول وهيبته عند السير والنزول ورجفان القلب
من رؤية العسكر والمقدمين والبلاصه وخوفي من هذا الامر انه يناله مني
ضرر (شابت عوارضي) لضعفي عن مقابلة الكشاف وعجزي عن شيء ياخذونه
من داري من حلة المطبخ او غير ذلك فمن هنا تفزع الاعضاء وترجف الجوارح
وينبت الشيب في غير اوانه * والشيب كرامة من الله تعالى في اوانه لعبده
اكرمه به واول من شاب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام كما شاب نصف
لحيته فقال يارب ما هذا فقال هذا وقار لك في الدنيا ونور لك في الاخرة
فقال يارب زدني من هذا الوقار فاصبح وقد ابيضت لحيته كلها وفي الحديث
ان الله يستحي ان يعذب شيبة شابت في الاسلام وللشيب فضائل
كثيرة منها انه وقار للشخص كما تقدم وهيبة له ويذكره قرب حمامه لانه نذير
الموت قال بعضهم *

اذا اسود جلد المرء وابيض شعره * وطال عليه ثوبه من امامه
وقارب عند المشي في خطواته * هنالك بشره بقرب حمامه

(وقال اخر واجاد)

تبسم الشيب بوجه الفتى * اوجب سح الدمع من عينه
وكيف لا يبكي على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وفي هذين البيتين الطباق اللفظي كما لا يخفى والشيب مذموم عند النساء
قال هرون الرشيد لزوجته ما تحبين من الرجال فقالت من خده كخدي وايره
كيدي قال فاذا التحى قالت يطوق الحدقة ويعجل بالنفقة قال فاذا شاب
فقالت يصبر على الخناق او يبادر بالطلاق فهو عندهن مذموم وصاحبه
من اخس الغايبات محروم خصوصا اذا قل ماله وساء حاله قال بعضهم
سلوني عن احوال النساء فانني * خبير باحوال النساء طبيب

اذا ابيض شعر المرء او قل ماله * فليس له في ودهن نصيب
فكيف بمن فيه النوعان الشيب والفقر فهو عندهن وجوده كالعدم وقال القاضي الفاضل رحمه الله

تعجبت مين راح سعدى * من بعد نصو الخضاب حالى
قالت اهذا الذى اراه * غبار طاحونة بدا لى
فقلت لا تعجبي فهذا * غبار طاحونة الليالى

اى انها تكذبت لما رأت هذا الشيب المشبه لغبار الطاحون قد لاح على وجهه وغير لحيته وتعجبت من حدوثه لسرعته وتعجبها منه يقتضى تكذيبها وطى بساط انسها فاجابها بقوله لا تعجبي من اسراع ظهوره فان عجائب الليالى واستاحها المصائب المشبهة عند دورانها بالطاحونة اظهرت هذا الغبار الذى تريته فلا تلومى واصبرى على ما بليت به * وبعضهم شبه حدوث الشيب في لحيته بالطائر المعروف بالنسر لبياضه وشبه بقيتها في السواد بابن داية وهو الغراب الاسود فقال

ولما رأيت النسر حل ابن داية * وعشش في وكره فضاق له صدرى

ومنهم من شبه حدوثه بظهور الصبح واشتعاله في السواد كاشتعال النار في الحطب الغليظ اليابس قال ابن دريد رحمه الله في اول قصيدته

يا ظبية اشبه شيء بالمها * راتعة بين العقيق واللوى
اما ترى راسى حاكى لونه * طرة صبح تحت اذيال الدجى
واشتعل المبيض في مسوده * مثل اشتعال النار في جزل الغضا
فكان كالليل البهيم حل في * ارجائه ضوء صباح فانجلا

والتشبيه للشيب من هذا المعنى كثير وهو مشتق من الشيبة التى تباع عند العطار لبياضها ورقة عروقها واشتباكها كاشتباك الشعر بعضه ببعض ولهذا يقال داوا في الشيبة نجاسة مثلا ومصدره شاب يشيب شيبا وذكره الشيب في العارضين اولا يدل على انه كان من الاماثل والكرماء لان اول ما يشيب من الكرام العارضات ومن العنفقه قال الشاعر

فشيب الكرام من العارضين وشيب اللئام من العنفقه
وشيب الرؤس بما في النفوس وشيب الصدور من الزندقه

وقصره المشيب في عارضيه ليس على بابه وانما كان ابتداؤه في عارضيه ثم جرى في بقية لحيته بيقين فذكر الاصل والفرع تابع له * واما الحاقه تاء التأنيث في الفعل فهو جرى على لغة الركاكه والناظم منهم وايضا لو قال شابا عارضى اوشابوا عوارضى لاختل الوزن فراعى لغته ووزن الكلام (مسئلة هباليه) لاى شيء قال ومن ترك الكتاب

ولم يقل ومن نزولهم لئلا يتوهم السامع بليد الطبع انها النزلة التي تعتري الانسان من حصول برد يحصل به فينزل براسه ويتولد منها العطاس والاذى وغير ذلك ودواها ان تدهن الجبهة ببياض البيض ممزوجا بالمصطكي فانه يخفف ذلك وما الحكمة في انه اتى بعد العارضين بالقلب وهو بعيد عنهما وليس بينهما وبينه مناسبة وكان حقه اذ ياتي بالشاربين والعنفقة كقول الشاعر

* (شواربك والعنفقة * في طيزكلبة مطلقة) * والحسن خراها يا فهيم * ومزمزه بالملعقه

قلت الجواب القشري ان النزلة على وزن العجلة والنزول على وزن العجول والعجول جماعة فاكتفى بالاقل عن الاكثر وايضا الانثى الطف من الذكر في الذات والصفات وان كان الذكر اشرف وايضا الفلاح عنده العجلة او البقرة اكثر نفعا من العجل والثور فيعلم من هذا ان الناظم كان يهوى الاناث دون الذكور بخلاف مذهبنا نحن معاشر العشاق فاننا على حد قول ابي نواس

عجبت لمن يزني وفي الناس امرد * الدس ركوب الفحل في الحرب اجود

واما ذكره القلب مع العارضين فانما هو تغاير في اللفظ والمعنى واحد من جهة ان الروح سارية في الجسد كله فاذا اهتم القلب وتعب سرى ذلك في الجسد ونشأ الشيب منه فيكون على معنى ما قارب الشئ يعطى حكمه او على حد قولهم شاب القلب فيكون شيبا معنويا فلا اعتراض فاتضح الاشكال عن وجه هذا المقال والعارض مشتق من العرضية التي تلف على الراس او من عارضة الباب او من العروض الذي يعتري الانسان من لمس الجن او من العارض الذي ياتي بالمطر او من عارض الجبل قال بعضهم *

قف بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض

او انه سمي بذلك لعرضه في الوجه ومصدره عرض يعرض عرضا فهو عارض وقوله (وصار) على وزن فار من الصيرورة او من صاري المركب او من الصرة التي تنقل في كل عام الى الحرمين (قلبي) المراد به قلب الناظم لا قلب غيره كما لا يخفى على صاحب العقل القشري وقوله (لوعة) وهي شدة حرارة القلب وتلهفه من الم العشق او الخوف او بعد المحبوب ونحوه كما قلت في معنى ذلك *

اواه واحربا من لوعتي وكذا * اني كابد نيران باشجان

وقوله (ورجيف) على وزن رغيف اي رجفان لا يسكن المه ولا يهدأ تحركه من شدة ما ناله من رعب نزول الكشاف وخوفه منهم كما تقدم ومصدره رجف يرجف رجفا مثل عرف يعرف عرفا ثم ان الناظم شرع في ذكر مصيبة اخرى ابتلى بها هو واخوانه الفلاحون وهي اشد عليهم من الامور المهمة فقال

ص * (ويوم تجي الديوان تبطل مفاصلي * واهر على خوفي من التخويف

ش قوله (وليوم) بالتنوين (يجي) وقت قبض مال (الديوان) وهذا من باب واسأل القرية اى أهلها وهوان النصراني اذا حضر الى القرية او الكفر وفرد المال على الفلاحين حكم الحنو الحو القوانين التي جرت بها العادة وشرع في اخذها فيكثر الخوف والحبس والضرب لمن لا يقدر على سداد المال فمن الفلاحين من يقترض الدراهم بزيادة او يأخذ على زرعه اى وان طلوعه بناقص عن بيعه في ذلك الزمن او يبيع بهيمته التي يحمل على عيالها او يأخذ مصاغ زوجته برهنه او يتصرف فيه بالبيع ولو قهرا عليها ويدفع الثمن للنصراني او لمن هو متولي قبض المال وان لم يجد شيأ ولا يرى من يعطيه وخشي الملتزم او المشد من خرابه من البلد اخذ ولده رهينة عنه حتى يغلق المال او يأخذ اخاه ان لم يكن له ولد او احد من اقاربه او يوضع في الحبس للضرب والعقوبة حتى تنفذ فيه احكام الله تعالى ومنهم من ينجو بنفسه فيهرب تحت ليله فلا يعود الى بلده قط ويترك اهله ووطنه من هم المال وضيق المعيشة كما قال بعضهم

قالت تسافر يا فتى * وتفارق الوجه الحسن
فأجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن
هم المعيشة فرق * بين الاحبة والوطن

فلابد على كل حال من تغليق المال ولو حصل من ذلك الهم والنكال كما في المثل الذي اشتهر وعم مال السلطان يخرج من بين الظفر واللحم وما دام على الفلاح شئ من المال فهو في هم شديد ويوم السداد عند الفلاح عيد والحاصل ان الفلاح على قسمين قسم ناجح ناجب وقسم خائن خائب * فاما الاول فهو صاحب عقل وسياسة وحسن تصرف ورياسه وعقل ودين ملازم للصلاة والدين والزرع للغيط تارك للسندة جنب الحيط او على جماعة الحشا مجتنب الرذالة والخنا يباشر الزرع ويقف عند الحصيد والقلع ولا يتكل على خولي ولا مزارع ولا يركن لنواده ولا مزارع بل يباشر الامور كلها ويعرف مرضها وعللها ويلازم المشد والاستاد ولا يسعى في خراب ولا فساد فان اخذ من معامل فلوس لا يصرفها في امر معكوس بل على مصالح الزرع والبهايم والامر الذي عليه لازم ويوفي السداد لصاحب الدين ويشفق على الفقير والمسكين ويفي لانواره ويحفظ غيط جاره وينوي سداد المال ويتكل على العلي المتعال ويترك نفش الشوارب والجلوس على المصاطب يبارك له الديان ويسد مال السلطان وان جاه المعامل اوفاه وان طلب منه ثاني عام أعطاه ويرتاح اولاده ويرضى عنه استاده ويعيش في راحه ودين ويرضى عليه رب العالمين * واما القسم الثاني * لا عقل ولا معروف عريان منتوف لا صلاة ولا دين ولا طاعة لرب العالمين ولا ذوق ولا معرفة

فائق للشر والمقرفة بالنهار في لعب المنقلة وبالليل صاحب العقلة لا يلازم الغيط
يحب اللطعة جنب الحيط نافش الشوارب قليل المكاسب عويل مهذار سفلاق
فشاد ان دخل في يده فلوس فرقها على العفوزة والنيوس لا يلازم مشد ولا
استاد داير في العكس والفسا تبرانه جائعة وشخلوضا يعه لا يصرف الاشياط
وعياط وزرعته ما فيها الاضراط يصرف من غير قانون منحوس منحوت مديون
ممقوت مع استاده داير في غيه وفساده لو ضرب بمقادع او كسارات لا يخلي
النط في الدود والحارات ان قال له استاده على الصواب ينوي على الرحيل والخراب
دائما في مقت وكرب ولا يفيد فيه الحبس ولا الضرب قنف معكوس محارك شرحرب
الدبس لا يقدر على وفاء دين مكسور عليه الالف والالفين فتنة في البلد طول عمره في هم
ونكد لا يوفي المعامل ولا له راى كامل المقت منسكب عليه وشيه النتن منجذب
اليه فلا خير فيه حيا ولا يبكي عليه بعد مماته لانه طويل الكم فسا د قليل الفرح في الدار
عنز اكال خره لا دنيا ولا آخرة كما قيل *
فهذا الذي ان عاش لا يعتنى به * وان مات لم تحزن عليه اقاربه *
واول من وضع الدواوين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واول ديوان
عمل بمصر على يد سيدنا عمرو بن العاص لما فتح مصر ولم يضبط على وتيرة واحدة
وكان الخراج في زمانه يسيرا ولهذا لما فتحها صلحا او عنوة على ما قيل جمع منها اموالا
كثيرة تفوق عن الحصر من كنوز وغيرها قال هشام بن رقية اللخمي ان عمرو بن العاص
لما فتح مصر قال لقبط مصر من كتم عني كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من اهل
الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فطلبه وسأله فانكر فحبسه في السجن
وجعل عمرو يسال عنه هل تسمعونه يسال عن احد فقالوا لا انما سمعناه يسال عن
راهب من الطور فارسل عمرو الى بطرس واخذ خاتمه وكتب بالقبطية الى الراهب
على لسان بطرس يحرضه على حفظ المال وعلى مكانه وذكر له ما شاء ان يذكره وجهز
الكتاب مع قبطيا وثق به فجاءه الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو
فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها ما لكم تحت الفسقية الكبيرة فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط
التي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا من الذهب الاحمر المضروب بسكة مصر فاخذ
المال وضرب راس بطرس عند باب المسجد انتهى * وحكي ان المرحوم السلطان سليم
لما اخذ مصر من المرحوم السلطان الغوري في رجب سنة ٩٢٠ تسعماية وعشرين
جعل له قانونا ودونه بمصر منه انه لا يكتب شيء من مال الديوان على احد من الجند
وافق ذلك راى مولانا امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ارسل نائبه
عمرو بن العاص رضي الله عنه يأمره بذلك (ومنه) ان الجند لا يسكنون في بيت
المال ومنه انه لا [illegible] بمصر [illegible] سنة [illegible] لا [illegible] بمصر اكثر من سنة وبعدها

يجهز الى مكان اخر ومنه ان الجندى لا يجمع بين الجامكية وجهات الاوقاف والمراد بالجندى المثبت في الديوان اصحاب الجوامك والعلوفات * واول من جبى خراج مصر في الاسلام سيدنا عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه وكانت جبايته اثنى عشر الف الف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبى عبد الله بن سعيد بن ابي سرح خراج مصر اربعة عشر الف الف دينار فقال ابن عفان لعمرو بن العاص رضي الله عنهما يا ابا عبد الله درت اللقحة باكثر من درها الاول فقال سيدنا عمرو واضررتم بولدها * وهذا الذى جباه عمرو وعبد الله انما هو من الجماجم خاصة دون الخراج * وكان خراج مصر في زمن المأمون والمعتصم اذا بلغ النيل سبعة عشر ذراعا وعشرة اصابع اربعة الاف الف ومايتى الف وسبعماية وخمسين دينارا والمقبوض على الفدان ديناران ودينار ذلك الزمن عشرة انصاف * واعلم ان مصر كانت قبل الاسلام ماية وثلاثة وخمسين كورة في كل كورة مدينة وثلاثماية وخمسة وستين قرية خرب منها ثمانية وستون كورة ثم تناقصت في الاسلام وفيها اربعون كورة عامرة بجميع قراها لا ينقص منها شيء ونقل الاستاذ السيوطي ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى سيدنا عمرو ابن العاص يقول له اياك ان تكتب شيا من مال الديوان على احد من الجند الحذر الحذر كل الحذر والسلام انتهى * واطلاق الناظم لفظ المال المقبوض على الديوان لكونه آيلا اليه من باب تسمية الشيء بما يصير اليه وسمي ديوانا لاقامة الدين فيه باظهار الحق وانصاف الظالم من المظلوم او لحضور سادون الملك فيه او لجمعه على اجناس مختلفة كما يقال للكتاب الجامع للقصايد والتواشيح ومقاطيع الاشعار اذا انشاه شخص ديوان فنزول الديوان في البلد على كل حال امر مهول على الفلاحين ومصيبة على المقلين والناظم رحمه الله كان من المفلسين المقلين المنكسرين في مال السلطان كما سياتى في قوله (ويا ذوب عمرى في الخراج وهمو) وان الدهر والزمان مال عليه وصيره في هذه الحالة كما تقدم فلهذا قال عن نفسه انى اذا حضر الديوان او قرب حضوره داخلني الخوف واعتراني الفزع ودهمتني الداهية الكبرى ولحقتني طربة عظيمة لعله اسى من الدراهم او رده في مال السلطان او الخوف من العقوبة والحبس فبسبب ذلك (يبطل) اى ترتخي وتسكن ويقل نفعها (مفاصلى) جمع مفصل وهو فرجة يسيرة بين العظمين مستمسكة بالعروق فاذا اسكنت تلك العروق وارتخت بطل عملها وقل نفع ذلك العضو * وقد ذكر لفظ المفصل في قول ابي نواس لما احتضر * (لم يبق الا نفس خافت * ومقلة انسانها باهت) * (ومغرم تنصرم احشاؤه * بالنار الا انه ساكت) * (ما فيه من عضو ولا مفصل * الا وفيه الم ثابت) * (رثا له الشامت مما به * يا ويح من يرثى له الشامت) * فى هذا نبه الناظم على هذا الامر الذى حصل له لعزم

عن دفع ما عليه من خراج الارض ولكونه لم يمهله النصراني ولا يرثي لحاله ولما
كان يلزم من حدوث بطلان مفاصله من شدة الخوف والطربه انطلاق البطن
كما يقع غالباً لبعض الناس قال (واهر على روحي) اي ذاتي لا الروح السارية
في الجسم (من) شدة الطربة وهم (التخويف) اي تخويف جماعة النصراني
او المشد او الخوف الذي يصيبني يعني ان الطبيعة تلين من اخصاد هذا الهم
وشدة تلك الطربة الحاصله فينزل الغائط لينا يشبه هراد الطين بعد ان كان اذا
ضربته في الحائط رد في وجهك من يبسه فيسيل على ذاتي وثيابي فلا اتمالك
دفعه لانه يندفق بسرعته من شدة الخوف * والهر واحد الهراد على وزن الجراد
واحده الهرة من قولهم هر عليك الجدار وهرت على حيطك الكلبة اوهر على ذقنك
الكلب مثلا ويقال هر التراب وهر الرمل اذا تراكم على بعضه وسال لتفسه
من الاعلى للأدنى فانك اذا نظرت الى اكوام الرمل نظرت فيها الهراد بيقين اوهو
مشتق من الهرة التي تصيد الفار وتسمى بلغة اهل الحجاز الدبسه بضم الموحدة وبلغة
اهل مصر القطه ومصدره هر يهر هرادا ترى ان الناظم نبه على انه لم يسعه من هذا
الامر بعد بطلان مفاصله وانطلاق بطنه من شدة خوفه الا الهروب مما دهمه
والاختفا منه فقال

ص * (واهرب حدا النسوان والتف بالعبا * ويبقى ضراطي شبه طبل عنيف) *

ش قوله (واهرب) اي انا لا احد غيري (حدا) اصله بالمد والذال المعجمة واستعملت
بالدال المهملة جريا على لغة الارياف وقصرها للضرورة وحذاء الشيء جانبه او مقابله
وقوله (النسوان) اي عندهن او محاذي لهن ويجمع على نساء ونسوة مشتق من
التأنس والانس والمؤانسه لان آدم صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حواء
آنس بها وسعى لها فمن هذا تجد الرجال تسعى الى النساء وتميل اليهن لانهن غاية
المطلوب ورياحين القلوب قيل مر بعضهم بامرأة جميلة فانشد * يقول *

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

فاجابته بقولها *

ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم يشتهي شم الرياحين

والنسوان على وزن الجروان والنسوة على وزن المهوه او العجوه والنسا على وزن
الكساء وقد يأتي فيها العساء ايضا والمعنى اني اخشى على نفسي واخاف مما دهاني
فامضي بسرعة وانا في هذه الحالة واهرب اي انطلق بسرعة الى النسوان واختفي
بينهن او اجلس بجانبهن او مقابل لهن كما في المثل الهروب نصف الشطاره وقد هرب
عنتره مع قوته وشجاعته وقال اعاير بهذا ولا اقتل فالشخص اذا خاف من ظالم
او احد يؤذيه ويمكن من الخلاص من بين يديه بالهروب يجوز له ذلك قال الله

تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة * ومما نقل من الامثال جدع قصير انفه
وقصير اسم رجل وهو قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة الابرش الذى
اول من اتخذ الشموع واوقدت بين يديه وكان له اخت جميله زوجها لعدى
احد ندمائه حال سكره فلما افاق عدى هرب بعد ان حملت فاتت تزنى عند خالها
جذيمة الابرش واحبه حبا شديدا ثم ان جذيمة اغار على ابي الزباء فقتله واستولى
على بلاده وهربت الزباء الى القسطنطينية فجيشت جيوشا وعادت له حتى
استخلصت منه بلاد ابيها ثم انه ارسل لها يخطبها فاجابته فاستشار خواصه فمنعه
قصير وقال هذه مكيده فلم يقبل وذهب اليها بالاموال والجهاز فامرت عسكرها
بان يتلقوه ويحيطوا به حتى يفردوه من عسكره ففعلوا فلما راى قصير ذلك
ركب فرس جذيمة الابرش وكانت تسبق الريح فهرب بها فقبضوا جذيمة وادخلوه
عليها فكشفت له عانتها وكانت تركتها سنه وقالت اجهاز عروس ترى فقال بل
جهاز امة بظرا فامرت الجوارى ان يفرشن له نطعا واجلسوه عليه وفصدوه فى
جميع عروقه حتى فرغ دمه فمات ثم ان قصيرا سعى فى اخذ ثاره بحيلة جدع انفه
واذنيه وذهب اليها مستجيرا من عمرو ابن اخت جذيمة الابرش لانه تولى المملكة
بعد خاله فقبلته واحبته وملكته ثم انها ارادت تزوج عمرو فقال لها عندى من
السلاح والاموال شئ كثير فجهزته لياتيها بذلك فجاء لعمرو وقال له قد اصبت
الفرصة واعطاه الفى رجل بسيوفهم فى صناديق مملوءة ذهبا وسبق قصير فاخبرها
بذلك فجلست فى محل عالى تنظر للجمال باحمالها فلما دخلت الجمال فتح الصناديق وخرجت
تلك الابطال بسيوفهم وكان فى يدها خاتم مسموم فلحسته وقالت بيدى لا بيدك
يا عمرو فصارت مثلا وكان ذلك قبل مبعث عيسى عليه السلام فان قيل لاى
شئ اختار الناظم الهروب عند النساء دون الرجال مع ان النسا لا يقدرن على دفع
الاذى والضرر ولا منع من يوخذ من بينهن لضعفهن وعدم مقاتلتهن فما حكم ذلك
قلنا الجواب من وجهين الاول لما دهمه هذا الامر واتاه الديوان على حين
غفلة وارتعشت مفاصله وحصلت له حالة الهرع روسه كما تقدم ولم يستطع النهوض
ولا المسير الى احد من الرجال يختفى عنده او الى محل بعيد عن القرية يتوارى فيه لشدة
خوفه وكثرة هرابه على نفسه وضراطه عليها ايضا اذ هو من لوازمه كما سياتى
وراى هولاء النسوة قريبا منه او من محله فتوارى بينهن * الثانى * يفهم منه انه كان
ضعيف القلب جبانا لا يقدر على المخاصمة ولا المضاربة ولا شئ من امور الرجال
وخشى ان يمضى الى احد من الناس او من اقاربه فيدل عليه النصرانى فياخذه
ويشوش عليه وينتقم منه لان الفلاحين ليس لهم امان ولا عشرة حسنه
مع بعضهم خصوصا الاقارب كما تقدم فكل شئ له من جنسه آفة كما قيل

ولكل شيء آفة من جنسه * حتى الحديد سطا عليه المبرد

وايضا النساء غير متهمين بهذا الامر فاذا رآهن احد قد اجتمعن في محل لا يشك ان بينهن رجل الا ان ظهرت له قراين تدل عليه ويمنعه الحياء منهن عن التفتيش وقد توارى سيدنا حسان رضي الله عنه عند النساء في بعض الغزوات لجبنه وقلة شجاعته كما هو مذكور في السير فاتضح الجواب * ثم انه لما كان هروبه عند النساء يحتاج لشيء يواريه من الاعداء ويستره عن الاعين قال (والتف بالعباء) اي وقت جلوسي بين النساء او بجانبهن او قبله من التف بالعباء او قد يعد لفيها الا طرد عن الوهم بالتفافي بها فان الخائف اي شيء رآه توارى فيه سواء كان عباء او ثوبا او شيئا يواريه عن الاعين بل ربما تزيا بزي النساء واختفى عن عدوه ونجاه الله منه * كما اتفق ان بعض الملوك كان كثير الطلب لرجل من العصاة ليقتله فقيل له هو في القرية الفلانية فارسل له بعض الامراء بطائفة من العسكر فدخلوا القرية واحاطوا بها فلما عرف الرجل انهم يريدون اخذه للملك تزيا بزي النساء وخرج في جمع منهن ينوح ويبكي ويصيح وهن يبكين معه فقال الامير ما بال هؤلاء النسوة سلوهن عن حالهن فاقبل جماعة وسألوهن فقلن مات لنا ميت في القرية الفلانية ونريد التوجه اليه فخلي سبيلهن فذهبن والرجل المطلوب بينهن ولم يعرف الامير حاله الى ان جاوز العسكر ومضى الى حال سبيله ونجاه الله تعالى من ذلك الملك * ومثل هذه الواقعة ما اتفق لي اني كنت في سفينة مسافرا من بلدي شربين لمصر فلما جاوزنا قرية تسمى مسجد الخضر واذا بغلام جميل الصورة عليه ملبوس حسن في زي خدمة الامراء وهو يصيح على رئيس السفينة خذني ويتذلل له ويتداخل عليه انه يأخذه وهو في كرب عظيم فامتنع رئيس السفينة من اخذه وخشي ان يكون خلفه احد يفتش عليه او يأتي في اثره وكان في السفينة ثلاث من النساء وفيهن امرأة كبيرة فقالت يا رئيس غلام مكروب يسألك في اخذه فلم لم تجب دعوته ولا ترحمه ادخل البر وخذه وانا اصنع له حيلة تواريه عن من يطلبه واخفيه بين ثيابي ولا يعرفه احد فسمع الرئيس كلامها واخذ الغلام فلما صار في السفينة اخبر انه كان في خدمة بعض الامراء وانه استغفله وهرب ولا بد من مجيئه خلفه فقالت له هذه المرأة اقلع ثيابك فقلعها فاخذتها واخفتها في حوائجها والبسته لبس النساء واجلسته بجانبها فبينما نحن في هذه الحالة واذا بامير راكب على فرس وهو يركض بها ركضا شديدا وخلفه رجال ومماليك حتى صار قبالة السفينة وقال للرئيس ادخل البر حتى افتشك فانه هرب لي غلام في هذه الساعة ومعه الف دينار سرقها فقالت له المرأة ادخل ولا تخف فدخل البر وصار كل من في السفينة في خوف من هذا الحال فطلع الامير واعوانه وفتش

السفينة والمراة تقول هذا شيء ما رايناه قط وانما راينا غلاما يجري من بعيد الى الجهة الفلانية فمنعه الحيا وعدم الشك فطلع من المركب ولم يظفر بشيء واما الغلام فانه مكث معنا في المركب الى ان طلع مصر وذهب الى اهله سالما والناظم لما راى هذه العباءة اندرج فيها والتف بها واللف هو الاندراج في الشيء واللف به مرادا ويطلق على الاكل بلغة اهل الريف يقال فلان لف مترد عدس ومترد بيسا بمعنى انه اكله ويقال داهيه تلفك مثلا فالناظم اندرج في العباءة المذكورة ليوهم من راه ان هذه عباءة ملتفة ولا يشك ان داخلها احدا والعباءة كساء طويل عريض يعمل من الصوف فيه خطوط مختلفة الالوان يجعلها اهل الريف فراشا في الصيف وغطا في الشتا فهي مناسبة في الفصلين وهي افخر ما عندهم من الفراش والغطا وقد ورد لفظ العباءة في قول سيدنا الحسين رضي الله عنه *

نحن اصحاب العبا خمستنا * قد ملكنا شرقها والمغربين

والعباءة مشتقة من عب الماء لانها تعب اذا القيت فيه او من عبو البحر ايام النيل او من ابو عبيه كنية لبعض الفراريج الصغار تكنيه نساء الارياف بها ومصدرها عب يعب عبا قوله (ويبقى) اى عند هذه الحالة التي انا فيها وهي انسها لها الطيف وسيلان المراد على نفسي من عدم الامن وشدة الخوف وانا ملفوف في العباءة ومندرج فيها (ضراطي) اى صوت الريح المتلائم في بطني من اكل العدس والبيسا عند خروجه من ضربات الاعضا ورجفان القلب شبيه اى شبيه صوت قرع (طبل) وهو جلدة مركبة على خشب او نحاس تقرع عند المواكب والتحام الحرب له دوي شديد ورعد زائد وكله حلال الا الكوبه وهي طبلة صغيرة محصورة الرقبة وتسمى ايضا بالدربكة وطبل الرق يستعمله ارباب الملاهي وكذلك الزمر كله حرام الا النفير وقوله (عنيف) اى شديد الضرب يقال فلان عنف فلانا بمعنى انه ضربه واذاه والمعنى ان صوت هذا الريح الخارج من بطنه المسمى بالضراط يشبه صوت طبل يضربه رجل بقوة وشدة فالصفة راجعة للضارب لا للنفس المضروب او ان مراده بالطبل الكبير العنيف مثل النقاره ونحوها لكونه لا يعرف غيرها والحاصل من هذه العباره ان الضراط فيها على اربعة اقسام الاول ضراط يخرج رقيقا ضعيفا الصوت ممتدا بصوت ضعيف * الثاني ضراط يجول في البطن بقرقرة ثم يخرج ريحا من غير صوت * الثالث ضراط يخرج ممتزجا بالغائط وصوته يشبه صوت قلة الماء عند امتلائها * الرابع ضراط يخرج بعنف وله صوت عال يفزع القلوب وهو الذي نبه عليه الناظم وصرح به ولكل قسم من هذه الاقسام الاربعة سبب يتولد منه فالاول سببه ارياح

لطيفة تتولد في بطن الانسان فتخرج على حسب حالها وضعفها من بين الاليين بصوت دقيق بحسب لطفها ودقتها للطف الماكل قال الشاعر

خرج الضراط من الحبيب برقة * ولطافة لوجود لطف الماكل

وهذا ينشأ من اصحاب الاجسام اللطيفة وارباب الأكل الخفيفة * والثاني ضراط يجول في البطن بقرقرة وربما وقف في وسطها فلا يتحرك حتى يكاد يهلك صاحبه ثم ينتقل الى اركان البطن بقوة انتفاخ وعلو قرقرة فيتولد منه الضرر وهذا يسمى عند الاطبا ضراطا لا ينضج وسببه من الماكل الغليظ واذا انضج اسرع في خروج وقيل نصاحبه اذا اخرج منه شيء يكون فساء وفي هذه الحالة يكون خروج الضراط نادرا قال الشاعر

يخلط في المأكول طول نهاره * وفي الليل تلقى بطنه يتقرقر

كما اتفق ان رجلا اتى الى طبيب فقال احس في بطني معمعة وقرقرة فقال له اما المعمعة فلا اعرفها واما القرقرة فضراط لا ينضج فاذا كان الريح يجول في البطن من غير قرقرة مع شدة وجع يقال له معض يعالج باكل شيء من الشيح او الصعتر المغلي فطورا وربما مكث يوما كاملا وليلة كاملة كما اتفق لابن الراوندي عفا الله عنه انه اصابه هذا المغص ليلة كاملة فبات يسأل الله تعالى يفرج عنه بفسوة تخرج منه فلم يتيسر له ذلك فخرج من الصباح يتوكأ على عصاه فسمع رجلا يقول اللهم ارزقني الف دينار فقال له يا صفيع الذقن انا طول ليلي اطلب منه فسوة فلم يعطها لي يعطيك الف دينار وتركه ومضى ولهذا يقال معصية قليلة الفساء (قال المسعودي في مروج الذهب) في ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجايب والامم ونعود الى عجائب الملوك ونسوق ما بقي من الممالك على البحر الحبشي الذي شرعنا في وصف من عليه الى ان قال في اخر ذلك وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم انهم لا يرون حبس الريح في اجوافهم لانه داء يؤذي ولا يحتشمون من اطلاقه في سائر احوالهم وكذلك قال حكماؤهم ان حبسه داء يؤذي وان ارساله شفاء يشفي وان في ذلك العلاج الاكبر وانه خير راحة لصاحب القولنج والحصو وانه فيه دواء للسقيم المطلي ولا يحتشمون الضرط ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا وذكر هذا الخبر عن الهند ان السمال عندهم اقبح من الضراط وان الحشا على وزن الفسا افتح منه واستشهدوا هذا الخبر على صحة ما حكاه عن الهند باشتهار القول في ذلك بين كثير من الناس حتى ذكر ذلك عنهم في السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك قوله

قد قال ذو العلم الفصيح الهندي * مقالة ينتج منها قصدي

لا تحبس الضرطة مهما حضرت * وخلها واحتج لها ما استعدي

فان ادهمة الداء في امساكها * والروح والراحة في اخراجها
والقبح في السعال والمخاط * والسوء في الفساء لا الضراط
اما الجشاء فمساء صاعد * ونتنه عن الفساء زائد

وان الريح واحدة في الجوف وانما تختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب الصعداء يسمى جشاء وما يذهب الى اسفل يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفعة في مؤخر الرأس والقفا واحدة وانما اختلفت اسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين وان الحيوان الناطق كثرت علله وتحدث امراضه كالقولنج واوجاع المعدة وغير هذه العوارض بحبس الريح في جوفه وتركه اظهاره في حال هيجانه وتفرق الطبيعة لدفعه واخراجه وان سائر الحيوان غير الناطق انما سلم مما ذكرنا من الامراض والمعترضات من العلل لسرعة خروج الريح مما يعرض من الادواء في اجوافها وعدم احتباسها وان الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين كدمقراطيس وفيثاغورث وبقراط وجالينوس وغيرهم من حكماء الامم لم يكونوا يروا حبس شيء من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته وان ذلك يعلم بالطبيعة ويدرك بضرورة العقل وانما استقبح ذلك اناس من اصحاب الشرايع ومنعت منه الملوك ولم يجر ذلك في عاداتهم وقال المسعودي في مروج الذهب كان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الاسكافي وكان عجيب الصورة لطيف الحديث فيه سلاسة اهل السواد فقال المعتصم لمحمد بن حماد اذهب بالغداة الى علي بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملني فاتاه فقال ان امير المؤمنين يأمرك ان تزامله فتهيأ لشرط مزاملة الخلفاء فقال علي بن الجنيد وكيف اتهيأ اهيئ رأسا غير رأسي ام اشتري لحية غير لحيتي ام ازيد في اقامتي انا متهيئ قال لست تدري بعد ما شرطوا المزاملة الخلفاء ومعاد لتهم فقال علي بن الجنيد وما هي هات ما عندك يا من تدري فقال له ابن حماد وكان اديبا ظريفا شرط المزاملة المؤانسة بالحديث والمذاكرة والمناقلة وان لا تبصق ولا تمخط ولا تسعل ولا تتنحنح وان لا تتقدم الرئيس في الركوب اشفاقا عليه من الميل وان تتقدمه في النزول فمتى لم يفعل المزامل هذا كان كالمثقلة الرصاص التي تعدل بها القبة وان لا ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه وما هو راكبه لانهما اذا ناما جميعا فما حال من لا يشعر بنفسه فلما اكثر عليه من هذه الشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول اهل السواد آه واحراه اذهب فقل له ما يزاملك الا من امه زانية فرجع ابن حماد وقال للمعتصم ما قال قال فضحك المعتصم وقال جئني به فجاءه فقال يا علي ابعث اليك تزاملني ولا تفعل فقال ان رسولك هذا الازعر جاءني بشروط حسبنا الشاشي فقال لا تبصق ولا تفعل كذا وكذا وجعل

يمطمط في كلامه ويفرقع في حكاياته ويشير بيديه ولا تسعل ولا تعطس ولا ولا وهذا الابنم لي ولا اقدر عليه فان رضيت انا اذا ملك فاذا جاء في الفسا فسوف عليك وضرطت ايضا واذا جاء لك انت فافسُ او ضرط على والا لبس بيني وبينك عمل فضحك المعتصم وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملني على هذه الشروط قال نعم حبا وكرامة فزامله على بغل فسارا ساعة وتوسطوا البر فقال على يا امير المؤمنين حضر ذلك المشروط فما ترى قال ذلك اليك اذا شئت قال تحضر ابن حماد فامر المعتصم باحضاره فلما حضر قال له على اقبل حتى اسارك فلما قرب منه فسا وناوله فم كمه فقال ادخل راسك في كمي فانظر ما هو فادخل راسه فشم رائحة الكنيف فقال لم ار شيأ ولكني لو اعلم ان جوف ثيابك كنيف ما قربت منك والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب ثم جعل يفسو فساء متصلا وقال لابن حماد قلت لي لا تسعل ولا تبصق ولا تمخط فلم افعل ولكني اخرا عليك قال فاتصل فساؤه بالمعتصم فصار يخرج راسه من العمارية ثم قال للمعتصم قد صحيت قد رايته خراء فقال المعتصم وقد رفع صوته حين كثر عليه الضحك ويلك يا غلام الساعة اموت من الضحك ثم انه اجازه بجائزة سنية والثالث ضراط يخرج ممتزجا مع الغائط وسببه ان الارياح عند خروج الخارج تمتزج به وتتلايم معه وتخرج هي واياه عند قضاء الحاجة خصوصا مع لين الطبيعة فيظهر منها اصوات متقطعة غير متصلة كبقبقة قلة الماء عند امتلائها وهذا يحصل مع نفخ البطن ولين الطبيعة من تناول المآكل المهضمة وكثرة نزولها بسرعة قال الشاعر

اذا ما خلا الانسان في بيت غائط * فلا حث بالاسك تسارع نفحته
فمن كان ذو عقل فيسير ضارطا * ومن كان ذا جهل ففي وسط لحيته

وقد يخرج الضراط له صوت دقيق يشبه صوت دندنة المردن ودنه وقت غزل النساء به وقد خرج من بعض الشعرا فلاموه فقال

ذي بنت بطني خرجت تعيط * تدندن كالمردن في برمته
ومن يقل لي اكتم ضراطك * اجعل خراي على لحيته

فجعل البطن مثل الام وجعل الضرطة فيها مثل البنت التي فارقت امها وصارت تعيط وتدندن كالمردن لمفارقتها اياها فهذا يعلم انه معذور ومن لم يعذره يكون جاهلا بحاله ويكون خراه في لحيته * (ويحكى انه دخل ابو الاسود على معاوية فضرط بين يديه فضحك معاوية فقال يا امير المؤمنين لا تخبر بها احدا فلما خرج من عنده دخل عمرو بن العاص فاخبره معاوية بما كان من ابي الاسود فلما رآه عمرو قال له يا ابا الاسود ضرطت بين يدي امير المؤمنين فلما دخل عا

معاوية قال له الراشا لك ان لا تخبر بها احدا فقال معاوية ما علم بها احد غير عمرو فقال اياه الذى كنت احذر ولكن انت لا تصلح للخلافة قال كيف فقال اذا لم تكن لك امانة على ضرطة فكيف تؤمن على دماء المسلمين واموالهم فضحك معاوية ووصله * وقد يأتى الضراط على حين غفلة عند حمل شيء ثقيل او وثبة فلحشة او تحرك للقيام بسلة ولكن لا يشتد لصوت مثل غيره وهذا اخف ضرا مما سبق * كما انقوان اعرابيا ضرط على حين غفلة فلاموه فانشد يقول

ضرطت فما احدثت فى الناس بدعة * ولم يأت استى منكرا فأتوب
اذا كانت الاستات تضرط كلها * فليس على فى الضراط رقيب

واتى رجلان الى قاض فتقدم احدهما فتظلم من صاحبه وشكى قصته فبينما هو يتكلم اذ ضرط فالتفت الى استه وقال لها اما ان اتكلم انا او انت وحكى نفطويه عن حكيم بن عياش الكلبى انه اجتمع عند عبد الملك وفود الناس من قريش والعرب فبينما هو فى المجلس اذ دخل عليهم اعرابى وكان عبد الملك يحبه فسر عبد الملك وقال هذا يوم سرور ثم اجلسه الى جانبه ودعا بقوس رمى عنها واعطاها من على يمينه فرمى عنها حتى اذا صارت الى الاعرابى فلما نزع فيها بقوة ضرط الاعرابى فرمى بها مستحيا فقال عبد الملك دهينا فى الاعرابى وكنا نطمع فى انسه وانى لاعلم انه لا يسكن ما به الا الطعام فدعى بالمائدة وقال تقدم يا اعرابى لتضرط وانما اردلنا كل فقال له الاعرابى قد فعلت انا لله وانا اليه راجعون لقد امتحنا هذا اليوم والله لاجعلنها مذكرة يا غلام ائتنى بعشرة الاف دينار فجاء بها فاعطاها للاعرابى فلما صارت له تسلى وانبسط ونسى ما صد دمته فانشد حكيم بن عياش الكلبى يقول

ويضرط ضارط من عبد قيس * فيحبوه الامير بها بدورا
فيالك ضرطة جرت كثيرا * ويالك ضرطة اغنت فقيرا
يود القوم لو ضرطوا جميعا * وكان حباؤهم منها عشيرا
ايقبل ضارط الفا بالف * فاضرط اصلح الله الاميرا

قال فتبسم عبد الملك واجاز حكيم بن عياش بمثلها * وقيل اقبل الصغيرى على مجلس بعض الامراء واراد ان يتكلم فضرط فولى خجلا فانشد بعض من سمعه يقول

قل للصغيرى اذ ولى على عجل * من ضرطة اشبهت نايا على عود
فانما هى ريح لست تملكها * اذ انت لست سليمان بن داود

وهذا كله من باب الحلم والستر وابداء العذر عن الجالس فى الحضرة اذا ضرطها فهما عليه لما يعتريه من الخجل والضحك عليه ممن لا يعذره ولهذا يلغز فى الضرطة يقال

ومولودة لم تعرف الطمث امها * وليس لها روح ولا تتحرك
تقهقه منها القوم من غير نظرة * وصاحبها من عارها ليس يضحك

واما اذا كان الضراط باختيار الشخص لا لعلة ولا لمرض فانه يكون من القباحة وسوء
الادب والازدراء بالجالس في الحضرة فلا يليق بالضارط فيها ان يفعل ذلك
ولو اراد به المزح مثلا فذكر في كتاب نزهة الابصار في اخبار ملوك الامصار
انه خرج الرشيد الى الصيد وانفرد من عسكره والفضل بن الربيع معه راكب
خلفه فاذا هو بشيخ راكب على حمار فنظر اليه فاذا هو رطب العينين فغمز الفضل
عليه فقال له الفضل اين تريد ايها الشيخ قال حائطا لي فقال هل لك ان ادلك
على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما احوجني الى ذلك فقال له
الفضل خذ عيدان الهوا وغبار الماء وورق الكماة فصره في قشر جوزة واكتحل به
فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكأ الشيخ على قربوص سرجه وضرط ضرطة طويلة
مزعجة فقال هذه اجرة وصفك وان نفعنا الكحل زدناك فضحك الرشيد حتى كاد
ان يسقط عن دابته * (ويحكى ان هارون الرشيد وجعفر مرا ببغداد فوجدا
رمالا بعينيه احمرار فقال الرشيد لجعفر ما هذا يا جعفر قال هذا رمال فقال
لابد من اختباره فتوجه اليه جعفر فقال ما صنعتك فقال ما ترى من الاصطلاحات
والادوية فقال لم لا تداوي عينيك فقال داويتهما فلم يفد فقال اصف لك دواء
ينفعك فقال قل قال خذ ثلاثة اواق من عروق الهوا وثلاثة اواق من منزوع الما
ودقهما في هون من الثلج واكتحل بها فقال ذلك الرمال ما مر آنفا * ثم اتى اليه الخليفة
وقال له ماذا تصنع فقال ما ترى فقال لي امراض اخبرك بها فقال له قل قال
بسعترد في مغص وما آكله من الطيبات ينزل من اسفل خبيثا وبباطني ظلمة فقال
اما ما يجيئك من المغص فعليك بالموسى واما ما تاكل من الطيبات ينزل خبيثا فكله
خبيثا ينزل طيبا واما ما تراه من الظلمة بباطنك فعلق على باب صرمك قنديلا
لاجل ما ينور على استك وبطنك * وقد شاهدنا في بلاد الارياف ان الشخص
اذا اضرط في مجلس على حين غفلة يحصل له منهم غاية الاذية والضرر ويلزموه بطعام
يفعله لهم وربما جعلوا له علامة في الحائط التي يجلس بجانبها من جبس او جير حتى
يراها كل احد ويعرف انه ضرط بهذا المكان وربما خرج من القرية بهذا السبب
من كثرة ما يلومونه على ما فعل وكل هذا من كثافة طباعهم وسوء اخلاقهم وقلة معذرتهم
للضارط وعدم تسترهم عليه فعلى كل حال ان الضارط من غير اختيار معذور
وخصوصا اذا كان كتم الريح يشوش عليه وكان في مجلس فلا باس بضراطه فيه وينبغي
مسامحته لهذه العلة * ورايت في بعض الكتب ان سبب ما لقب حاتم نفعنا الله
بالاصم ان امراة جاءت اليه تساله عن حاجة فلما تكلمت خرج منها ريح بصوت
فخجلت وسكتت فقال لها حاتم اعلي صوتك بالكلام فاني رجل اصم وكان كلامه
لها من باب التستر عليها ففرحت المراة وظنت انه لم يسمع منها الضراط فاشتهر

بذلك رضي الله عنه * واتفق لي اني كنت اهوى غلاما جميل الذات لطيف الصفات فصيح اللسان رطب البنان بديع الجمال رخيم الدلال وانا مشغوف بجماله راغب في وصاله وكنت اترقب ان اخلو به ساعة من الزمان وان يجمعني السعد واياه في مكان الى ان صادفته في روضة بالمشموم عابقة ونخيلها باسقة وطيورها بالتغريد ناطقة يرفل في ثياب العز والامداد وكل صدفة خير من ميعاد فبدأته بالسلام وابديت له الغرام وسالته الجلوس فاجاب وما احلى اجتماع الاحباب فلما استقر بنا الجلوس واردت ان اتملى بقده المأنوس بين هاتيك الرياض الزاهرة والروائح العاطرة واحظى بحديثه العذب الرايق وبنطقه الشهي الفائق اذ اقبل جماعة من اذياب الذوات الكثيفه والطباع العنيفه وجلسوا من غير طلب وخاضوا في الحديث من غير ادب فخجل الغلام منهم واطرق واعتراه الوهم والحنق واراد ان يتحرك للنفاد فخرج منه صوت من غير اختيار فضحكوا عليه وقاموا منصرفين وعليه بالقول لائمين فنظر الي بطرف كحيل ووجه جميل وقال ما تقول في لوم هؤلاء الارذال فانشدت اقول بارتجال *

لاموا الحبيب وبادروا * قصد الحبيب بما فعل
لما ازدرى جلاسه * ورأى بهم ذاك الثقل
ورأى التفوه معهم * بلطيف لفظ كالعسل
فيه الخسارة اذ هم * اهل الكثافة والملل
ناداهم من استه * بلطيف صوت قد حصل
كيما يناسب حالهم * ومقامهم ذاك الاقل
فتفرقوا عن مجلس * حاوى الغزال مع الغزل
يا حبذا من ضرطة * فيها ذهاب للعلل
رقت وراق محلها * من العواذل والعذل
والحمد لله على * ذهابهم وقد رحل
فاضرط وغني وانبسط * واسطح وطب يا ذا البطل
في روضة يا حسنها * بها السرور وقد وصل
فكلما ترضى به * فالعبد عنه ما عدل
لكن بحق المصطفى * غيري ما تاخذ بدل

فتبسم عن ثغر كانه عقود الجمان ومال علي بقد كانه غصن البان وقال لا وحق من فلق الحبة وغرس في فؤادك شجر المحبة لا اكون في يميني حانث ولم يحل بيننا مدى الدهر ثالث ولم ازل واياه على هذا الحال حتى لحق بذي الجلال * ومن اللطايف ان السلطان قانصوه الغوري مر يوما في شوارع مصر متنقبا

هو والوزير فسمع رجلا من ارباب الدخول يقول لاخر مثله تفتخر على
يا فلان وانا اقدر ان اصور النغمات من طيزي فقال الملك لوزيره على بهذا الرجل
فاحضره بين يديه فاخبره الملك بما سمع منه وقال له ليس الخبر كالعيان لابد
من فعل ما التزمت به فقال له تعفوني يا ملك فان الرجل في المخاصمة يقول
ما شاء قال لابد من صدق مقالتك والا قتلتك فقال تعطيني الامان قال
لك ذلك فقال يكون في محل خال قال نعم فتحول الملك الى قاعة الجلوس واحضره
وطايب معه في الكلام وقال له افعل ما بدا لك وكان السلطان الغوري له دراية
بهذا الفن والف فيه بعض رسايل فقال له اي نغمة تريد فقال الحجاز مثلا فحرك
اليته وصنعها ولم يزل يفعل نغمة بعد اخرى حتى اتى على جميع النغمات ونهرانها
ولم يترك شيأ يلام عليه فتعجب الملك منه وقال له مثلك لا يكون الا رئيس مصر
في هذا الفن ثم اجازه بالف دينار وجعله رئيسا على ارباب الدخول كلهم ويقال
انه جد اولاد العتر المشهورين الآن * ومما حكي انه حضر بعض الخياطين عند بعض
الامراء ليفصل له قباء فاخذ يفصل والامير ينظر فهيا له ان يسرق شيا فلم يمكنه
فضرط الخياط فضحك الامير حتى استلقى على قفاه فسرق الخياط من الثوب ما اراد
فجلس الامير وقال يا خياط ضرطة اخرى فقال الخياط لا لئلا يضيق القباء * وقد
اجتمعت برجل يقال له ماضي الضراط كان على غاية من الدين والورع واللطافة
والدخول وكان يحفظ القرآن حفظا جيدا وكان ضراطه مصنوعا يفعله بابطه
وكان يفعل به اي نغمة كانت ويعمل منه اشغالا ونحو ذلك فكان بهذه المثابة
اعجوبة لكل من رآه وسمعه يضحك الجماد وكان مشهورا عند الامراء مقبولا عند
العلماء عفا الله عنه * (فائدة فشروية) سمعتها من بعض اهل الخلاعة وهو
ان ابليس لعنه الله يضرط في كل يوم خمس ضرطات يفرقها على خمسة انفار
اولهم من يركب زوجته ويزودها اضرحة الاولياء والمقابر * والثاني
من راى اثنين يتسابا وادخل نفسه بينهما وهذا يسمى عويل الصاحبة * والثالث
من راى اثنين يتضاربا وادخل نفسه بينهما فيقع غالب الضرب عليه كما في المثل
ما ينوب المخلص الا تقطيع هدومه * (والرابع) من يمشي في الطريق ويلتفت من غير
حاجة * والخامس محبوس الزوجه وقس على امثالهم * ويحكى انه كان لفتى من قريش
جارية في ايام مروة فعلمها كل الفنون حتى صارت بارعة اهل زمانها فغدر به الدهر
فباعها الى الحجاج بالكوفة فوقعت منه بمنزلة عظيمة فقدم عليه فتى من اولاد عمه من
ثقيف فانزله بمنزله فدخل عليه ذات يوم والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت
الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج له فعلم انها شغفت بحبه فوهبها له فاخذها ودعا
له وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت وسارد لا يدري الى اين ذهبت وبلغ الخبر الحجاج

فنادى برئت الذمة ممن راى وصيفة صفتها كذا وكذا فلم يلبث قليلا حتى اوتي بها
فقال لها الحجاج ياعدوة الله كنت عندى من احب الناس فاخترت ابن عمي
شابا حسن الوجه بعد ما رايتك تسارقيه النظر فعلمت انك شغفت به حبا
فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت ياسيدى اسمع قصتي ثم اصنع ما انت
صانع فقال تكلمي فقالت كنت للفتى القرشي فغدر به الدهر فاتى بي الى الكوفة
قاصدا اليك لتشتريني حتى اذا قربنا منها دنا مني فواقعني فسمع هدير الاسد
فوثب قائما واتى الاسد وقتله ثم اتى الي وما برد ما عنده من الانعاظ وقضى
حاجته وان ابن عمك هذا لما قام الي وواقعني سقطت فأرة من السقف فضرط
وغشي عليه فرششت عليه الماء وهو لا يفيق فخفت موته فتتهمني فهربت خوفا
منك فما ملك الحجاج نفسه من الضحك وقال ويحك اكتمي هذا ولا تعلمي به احدا
فقالت على ان لا تهيني له ثانيا * فان قيل ان الضراط صوت وقد عرفوا الصوت
بانه هواء منضغط بين قالع ومقلوع او قارع ومقروع وليس هنا قارع ولا
مقروع انما هو يخرج من الاست عند انفتاح الاليين وتحركهما فما الحكم قلنا
الجواب ان يقال ان هذا الاينافي الاعلى التعريف الثاني وهو ان الصوت
هواء يتموج بتصادم جسمين فاتضح * الجواب فان قيل انه في قول الناظم
ويبقى ضراطي مثل طبل عنيف اشكال من حيث انه اذا كان ضراطه يشبه صوت
الطبل الشديد يكون كل من سمعه اقبل عليه وعرفه وظهر حاله واستدل
بهذه الحالة عليه النصراني وغيره فلا فائدة في اختفائه بين النساء ولا في اندراجه
في العباءة فما الحكم قلنا الجواب ان الناظم ما ذكر حصول الضراط له بهذه الصفة
الا بعد لفه في العباءة فهو وان كان قويا وله صوت عال فلقوة اندراجه ولفه في
العباءة لا يسمع منه الضراط كصوت الطبل وهذا مثل رجل محبوس في جب عميق مثلا ومعه
طبل يقرعه فلا يسمع منه الا القليل وان كان ضربه شديدا فيكون سماعه قاصرا
على نفسه او على من يكون واقفا على باب الجب او قريبا منه فالعباءة حكم الجب
وهي اضيق لاندراجها ولفها عليه ولو كان الضراط فيها قويا لا يظهر حسه من الخارج
الا ضعيفا او انه من باب الغلو في الشيء كما قال الصفي الحلي في بديعيته *

عزيز جاه لو الليل استجار به * من الصباح لعاش الناس في الظلم

او يقال ان هذا الضراط وان سمع منه بالصفة التي ذكرها لا يتوهم انه رجل مختف
بل ربما يظن انه رجل او امرأة يقضي حاجته فلا يكون فيه مظنة للتهمة فعلى كل حال
لا اشكال في كلامه فاتضح الجواب قلت والمراد من صرح بهذه العبارة وجعل
الضراط فيها على هذه الاقسام و[illegible] بهذه النعاريف غيري * ثم ان الناظم نبه
على ان عمره قد انقضى وزمانه قد مضى فيما لا طائل تحته ولا فائدة فيه لشدة فقره

وقلة كسبه فقال

ص * (ويا دوب عمري في الخراج وهمه * تقضى ولالى في الحصاد سعيف)

ش قوله (ويا دوب) الواو عاطفة بحسب ما قبلها والياء للندا ودوب هذه اللفظة لها اشتقاقات فشروية ومعاني مختلفة فاما ان تكون مشتقة من داب الانسان وهو شانه وحاله الذي هو مهتم به والمعنى انكم تعلمون يا اخواني ان دابي طول عمري مع ما حصل لي من الهموم سابقا في حساب وفكر وتعب شديد مما علي من الخراج وما ينشا من همه اي خراج الارض وهو المال المكتتب على تحت زرع الارض وما يخرج منها في كل عام فلا يفي بما علي من المال لزيادته وقلة الزرع ولضعفي وشدة فقري وقلة من يسعفني في الزرع والقلع فلهذا انقضى عمري وانا في هذا الحال الى اخره او انه من الدب لبلاعلي لولد الامرد اذا رقد بين جماعة ولم يتمكن منه الفاسق فيصبر عليه حتى ينام ويدب عليه على حين غفلة فما يشعر الا والاير قد دخل غاليه او كله فيحتشم خوف احد يتحرك او خوف الفتنة حتى يقضي الفاسق مراده وربما عاتبه الامرد عتابا لطيفا او شتمه شتما خفيفا فيقول له قدر الله وانا بيدك مثلا واني هلكت في حبك الى ان تقضي القضية على احسن حال قال بعضهم مواليا *

دبيت لبلا على من للملاحة حاز * بقيت راكب على ظهره وشبه الباز
لما انتبه من منامه قال من ذا فاز * بوصلنا قلت اعمى جس بالعكاز

وما الطف قول بعضهم

وما حرقلبي باخفائه * ربنا ما دري قدر ما قد رما
واضرم نار الاسا في الحشا * ولم يبتك ضر ما اضرما
وسلم قلبي الى صده * فيا ليته سل ما سلما
وقد كان قدم احسانه * ولكنه قد ما قدما
وقد هد بنيان صبري * وما واحد هد ما هدما
وحرم ما حل من وصله * وفي مهجتي حر ما حرما
وقد عز من صاحب الوفا * وما احد عز ما عزما
عجبت لفيض دمعي به * اذا ما جرى اودها اوهما
فسلمت امري به للقضا * وجرت به اجر ما اجرما
وقد رقم الحسن في خده * فلله رق ما رقما

وقال اخر

شكوت الى الحبيب انين قلبي * اذا جن الظلام فقال انا
فقلت له اذلتك غير داضي * بما كابدت ويرقال انا

فقلت

فقلت له اترضى ان قلبي * باثقال الغرام فقال اتا

فقلت له اتحكم مثل هذا * على اهل الغرام فقال انَّا

اعلم ان الاولى فعل امر من الاتيان والثانيه بمعنى نعم والثالثه مركبه من ان الشرطيه واما فعل ماض والرابعة ان واسمها وقال اخر

جل الذى اطلع شمس الضحى * مشرقة فى جنح ليل بهيم

وقدر الخال على خده * ذلك تقدير العزيز العليم

بدر ظننا وجهه جنه * فمسنا منه عذاب اليم

ينفر كالريم الا فانظروا * الى بخيل وهو عندى كريم

لما انحنى حاجبه وانثنى * بين للعشاق قدًّا قويم

عجبت من فرط دلال وقد * بدا الى المعوج والمستقيم

داوى حبيبي يا طبيب الهوى * وخلنى انى بحالى عليم

فخصره واه وارد افه * ثقيلة واللحظ منه سقيم

وقال اخر

صيرنى فى كل واد اهيم * من خط قلبي منه هاء وميم

فتى ليتيه دير القلا * يا طول شوقى من بخيل كريم

لم انس من وحشته ليلة * خلتنى ادعى ديجاها البهيم

نظرت حبى بها نظرة * فقال حسمى انى سقيم

شوقا لمن لست على حبه * بصابر لكن قلبى كليم

لا اسمع اللوم على حبه * اعوذ بالله السميع العليم

فى شرعه وحكم الهوى * دمع نزوح وعذاب مقيم

وثابت الود لديغ الحشا * يأتى الى بقلب سليم

يا روضة تجنى بالحاظه * فيجتنى حلو الرضاب النعيم

كن كيف شئت وعن مهجتى * فلا تسال عن اصحاب الجحيم

والمعنى انى اكون على حين غفلة فيدب على هم الخراج وتعبه والحساب فيه فينغص على الراحة فى معاشى والسرور فى اوقاتى وهكذا طول زمانى كما يدب الفاسق على الامرد فما يشعر الا وقد علا ظهره ونال مقصوده كما تقدم * او انه من دبيب سم العقرب بمعنى ان الحساب فى هذا الامر فى الليل والنهار يتولد منه غم ليسرى على القلب ويدب فيه دبيب سم العقرب فى سائر الجسد او انه مشتق من الدب بضم الدال وهو حيوان غليظ الجسم غزير الشعر بليد الطبع ليس فى الحيوان ابلد طبعا منه الا ان عنده قوة ادراك عن غيره كما فى المثل بلادة الدب غلبت فطانة القرد ومن عجيب منه انه اذا راى جماعة يصيدونه يلصق شعره على صمغ الشجر فيمتلئ الصمغ بشعره ثم

يترع على الرمل حتى يصير شعره يابساً كالحجر فلا يؤثر فيه ضرب النشاب ولا غيره ويكون وقاية له في النبلاء في الامور ضرب من الراحة واختبار للعقول قال الشاعر

بنا الذين تعقل الرجال ويظهروا * اليك امور الست منها بخابر

والمعنى ان كثرة الهم من حساب المال وهم الخراج صيرتني في حالة تشبه بلادة الذب وعدم حركته في السعي لعدم المكاسب وقلة البركة في الزرع وشدة الفقر وتواتر الطلب علي في كل ساعة فانا محروم من لذات الدنيا ولم يفدني شيء مما انا فيه قال بعضهم

اصبحت لا شغلة ولا عطلة * مزيدنا من صفقة خاسرة

وحاصل الامر وغاياته * اني لا دنيا ولا آخره) فلا ارى في الزرع بركة في ابتدائه لقلة التقاوي وضعفي عن اصلاح الارض لان الارض لا يقوم بزرعها الا الفلاح القوي المتيسر خصوصا لما زاد عليها الآن من المظالم وزيادة الخراج والعوايد الكثيرة على الفلاحين والمغارم فالزرع وان ورد فيه تسعة اعشار البركة لا يفي بهذا المقدار من كثرة الظلم واما في الزمن المتقدم فلم يكن عليه عوايد ولا كلف ولا مغارم ولا شيء مما هو موجود الان بل كان الشخص يزرع الارض وكان خراجها شيأ يسيرا ولا يعرف وجبه ولا غرامة ولا اشيا من ذلك قط وكانت البركة حاصلة بزيادة والارض كلها عامرة بالزرع والناس في غاية الخير وسعة الرزق والكسب ومما روى انما اعترض رجل المأمون فقال انا رجل من العرب فقال له ليس بعجيب فقال اريد الحج فقال الطريق امامك قال ليس لي نفقة قال قد سقط عنك الفرض قال قد جئتك مستجيدا لا مستفتيا فضحك وبره بجائزة * (ومن النوادر) ان الاصمعي مر بحي من احياء العرب فوجد صبيا يلعب مع الصبيان في الصحرا ويتكلم بالفصاحة فقال له الاصمعي اين اباك فنظر الصبي اليه شذرا ولم يجبه فقال له اين ابيك فلم يجبه فقال له اين ابوك فقال له فاء الى الفيفاء لطلب الفيء فاذا فاء الفيء فاء * ولما دخل المأمون مصر وصار في قراها كان يبنى له في كل قرية تكية يضرب عليها سرادقه والعساكر من حوله وكان يقيم يوما وليلة فمر بقرية يقال لها طا النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما جاوزها خرجت اليه امراة عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقفها وبين يديه التراجمة من كل جنس فذكروا ان القبطية قالت امير المؤمنين نزل في كل ضيعة وترك ضيعتي ولم ينزل بها والقبط تعايرني بذلك وانا اسال امير المؤمنين ان يشرفني في ضيعتي بحلوله ليكون لي الشرف ولعقبي ولا يشمت الاعداء بي وبكت بكاء كثيرا فرق لها المأمون وثنى عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وقال له كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه والعلوفة وغير ذلك مما جرت به العادة قال كذا

وكذا فاحضرت أمة جميع ما ذكر وزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وولده العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضي داود فاحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ثم احضرت هي للمامون من فاخر الطعام ولذيذه شيا كثيرا حتى انه تعجب من ذلك فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشرة وصايف مع كل وصيفه طبق مغطى فلما عاين المأمون ذلك وراها قال قد جاءتكم القبطية بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه وكشفت الاطباق فاذا هي ملانة ذهبا فاستحسن ذلك وامرها باعادته الى بيتها فقالت لا والله هذا هدية لك يا امير المؤمنين فتامل الذهب فاذا هو ضرب عام واحد كله فقال هذا عجيب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا امير المؤمنين لا تكسر قلوبنا وتحقر بنا فقال ان في بعض ما صنعته لكفاية ولا يجب التثقيل على احد فردي مالك عليك بارك الله لك فيه فاخذت قطعة من الارض وقالت يا امير المؤمنين هذا واشارت الى الذهب من هذا واشارت الى الطينه التي تناولتها من الارض ثم من عدلك وانصافك يا امير المؤمنين وعندي من هذا شيئ كثير فامر به واخذه منها واعطاها عدة ضياع واعطاها من قريتها طا النمل ما يتى فدان بغير خراج وارتحل متعجبا من كبر مروتها وسعة حالها فانظر الى كثرة ما كانت الارض في الزمن الماضي تعطي زراعها من الخير والبركه وسعة الرزق وكله من عدم المظالم وكثرة العدل وقلة الحوادث واول من احدث بمصر مالا سوى الخراج احمد ابن المدبر لما ولي خراج مصر فانه كان من دهاة الناس ابتدع بدعا كثيره منها انه حجر على الاطرون بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على البهايم مالا وسماه المراعي وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصايد فانقسم من حينئذ مال مصر الى خراجي وهلالي وعرف المال الهلالي بالجديد وقال سيدي ابو بكر الطرسوسي دخلت على الافضل ابن امير الجيوش وهو ملك مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد على السلام نحو ما سلمت ردا جميلا واكرمني اكراما جزيلا وامرني بالدخول الى مجلسه والجلوس فيه فجلست طويلا وابتدرت قائلا ايها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد احلك محلا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض ان يكون امر احد فوق امرك فلا ترضى ان يكون احد اولى بالشكر منك وان الله تعالى قد الزم الورى طاعتك فلا يكون احد اطوع لله منك وليس الشكر باللسان انما هو بالفعال والاحسان واعلم ان هذا الذي اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه النعم فان الله سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير واعلم ايها الملك ان الله سبحانه وتعالى اتى الدنيا بحذافيرها

سليمان عليه الصلاة والسلام فسخر له الجن والانس والشياطين والوحوش والطير واليها ير وسخر الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ترفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولاحسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم واغث الملهوف اعانك الله على نصر المظلوم وجعلك عونا للملهوف وامانا للخائف * قال رضي الله عنه ثم اتممت المجلس بان قلت قد درت شرقا وغربا فما اخترت مملكة وان بحثت اليها ولذت لي الاقامة فيها غير هذه المملكة اى مصر ثم انشد يقول

الناس اكيس من يحمد وا رجلا * حتى يروا آثار احسانه

وقوله (ولا لي في الحصاد سعيف) اى ولا ادرى من يسعفني في حصاد الزرع عند انتهائه ولا من يعاونني على تحمله على الجمال ونزوله في الجرن ودرسه ودراوته وحصاد الزرع هو ضمه بآلة من حديد او قلعه من اصله اذا بلغ الاستوا ويبس حبه وطاب سنبله ونشف وآل الى السقوط فيعاونه عليه بالحصاد وقد شبه الآدمي بالزرع فانه في ابتدائه يكون خضرا نضرا زاهيا كذلك الشخص في حال نشأته وصباه اذا كبر وترعرع يكون على هذا فاذا طاب وآن اوان حصاده وانتهى زمانه وكذلك الآدمي اذا صار كهلا ودهمه الشيب آن اوان انقضاء عمره فان الشيب نذير الموت ولهذا يقال للرجل اذا دهمه الشيب طاب الزرع اى قرب موته ودنا حصاده ويطلق الزرع على الحسي والمعنوي فالحسي ما تقدم ذكره والمعنوي مثل فعل الخير مثلا يقال زرع فلان الجميل اى فعله مع غيره قال الشاعر

ازرع جميلا ولو في غير موضعه * ما خاب قط جميل اينما زرعا

ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذي زرعا

ومن الحكم من فرش رقد ومن زرع حصد وكل زارع يحصد ما زرعه من خير او شر قال الشاعر *

غدا توفى النفوس ما كسبت * ويحصد الزارعون ما زرعوا

ان احسنوا احسنوا لانفسهم * وان اساؤا فبئس ما صنعوا

قيل لما ظلم احمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها ونفعنا بها وببركاتها يشكون اليها من ظلمه وجوره قالت يركب متى قالوا في غد فكتبت له رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا احمد يا ابن طولون فلما رآها ترجل فناولته الرقعة من يدها فقرأها واذا فيها مكتوب ملكتم فاسرتم وحكمتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم

ان

ان سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب اوجعتموها وكبود جوعتموها
واجساد اعريتموها فمحال ان يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فانا
صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون
وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون فعدل لوقته رحمه الله * ثم ان الناظم
نبه على مصيبة اخرى من انواع الظلم ابتلى بها هو وغيره من اخوانه الفلاحين
والبطالين وغيرهم فقال *

ص * (ويوم يجي العونه على الناس في البلد * تجليني في الفرن امو طيف

ش قوله (ويوم) بالتنوين وعامله في هذا البيت (يجي العونه) وهو اوان حفر
السواقي وضم الزرع وحفر القني مما يحتاج اليه في هذا المعنى والعونه انما تكون
في بلاد الملتزمين التي بها الاوسيه وهو ان غالب الملتزمين اذا اخذ قرية
اوكفرا من كفور الريف يزرع فيها اوفي الكفر جانبا من الارض والبقية يعطيها
للفلاحين بخراج معلوم ويسمى هذا الجانب الذي يزرعه زرع الاوسيه فيرسل
ثيرانا واخشابا ومحاريث وما يحتاج اليه ويجعل له على ذلك وكيلا ومحلا معدا
لاخشابه وبهايمه ويقال له دار الاوسيه ويوكل من يصرف على البهايم
وغيرها بحساب وضبط فاذا احتاج الامر لتشيل الطين من الابار او لحفر القنى
اوضم الزرع امر المشد بالقرية او الكفر رجلا يقال له الخفير فينادي العونه
يا فلاحين العونه يا بطالين فيخرجون عند صبيحة النهار جميعهم ويسرحون للحفر
اولكل ما يامرهم به كل يوم من غير اجرة الى ان يفرغ الحفر والضم وكل من تراخى
او تكاسل عن السروح اخذه المشد وعاقبه وغرمه دراهم معلومه وبعض البلاد
تكون العونه فيها على رجال معروفين بالبيوت مثلا فيقولون يخرج من بيت
فلان شخص واحد ومن بيت فلان شخصان بحسب ما تقرر عليهم قديما وحديثا
فلا ينفك من عليه العونه منها وان مات جعلوها على اهله وهكذا فهي داهيه
كبرى على الفلاحين ومصيبة عظمى على البطالين ولله الحمد اراح الله قريتنا
منها انما هي قدر معلوم على الفلاحين لا يعرف الملتزم الا اخراجها باخذه
في كل سنة على التمام والكمال وان كان عليهم بعض عوايد ومظالم فليست
كبلاد الاوسية لانهم دائما في تعب وكد وغرامه وخوفهم زايد والناظم
كان مقيما ببلاد الاوسيه فلهذا ذكر انه اذا حضرت العونه (على الناس في البلد)
اى بلد الناظم والناس هم المخصوصون بها لا كل سكان القرية ولعل الناظم
كان ممن يسرح للعونه لقلة زرعه وشدة فقره فلما حضر غاب ساعة عن عياله
من غير كسب احتاجوا الى ذلك فلا بد وان يترك العونه ويذهب ليشتغل
بكسب منه فلهذا قال (تجليني) اى تخفيني عن اعين الناس حتى لا يراني احد

ولا يسمع بي (في القرن) اى فرنه الكائن في داره المعد لخبز العيش ودمس الفطير وطبيخ البيسار والفول المدمس ونحو ذلك (امر طيف) اصله وطقه وذكره بلفظ المذكر لضرورة النظم وهو مشتق من الطيف وهو الخيال السارى مناما قال الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا يستفزني * سحيرا وصحبي في الفلاة رقود
فلما انتبهنا للخيال الذى سرى * ارى الدار قفرا والمزار بعيد

اومن الطوفان اومن اطواف الحلة التى تفعلها نساء الارياف فانها كانت كثيرة الشغل في لزق الحلة وعملها اطواقا فمن هذا اكنوها ام وطيف * واما اسمها على ما قيل نويعه وقيل خطيطه اومعيكه وهى ام الناظم او زوجته اواخته وسميت العونه عونة لاشتقاقها من المعاونة لانها جماعة تخرج لمعاونة بعضها بعضا في شغل الملتزم ونحوه اوانها اسم للجماعة المتعاونين على الشئ ولهذا يقال ناكوا فلانا الليلة عونه اى تعاونوا كلهم على نيكه دفعة واحدة في الزريبه اوالشونه ويعايرونه بها الامرد ويقولون له انت يا خوديا بقرة داعونك فيه اى ماية نفس اوانها من الماعون اسم للزلعه الكبيرة ومصدرها عون يعون تعوينا اوعان يعين اعانة قال الشاعر

فعون تعوينا وعان اعانة * وكل له معنى صحيحا وقد ورد

فان قيل ان كلام الناظم يشعر انه اذا اختفى في الفرن يتركونه ولم يشعر به احد وهذا بخلاف ما تقدم من ان العونه لابد من الشروع اليها وخصوصا اذا كانت مقررة على الشخص من قديم الزمان اومن زمن اجداده كما تقدم فما الجواب قلنا الجواب ان الناظم لما مال عليه الزمان وبقى من ضعفاء الناس وفقرائهم صار وجوده كالعدم ولا يفتكره احد وانما اراد الاختفا خوفا من اقاربه ان يسلطوا عليه جماعة الملتزم يؤذونه او يشوشون عليه وهذا القول يدل على ان العونه لم يكن مقررة عليه لانه كان في ابتداء الزمان شيخ الكفر ومتصرفا فيه اوانه اعتراه الكبر وصار شيخا عاجزا فاذا احضر وقت العونه اختفى في الفرن تسترا على نفسه حتى لا يراه احد كما يقال في المثل (ابعد عن الشر وغنى له وعين لا تنظر قلب لا يحزن) فاتجه الجواب عن هذا الاشكال، ولما فرغ الناظم من شكواه من القل والعتره والقمل والصيبان وعداوة اقاربه وما ناله منهم والوجبه والخراج والعونه ونحو ذلك شرع في تمنى جملة من الماكل اوردها لشدة ما هو فيه من عدم ذلك وكثرة فقره وانه لا يعرف هذا الطعام ولا يراه الا عند الناس فتمنى ان الدهر يلطف معه ويرى ذلك او يملكه ولو يسيرا قبل انقضا عمره وابتدا بالكشك لانه افخر ماكول اهل الريف فقال

ص ولاهدى من بعدها هاده وهاده سوى الكشك لما يستحق غريف

ش قوله (ولاهدنى) اى حيلى وقوتى ماخوذ من هد الحائط واصله الهدم بزيادة
الميم حذفت منه جريا على اللغة الريفية او انه من الاكتفاء كقول الشاعر

هليكة الحسن جودى باللقا كرما * انى من قلبه قد ذاب فيك أذا
افسدت قلبى فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

(وقيل) هد وهد مجموع هدهد بضم الهاء فيكون اسما ركب من فعلين والهدهد طائر
معروف ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام
وتفقد الطير فقال مالى لا ارى الهدهد ام كان من الكاذبين لانه كان رسول الطير
وكان يدله على الماء لانه يرى الماء تحت الارض بخاصية جعلها الله تعالى فيه (وسئل
ابن عباس) رضى الله عنهما ما الحكمة فى ان الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ
ويقع فيه فقال رضى الله عنه اذا جاء القضا عمى البصر * او انه مشتق من اهدية لمقاربة
اللفظ * وفى الحديث تهادوا تحابوا * ويقال اصل المحبة الهدية واصل العداوة
الشكية واصل البغضة الاسية فالهدية لها موقع فى النفس ولو كانت شيئا
يسيرا وفى المثل هدية الاحباب على ورق السداب وقال بعضهم

جاءت سليمان يوم العرض قنبرة * تهدى اليه جرادا كان فى فيها
وانشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار هاديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا وما فيها

(او انه) من الهذيان بالذال المعجمة وهو الصحيح ومصدرها هد يهد هدا وهدم يهدم
هدما على اللغتين من قولهم هدك الله هدا وهدم الله هدما بمعنى انه يضعف قواك ويبطل
حركاتك كما يبطل نفع الحائط اذا هدم ونحوه وقوله (من بعد هاده وهاده) بالهاء والالف
والدال المهملة والهاء المربوطة فتكون كلمة محبوكة الطرفين اولها مثل آخرها اذا
وقفت عليها واصلها هذا اسم اشارة الا ان السنة اهل الريف غيرتها والمعنى ان هذا
هد حيلى واضعف قواى من بعد ما تقدم اولا وهو اكل المقل والسيسبان والفاء والحترة
ونحوه والذى اتى عقبه وهو الضرر من الاقارب وهم الخراج والوجبة والخوف من نزول
الكشاف والعونة وطلب مال السلطان والطرد فى الغيطان ونحو ذلك مما تقدم
ذكره على حد قول بعضهم

هم الفلاحة حيرنى * وكل ساعة فى نقصان
ما انفك من هم الوجبة * ساعى مال السلطان

(فالفلاح) اذا كان فقيرا تجده دائما معرضا للهلاك من ضرب وحبس وعدم لذة
المآكل والمشارب ولا راحة له ابدا الا ان غلق مال السلطان واما ان ابقى عليه شيئا

يسير فانه دائما في افكار آناء الليل واطراف النهار وطرد وتعب وهم وتعب لالان اعطاه الله تعالى البركة في الزرع فانه ياتى من القليل كثير بحسب نيته وقت البذر في الارض وقصده ذلك الوقت انه ينتفع به هو وغيره كأكل الطيور والدواب ونحو ذلك مع الاتكال على الله عز وجل في طلوعه وحفظه من الآفات فان الله يبارك له فيربح مزيد الثواب (المأثور عن سيدنا عمر بن الخطاب) رضى الله عنه انه مر بجماعة جالسين من غير شغل ولا اكتساب يسألون الناس فقال من انتم قالوا نحن المتوكلون فقال لستم كذلك انما المتوكل من وضع الحبة بين الماء والطين اذهبوا فاكتسبوا فالزارع اقوى توكلا من غيره انتهى ان لاحظ ما تقدم ذكره وقت البذر (فائدة) يستحب عند بذر الحب في الارض ان يصلى ركعتين ثم يقول الهي انا عبد ضعيف اليك سلمت هذا البذر فبارك لي فيه ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يحفظ الزرع من الآفات ذكره الامام الزاهد (قال بعضهم) اربعة لا يستجاب لهم دعاء رجل جلس في بيته ودعا الله ان يغنيه يقول الله الم آمرك بالسعى (ورجل) انفق ماله في معصية الله تعالى او بناء فافتقر ودعا الله ان يغنيه يقول الله له الم آمرك بالاقتصاد الم تسمع قولي والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (ورجل) دفع ما له لرجل بغير بينة ثم طالبه فانكر يقول يارب خلصني منه يقول الله له الم آمرك بالاشهاد عليه (ورجل) له امرأة سيئة الخلق يقول يارب خلصني منها يقول الله له الم اجعل امرها بيدك اما سمعت كلامي الطلاق مرتان انتهى ولكن نحمد الله الذى اراحنا من الفلاحة وهمها ولم تكن لآبائنا ولا اجدادنا فنحن على حد قول البهلول رحمه الله تعالى

اذا ركب الملوك على الجياد * وقد شدوا البنود على القصاد
ركبت قصيبتى ولبست مسحى * وسرت كسيرهم في كل وادى
فلا الاجناد تطلبنى بمال * ولا الديوان تجلب في عدادى

(فالفلاحة) على كل حال بلية اعاذنا الله والمحبين منها وقوله (سوى الكشك) وهو في اصله مركب من البر واللبن غليظ محرك للامراض قال الشاعر

الكشك ريح غليظ * محرك للسواكن
الاصل درو بر * نعم الجدود ولكن

اى ولكن بئس ما خلفوا نفيه اكتفاء وصفته ان يؤخذ البر وهو القمح ويغسل غسلا جيدا ويغمر بالماء ويوضع على النار ويتعاهد عليه حتى يلين ويغلظ الحب ويصير مساوقا ثم يجفف في الشمس ويدش ويوضع في اناء ويصب عليه اللبن والملح الحصر ويحرك ثم يترك اياما ثم يحرك ويوضع عليه اللبن وهكذا حتى يختمر ويأخذ

قوامه وتفوح له رائحة الحموضة ويصير على غاية من جودة الطعم ثم يزاد من اللبن لاجل
خفة حموضته ثم يقرص اقراصا صغارا ويوضع فى الشمس الى ان يجف فيؤخذ ويخزن
لوقت الطبخ وهذه صفة كشك بلاد البحر وهو الاجود والاحسن فى الماكول واما
كشك الكفور وبلاد الملق الذى ذكره الناظم فلا اراك الله مكروها فانهم يصنعونه
بالمش الحصير وقليل من اللبن ولهذا يوجد كثير الحموضة حريف الطعم غليظ الطبع
عن غيره محرك للضرورات وهو الذى يضرب لونه الى السمرة وكلما كان ابيض
نقيا قليل الحموضة كان جيدا وكذلك كشك الصعيد فانه يشبه كشك الكفور
فى عدم الجودة الا انهم يجعلونه مثل البنادق الكبار وفيه نوع جيد لكثرة لبنه
وحسن نظافته * واما كيفية طبخه فعلى اقسام بحسب البلاد التى يعمل فيها فاهل
بلاد البحر يطبخونه بالارز واللحم السمين تارة وبالدجاج او بشئ من اصناف الطيور
الماكولة اخرى او يجعلونه بالارز فقط ويصير ونه تحتينا واهالى المنزلة ودمياط يطبخونه
بالسمك البورى السمين واكلته بدمياط مرارا وابناء الترك يجعلونه رقيقا مائعا بقليل
من الارز بحيث يشرب بالملعقة ويقلون له بالخضرة والادهان والسمن ويطبخونه
باللحم الضانى السمين فيكون له لذة عظيمة فى المأكل وتتلذذ الطبيعة خصوصا مع لحوم الضأن
والدجاج والارز ونحوه * واما القسم الردئ المحرك للسواكن المذكور فى الشعر المتقدم
فهو كشك اهل الكفور وبلاد الملق فانهم يتساهلون عند الطبخ فى غسله وتصفيته ويضعونه
فى بوشة او قدرة او دست على النار ويضيفون اليه بعضا من الفول المدشوش ويقيدون
عليه بالنار الى ان ياخذ قوامه ينزلونه ويخرطون بصلة ويضعون عليه قليلا من الشيرج
ويقلون له بذلك ويغرفونه فى مثارد او شوالى فخار ويفتون فيه خبز الاذرة او الشعير وياكل
الشخص منهم مترديا ومتردين بالمضغ واللهط ويسرح الى الغيط الى وقت الماء فيجد ما بقى
منه قد جمد وظهر فيه فصوص الفول فيلهطه الى ان يكتفى وهذا يسمى عندهم راس البحار
وهو اعز الماكول عندهم وغالبهم يصنعونه فى اعراسهم كما سبق بيانه فى الجزء الاول من هذا
الشرح ولا يعرفون طبخه بالارز ولا اللحم فان الارز لا يوجد عندهم الا نادرا واللحم
لا يأكلونه الا من العام الى العام كما سياتى بيانه * ونوع آخر من هذا القسم يطبخونه
من غير فول بل مجرد كشك من غير وضع شئ من الشيرج عليه يسمى عندهم نيرب وهذا
وما قبله يولد الارياح ويحرك السواكن ويضر بالمعدة لزيادة الفول فيه لانه غليظ
الطبع وكذلك اللحم لانه حار رطب والمش الحصير بارد رطب والفول غليظ ثقيل فتتولد
الضرر من مجموع هؤلاء الاربعة * وللكشك منافع قبل طبخه منها انه اذا اذيب بالماء وشرب
المحرور نفعه وسكن التهاب معدته واذا تروحت ابطل من الم الحر يسقى منه ويزول ما به
ولهذا يستعمله المسافرون اذا اذاهم الحر وحصل لهم الضرر منه كالحجاج وغيرهم

وينفع من الحر ضرب السياط طلاء وله منافع اخرى مذكورة في كتب الطب * واما اهل الصعيد فانهم يطبخونه من غير تصفية فيكون مثل النخالة المطبوخة بالخل لا غير فهذا لا فائدة فيه وليس له طعم ولا لذة لان نفعه لا يكون الا بعد تصفيته لكن غالب ماكولهم الويكة والملوخية كما شاهدناه في بلادهم (قيل) ان رجلا من اهل الصعيد من نواحي قنا وقوص اتى مصر ليشتري جارية للخدمة فرأى جارية تباع باغلا ثمن لمعرفتها بانواع الطعام فوقف عليها وسالها هل تحسني الطعام مثل ما يقولون فنظرت اليه وقالت له من اي البلاد انت قال من الصعيد فقالت انت لا تحتاج الى الطعام فاخر فان ماكول اهلها بسيلة في كل سنة ستة اشهر ويكه وستة اشهر ملوخية فلا يحتاجون الى طعام فاخر غير هذا قال فتركها ومضى متعجبا (مسئلة هبالية) ما معنى اسم الكشك وما اشتقاقه وما معنى اسم النوع المطبوخ منه هراش العجائز والنوع الاخر المسمى بالسريع وما معنى قول الناظم انه هدد بكله عند مشاهدته وقرب شربه وشم رائحته (الجواب الشريف) ان لفظة كشك هذه من الالفاظ المقلوبة التي تقرأ طردا وعكسا ومثلها كعك وشاش ورباب ومثلها سر فلا كبا بك الفرس وقاع مركب بكر معلق وحبك نتن وبه عجوز تنكبح وقد ورد ذلك في القرآن العظيم في قوله تعالى وربك فكبر كل في فلك وفي غير القرآن مثل حما لله تحت كلامك علوا بحت قلح (ومن النظم قول الحريري

اس ارملا اذا عرى * وارع اذا المرء اسا
اسل جناب غاشم * مشاغب ان جلسا

(وايضا) ان الكشك اذا قلبوه يكون باطنه مثل ظاهره واول الكشكة مثل آخرها فكان فيه بعض مناسبة من هذا المعنى او انه عند وضعه في الشمس يكبش وينضم من حرارتها او انه من قول بعضهم اكل فلان الكشك عند فلان بمعنى انه اكل اكلا كثيرا حتى انتفخ بطنه وصار مثل ماجور الكشك او من قولهم للكلب كش كش اذا ارادوا انه يلقوا له شيأ ياكله ينادوه بهذا اللفظ او من الكشك بضم الكاف وسكون الشين وهو محل خارج من البناء المرتفع مركب على الاخشاب يجعله الاكابر للجلوس او ان الكشكة لما صارت ممدودة كانت تشبه الكس بالسين المهملة وهو الفرج ثم انهم غيروا السين المهملة بالشين المعجمة لقبح اللفظ واضافوا اليه الكاف كما قالوا كشك ومصدر كشك يكشك تكشيكا (واما تسمية النوع منه هراش العجائز) فالهراش في الاصل النطاح يقال مهارشة التيوس ونقار الديوك ونسب الى العجائز لانهن في الغالب يطبخنه بشهوة ويتهارشن عنده مهارشة تضيق منها النفوس ويظهر منها النهم والعكوس وناهيك بعجائز اهل هذه البلدة اي مصر فانهن نسم

من

ن غيلة الجان فلاجل مهارشتهن على هذا الماكول سمى بهذا الاسم او انه من باب هرش
المعدة (واما تسمية النوع الاخر نيرب) فلعله من النيروب على وزن الديلوب
او انه نسب الى رجل اسمه نيريب على وزن ارنب حيوان يحل اكله فخشوا الا التباس
فى اللفظ فقالوا نيرب او انه فعل فى زمن النيروز فقالوا اولا نيروز فالتبس
الامر فى اسمه واسم الزمن فابدلوا الزاى الذى فى اخره بالباء الموحدة وقالوا نيروب
وقول الناظم انه هد حيله وقد شاهده ورآه وشم رائحته انما هو من عدم ملكه
له وقلت لحمه عنده وانما كانت رؤيته له عند الجيران فمن هذا اذا رآه قد قرب
للاكل يتحسر ويتاسف وخصوصا (اذا استحسن غريفه) اى لما ينتهى طبخه ويريدون
غرفه وتفوح رائحته عند غرفه واصله لما يستحق الغرف بآلة التغريف لكن حذف
وزاد الياء المثناة من تحت لاجل النظم وغريف على وزن كنيف وهى نقرة معدة
لخرافه بها فعند مشاهدته لهذه الحالة وشم الرائحة يهد حيله لان همة الشخص
طول عمره وبطنه وفرجه كما قال ابن عروس فى ديوانه

الناس فى الله تاهوا * والاجواد شاعت ثناها
ماضرنى غير بطنى * واللى مد لى حداها

وقال بعضهم موالياً

يا دنية الشوم طول عمرى وانا اشتد
فى هم ذى البطن اللى ما تريح حد
اصال ابنى واجى بعد العشا امتد
اقوم فى الصبح القى ما ينبتوا تهد

(فمن هذا) لم يقنع الناظم لانه لا يقضى مراده ولا هو من قسم النحل يعيش بالشم
بل من الادميين وخصوصا من اهالى كفور اهل الريف يفطر الشخص منهم على مترد
او متردين من الكشك او البيسار او الفول المدمس كما سياتى فلا لوم عليه فى
هد حيله (يحكى) انه ركب المامون وخرج الى البر وكان راكبا خلفه بختيشوع الحكيم
فقابله عليان المجنون فقال له يا بختيشوع جس بطنى فجس بطنه وقال له ما تشتكى
يا عليان فقال له اشتكى استى فقال له بختيشوع خذ لك عود اراك ودسه ورائك
فهو صالح لذلك فرفع عليان فخذه وضرط ضرطة مزعجة وقال له خذ ذا بذاك
ونحن نجرب دوائك فان عافانا الله بذلك حمدناه وزدناك فخجل بختيشوع وضحك
المامون حتى استلقى على قربوص سرجه (ويذكر هذا المعنى) تذكرت ما اتفق لبعض
الاطباء انه جلس فى بعض الاسواق ينظر فى امراض الناس فاتى اليه رجل لطيف
الذات من ابناء النعم وذوى الرفاهية وجلس بين يديه ومد يده اليه وقال له

انظر ما بي فجس بطنه وقال له ما اكلت اليوم فقال يسيرا من الفول الحار على الفطور فقال
له خذ لك يسيرا من الزبيب والسنامكي ويسيرا من السكر واستعمل ذلك فان فيه الشفا
ثم قام من عنده واذا برجل من اهل الريف كانه في الشكل هبل وسادية من فوق الجبل
اقبل على ذلك الطبيب وهو ينفخ نفخ الدبيب وقال له انظر ما بي من المرض بلطف فانا
احس في بطني بضعف وقدم له يدا كانها خشبة وساعدا كانه خطبة فجس الطبيب
يده وقال له ما الذي دهاك وما اكلت اليوم في فطورك وغداك فقال له
انا احكي لك وحق تربة ابو طبله وتربة معيكة ابن ابو جعبر امرانا لما قمت
من النوم لقيت امراتي ام معيكة حاطا بوشة بيسار كبيرة وكنت اسحب العيش
ولهطت منها مترد مترد مترددين قل ثلاثة فقال الطبيب وغير ذلك فقال ورحت
لجارتنا ام دعموم لقيت عندها فول مدمس كلت منه مترد مترددين قل ثلاثة
قال الطبيب نعم وغير ذلك فقال وسرحت الغيط وعند الحاج عنطوز غيط
فول كلت شمال قل شمالين او ثلاثة ورحت من الغيط عند مشد الكفر
فلقيت عنده كشك لهطت منه مترددين قل ثلاثة ورايت عند ناس في الحارة
رعزموني ودخلت عندهم طبخوا طبيخ كثير كلت من ذاك الطعام مترددين قل
ثلاثة ورايت عند ناخيار اصفر كلت كوم كومين قل ثلاثة وجيتك تنضر حالي
فاني باحس في بطني ضعف (فقال له الطبيب) خذ لك من الزبيب قنطار قنطارين
قل ثلاثة ومن السنامكي كذلك ومن السكر كذلك فقال له انا سمعتك بتوصف للي
جالك قبلي شي قليل من السنامكي والسكر والزبيب وتوصف لي قناطير فقال له
يا مخس الفلاحين وهل يصلح هذه الاكلات الا هذه القناطير وهذه الشربات
ثم اخذ خرجه على كتفه وحلف انه لا يجلس بقية يومه في السوق من اجل هذا الفلاح
فانجلى المقال عن معنى هذه الاحوال واتضحت العبارات عن هذه الخرافات
(ثم ان الناظم) لما فرغ من ذكر هذا الطعام تشوق الى شيء اغلظ منه لانه
مستعمل عند اهل الريف في غالب ما كولهم فقال

ص ولا شاقني الا المدمس ودحتو على من حقه حفنه بنص رغيف

ش (وقوله) ولا شاقني من الشوق وهو رقة القلب وميله للمحبوب قال السيدي
عمر بن الفارض (ولولاكم ما شاقني ذكر منزلي) وشاق على وزن فاق وهو صوت
الاوز ومصدره شاق يشوق شوقا مثل فاق يفوق فوقا والمعنى انه يقول
ما اكثر شوقي وزاد هيامي الى شيء من جميع الماكولات (الا المدمس) ما خوذ
من المدمس لقوله يدمس في النار كما سياتي ومصدره دمس يدمس تدميسا
فهو دامس ومدموس وهو نوعان ريفي وحضري وان كان الاصل واحدا وهو

الفول لان الشيء يشرف بشرف الاماكن تارة وبالصناعة الجيدة اخرى
(واما الحضري) وهو ما يباع في مصر وغيرها من المدن فانهم ياخذون الفول النقي
الابيض ويتركون منه الردئ ويضعونه في قدر كبار واسعة البطون ضيقة
الافواه بقدر ما تسع يد الرجل عند ما يتناولونه منها ثم يصبون عليه ما يغمره من الماء
الحلو الرايق ويسدون فم القدرة بشيء من الليف النظيف او اناء طاهر سدا محكما
ويدمسونه في نار قوية خالية عن الادخنة والروايح الكريهة مثل جورة القران
ونحوها ويتعهدونه بالسقي كلما نشف ليلة كاملة حتى يطيب ويعتدل وتزكو
رائحته ويصير في غاية من حسن الاستوا يشبه في لونه الذهب وفي استوائه
الحلوى مثلا بحيث كل من رآه يشتهيه فاذا ارادوا اكله اشترى الشخص ما يكفيه
واضافوا اليه السمن البقري او الزيت الطيب وقشطة اللبن وبعض الخبز الابيض
النظيف وربما كان مصحوبا بالكرات الاخضر والليمون او الخل فمن هذا يصير
غذاء جيدا تكتسب منه الاعضاء وتمتلئ به المعدة ويصلح قليل من الصحة
خصوصا اذا شرب القهوة بعد ذلك فيكتفي الشخص به عن غيره من الصباح
الى المساء (واما النوع الريفي) وهو مدمس اهل الريف الذي اشتاقه الناظم
فلا اراك الله مكروها اذ كنت ما ذقت الخرا فكل منه فانهم ياخذون الفول
ان كان جيدا او ردئيا على سائر اوصافه وربما اخذته زوجة الفلاح من
مدود البقرة او الثور ونفضت ما عليه من اثار التبن ووضعته في اناء يقال له
البوشة وغمرته بماء كدر متغير الرائحة من ماء البرك او من مقاطع النيل
التي تبقى ببلادهم وتسد فم البوشة بساس الكتان او بخرقة فيها الدناسة
وتضعها في محماة الفرن الملآنة من الدمس والجلة وربما وضعت ذلك عليها نيفا
وتسد عليها باب المحماة المذكورة الى الصباح ثم انها تخرجها وقد امتزج الفول
بروايح الزبل والجلة وذلك الماء المتغير واسود وصار مثل زبل الغنم
وظهرت له رائحة كريهة ثم تاتي بالمترد وتهز البوشة وتفرغ الفول فيه فيجلس
الشخص منهم مثل الكلب الكاسر وتاتيه بخبز الذرة اليابس وخبز الشعير
ويقطع ويبلع حتى تمتلئ بطنه فاذا اكلت منه فكانك تاكل من زبل الغنم
مثلا ومنهم من ياكله بالكرات او البصل وربما اضافوا عليه شيئا من الملح
او الحمص والاكابر منهم يجعلون عليه شيئا يسيرا من الزيت الحار ومنهم من لا يكون
عنده خبز فيسف منه عند الصباح من غير صلاة ولا غسل وجه الى ان
يكتفي ثم يشرب فوقه الماء حتى يصير كالزق المنفوخ ويسحب النبوت
ويخرج مثل النعوت فهذا مدمسهم وصفته ما ذكر لهم اراحنا الله

من ذلك وقوله (وبحقق) اصله وراتخه حذفت الهمزة للضرورة او جريا على اللغة
الريفية اى شاقنى راتخه الممتزجة بالروائح المتقدمة التى تهاعندى اذا اشتهيته
فاشتاق اليها والى الاكل من الفول ولكن لا اجد ذلك لشدة فقرى والريحة مشتقة
من الريح او من الروائح او من ابو رياح الذى تلعب به الصبيان او من الراح وهو من
اسماء الخمرة (قال الشاعر)

فالراح كالريح ان مرت على عطر * تزكو وتخبث اذ مرت على الجيف

اومن قولهم موالبا

ايش قلت ياصاحبى فى رايحه جيه
من تحت حيطه وهى ميته حيه
وقاعده واقفه على الارض مرميه
وجائزه راقده فوق حيطه مبنيه

وهى المعدية على حد قول بعضهم

المعديه رايحه جيه * تنسحب بالخيط
يا ابو جبه * الا انا زليت

ثم ان الناظم لما ذكر اشتياقه الى المدمس وراتخه وان من لازم ذلك الاكل منه
لان النظر والشم لا يقوم مقام الاكل والمضغ فتمنى ذلك وقال (على) هذا من
حروف الجر لانه وقع هنا فعلا والمعنى على واد تفتح قدره (من حتى جفنه) او على
جسمه وقوى جنانه وشبع جوفه واشتهر بالقوة بعد الجوع (قال الشاعر)

على زيد نا يوم اللقا زيد كم * با بيض ماضى الشفرتين يمانى

اويكون حرف الجر على بابه ويكون المعنى على كل حال من جاء يته اى حصلت له
جفنه ملآنه من هذا الفول المدمس ولو كانت هدية او صدقة وحصل له معها
(نص رغيف) حذفت الفاء من نصف جريا على اللغة الريفية كقولهم نص قصر او من
قبيل الاكتفاء او من جهة الترخيم كقوله (افاطم مهلا بعد هذا التدلل) فكون
يوم ابرك الايام واسرها ان حصل له هذا الامر وطلبه نص رغيف ولم يطلب
رغيفا كاملا فيه اشارة الى ان الفول المدمس هاضم لطبيعته فلا يحتاج الى خبز
كثير فكون نصف رغيف كاف له مع كثرة الاكل من نفس الفول من غير خبز مثلا
او من باب سد الجوعة والجفنة اناء كبير معد لوضع الطعام (قال بعضهم)
يصف قوما بكثرة الاكل واتساع البطن

كل بيلف بطنه خابيه * واذا صفقة كانت خابيه

(وفى نسخة اخرى) بالحاء المهملة اى حفنة من الفول المدمس والحفنة ملا الكف

الاسنان مع انضمام الاصابع بعضها لبعض لكنها بالجيم المعجمة اولى وبابه جفنة وجفنة
للماس المصحف وهي مشتقة من جفن العين لكونها حافظة للطعام كما ان الجفن حافظ
للعين ولما وضع فيها من الكحل وغيره فيسرى في اجفانها وتطبق عليه وتحفظه
حتى تؤثر في قوة النظر وكمال حسن الخلقة بذلك (قال الشاعر)

اقول لمقلتيه حين نامت * وكحل العين في الاجفان سارى
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار

ومصدره جفن يجفن جفنة (ثم ان الناظم) تمنى ماكولا آخر من غالب ماكول
قريته اغلظ طبعا من المدمس فقال

ص علي من رأى البيسار في الجرن جالو * ويدعس ولو كان بالفلج ضعيف

ش قوله (علي) تقدم معناه في البيت الذي قبله (من رأى) رؤية بصرية
(البيسار) وهو نوعان ريفي وحضري كما تقدم في غيره (فالريفي) مركب
من شيئين الملوخية الناشفة والفول المدشوش لاغير وكيفية طبخه عند اهل
الريف انهم يضعوا في البوشة الملوخية الناشفة وشيا من الفول المدشوش
ويغمرونه بالماء ويضعون البوشة في الفرن الاقرب الاستواء فيخرجونها ويتركونها
بالمغراك الى ان يأخذ ما فيها قواما وينهري الفول وتفوح رائحته فيصبونها
في الفرنية سيما اذا احتاج الحال الى ذلك ويزيدونها ماء اذا لزمها حتى يستوي
ثم يقلون له بشي يسير من الشيرج او الزيت الحار بالبصل ويغرفونه في شالية
او مترد ويفتون فيه الخبز الشعير او فطير الاذرة حتى يصير مثل الكرسوع ويأكلونه
بالبصل الاخضر او الناشف فيأكل الشخص منهم المترد الفت او المتردين في الغداء
والمتردين في العشاء ويسحب نوبة وحده وتنزلط قفاه ويسرح بالبهائم
والغنم والحمار وهذا غالب ماكولهم خصوصا في رمضان وقت الفطور والسحور
حتى يصير الشخص منهم كانه زق منفوخ كما تقدم ثم ينام على الفرن بالجلة والوحل على حصير
هو وزوجته وهما من غير صلاة ولا عبادة فتخرج الروائح في بطونهما وتخرج من بينهما
مثل الزوابع فيكون هذا بخورها طول ليلتهما فلا يقوم الشخص منهم الا وجبته قد فاحت
رائحتها من كثرة الفساء فيها والضراط وان جامع زوجته تلك الليلة فيكون حظهم
ضراط وعياط وشياط فهذا حالهم في الاكل والنكاح نعوذ بالله من طباع الفلاح
(واما النوع الحضري) فما الذه واشهاه وما اطيبه واهناه وهو ان الشخص من اكابر مصر
او غيرها من المدن التي تجلب اليها الملوخية وتزرع فيها اذا اشتهى اكلها فعلى اصناف
منهم من يأخذها ناشفة نقية من العيدان قريبة العهد من زمن تنشيفها او ربما نشفها
في بلده ويسلمها لمن يتقن طبخها من زوجته او خادم فتضعها في دست نحاس

مبيضة والمجمرة رومية عليها غطاء محكم وتضع عليها الماء العذب الزلال الرائق ويقاد
عليها بالحطب الرومي حتى تاخذ قوامها في الاستواء ثم تفركها فركا لطيفا ثم تقليها بالثوم
الشامي والبلدي ممزوجا بالسمن البقري وتضيف اليه دهن اللية وتلقي عليها شيأ من
البهارات كالقلقل وما اشبهه وشيأ من الكمون لدفع ضررها ومنهم من يضيف اليها
شيأ يسيرا من الفول المدشوش ولكن يزيد في الدهن والسمن حتى يستهلك طعم الفول
ويغلب طعم الدهن والسمن والبهارات ونحو ذلك ومنهم من يجعل مكان الفول صغار الكباب
من لحم الضان ويسمى هذا النوع بجمع الحبائب والاصحاب (ونوع آخر) وهو انها اى
الملوخية تؤخذ وهي خضراء نضرة بنت يومها وتخرط خرطا جيدا وبعض ابناء الزراد
يفعلها من غير خرط فيصير لها لذة عظيمة وبعضهم يحشيها باللحم ويسمى هذا النوع
ملين الطبائع لما فيه من البرودة ولطافة المأكل وسرعة الانهضام وحصول الخفة
في الجسد (ونوع آخر) وهو الذ واشهى مما تقدم واقوى نفعا واعظم ماكولا وهو
اخذ الملوخية وهي صغيرة في ابتداء طلوعها وخرطها جيدا وطبخها بالفراريج
والاوز مع كثرة الادهان او بلحم الضان واهل مصر يرغبون في هذا النوع
ويفعلونه كثيرا حتى ان الشخص منهم ينفق على طعام الملوخية في ابتداء امرها جملة
من الدراهم ويدعوا عز اصحابه ياكلونها وتكون عندهم الذ من طعام الاعياد ويتحدثون
بهذه النعمة ويقولون عزمني فلان واطعمني الليلة الملوخية الجديدة بركة السنة
وربما اكلوها بالخبز النظيف المقطف المقمر المخبوز بالحبة السوداء او الشمر فيغمسونه فيها
حتى تتشرب بتلك الدسومات العظيمة وروائح تلك اللحوم السمينة وهذا من جودة
رايهم وذكاء عقولهم وحبهم في الشيء عند ابتداء طلوعه كما يقال (لكل جديد له لذة
ولكل قديم له هجران) (ويقرب من هذا المعنى) قول ابن عروس في ديوانه

اول زمانك يعزوك * غالي وقع في يد غالي
واذ دبت يا شاش ترموك * واللي جرى لك جرى لي

(فانا الشيء) في ابتداء طلوعه له لذة عظيمة وفرحة عند العيال (ونوع آخر) يسمى
بورانى وهو انه تقطف اوراق الملوخية ثم يقلونها بالسمن ثم يفعلون بها كما مر وهذا
ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله به انه يستحب لاكل من الشيء عند ابتدائه
اى ابتداء طلوعه مثل الخضروات وغيرها من الفواكه فان نفعه في ابتدائه اى ابتداء
اكثر من نفعه في انتهائه واهل مصر على هذا القدم يسعون في اخذ الشيء في ابتدائه ولا
يلتفتون له في انتهائه جزاهم الله خيرا عن مروءتهم وادام سرورهم بنسائهم وطيب معاشرتهم
وامالنا الله من الريف وجهله وغلظ ماكوله وطباع اهله (سؤال) ما الحكمة في تسمية
الملوخية بالفول بيسارا وما الحكمة في تسميتها ملوخية وما اشتقاقها وما معنى ذلك

الجواب

(الجواب الفشروي) على وجهين (الاول) ان الذي اخترع البيسار في الاصل كان ابوه فلاحا يزرع الملوخيا وكان بينه وبين ولده مشاحنة فذهب ذلك الرجل الى غيط ابيه المذكور وسرق شيأ من تلك الملوخية واتى به الى زوجته فقالت له ما تريد بهذا فقال لها قصدي اصنعه طعاما ثم اخذ ورقها ووضعه في بوشة وجعلها على النار فجاء ولده الصغير والقى في البوشة شيأ من الفول المدشوش اخذه من مدود الحمارة فامتزجت الملوخية بالفول ثم اخذ البوشة بعد استواء ما فيها وغرفه في مترد وجلس ياكل منها فدخل ابوه وقال له ما هذا الشيء الاخضر ودلس عليه القول وقال له هذا حشيش جئنا به من الغيط ثم بان الامر انه سرق الملوخية من غيط ابيه فتضارب هو وابيه وحلف ابوه انه لا يمكث في البلد وركب حماره وسار الى بلد اخرى فسار ابنه ينادي ابي سار ابي سار فحذفوا الالف من ابي وجعلوا هذا اللفظ المركب من اسم وفعل علما على هذا الطعام وقالوا بيسار (وافادني) بعض اخواننا رحمه الله تعالى وجها اخر وهو انه لما وضع فيها الفول نادى لسان حاله بيسار اي سار طعمي بهذا الفول طيبا والوجه الثالث انه مركب من البسر او من البسارة من قولهم في معنى ذلك

سعيد كانت مزاره * واحب طبيخ البيساره

(واما) الملوخيا فقد عرفها ابن سودون رحمه الله تعالى بهذا اللفظ الموضوع عليها في ديوانه بقوله في هذا المعنى ابو قردان زرع فدان ملوخيا وبادنجان ان هذا الاسم نبات اخضر انضر واصله يا ملوخيا فاخروا حرف النداء وابو قردان اول من سماها بذلك على ما قيل وسبب ذلك انه لما زرعه في فدانه وصلح للطبيخ ملخ منه شيأ وتركه في مكانه وذهب لبعض لشانه فجاء بعض اولاده واخذه فلما رجع لم يجده فنادى بحذف حرف النداء لظن قربه منه وقال ملوخي فلم يجبه بشيء فاتى بحرف النداء وقيل ان يقول ملوخي اتاه ولده واعلمه باخذه فادخل على قوله ملوخي ياء وادغمت الياء في الياء فصارت ملوخيا انتهى وتلقب بالخضيرة وتكنى بام الادهان وام الافراح وليس في الاطعمة الطف منها ولا اكثر نفعا وقد صنف بعض العلماء في منافعها كتابا جليلا واما نهى الحاكم بامر الله عنها فقيل لسيدنا معاوية رضي الله تعالى عنه اليها لانها كانت احب الاطعمة اليه خصوصا عند ابتداء طلوعها وقوله (في الجرن) وهو محل دريس الغلة والقمح ويطلق على الحجر المنقور الذي يدق فيه البن القهوة يقال جرن اليوم فلان زرعه بمعنى انه نقله من الغيط ووضعه في هذا المحل على بعضه كالكرم وصار ياخذ من حواليه شيأ بعد شيء ويدرسه بالنورج وهذا الماخوذ يقال له عند الفلاح دمية وقيل اصل الجرن الجرم بالميم بدل النون ماخوذ من جرم اللحم وهو اخذه بالسكين من على العظم ابدلت الميم نونا لقربها في المخرج والمناسبة لهذا المعنى ان النورج يجرم القمح او الفول

او ما التجى اليه من الجوب ويخلصه مثل ما تخلص السكين اللحم من عظمه ويطلق هذا اللفظ
على الجرم الذى يعمل من الخوص وقوله (جا الوا) بالتخفيف اى جاء اليه والضمير يرجع للبيسار
اى من رأى البيسار جاء اليه وهو فى الجرن يدرس القمح وهو راكب النورج او وهو يجرش
لانه يكون فى هذه الحالة فى غاية التعب والجوع ولهذا قال (يدعس) اى يأكل بحرقة
وعجلة من غير تأنى فى المضغ والبلع والمدعس لفظة ريفية استعملت بهذا المعنى
ومصدرها دعس يدعس دعسا فهو داعس لان الاكل المطلوب تصغير اللقمة وتطويل
المضغة وفى المثل صغر لقمتك وطول مضغتك يبارك الله لك فى اكلتك (قلت) انما
وهى الناظم نسب المجئ للبيسار وهو طعام والطعام لا يمكن مجيئه بنفسه ولا يتأتى
ذلك فى الحكم (الجواب الفشروى) ان هذا على تقدير حذف مضاف اى جاء به
رجل حامله حتى اوصله كما يقال جاءت السفينة مثلا اى جاء بها الملاح وكما
تقول جاءنى مترد لبن وطاجن مشى وصحن عدس وكشك مثلا فعلى هذا
الاشكال فى كلام الناظم وقوله (ولو كان) اى هذا المتمنى لهذا الطعام الذى هو
الناظم بمرض (القلنج ضعيف) واصله قولنج بضم القاف وجزم الواو اى سقيم
والقلنج ريح يابسة تمنع البخارات تجرى فى الاعضاء فيكلّ الانسان عند هيجانها
وتمنه الشم حتى تكاد تخرج روحه فمنها حار ومنها بارد فعلامة الحار هيجان العلة
عند ملاقاة الحر الشديد والانتباه من النوم وعلاجه اكل الصبر الاخضر على
الريق دائما فانه يقطع هذه العلة من الجوف ويحللها وعلامة البارد هيجان
العلة عند ملاقاة البرد الشديد والغيم والامطار والارياح السارية ونحو ذلك
وعلاجه ان يأخذ صبر سقطرى وحب الرشاد وفلفل وزنجبيل يابس يجزئه
حتا وتروقدر الجميع سكر ابيض ويدق دقا جيدا حتى يصير ناعما ويجعله سفوفا
يفطر عليه على الريق وعند هيجان العلة فهو نافع ويجتنب صاحب هذه العلة
الحارة اكل الاشياء الحارة وصاحب العلة الباردة اكل الاشياء الباردة خصوصا
عند هيجان العلة فانه نافع ان شاء الله تعالى والمعنى ان الناظم لشدة فقره
وجوعه وعدم شئ يصنع به هذا الطعام تمنى مجيئه اليه ويشبع منه ولو كان عليلا
بمرض القولنج ولو كان فى اكله زيادة ضرر عليه اذ هو من الاطعمة الرديئة
الغليظة خصوصا اذا استعمله صاحب هذا المرض فانه يؤذيه اذية بالغة
(فان قيل) لاى شئ ذكر هذا الناظم هذا المرض دون غيره وما سبب معرفته له
مع انه من اهل الريف وما اشتقاق اسمه (الجواب الفشروى) انه انما ذكر هذا المرض
لكونه اريحا منعقدة فيكون من باب المبالغة فى الشئ والبيسار يضر صاحب
الارياح ضررا بالغا خصوصا اذا اكل بالبصل الاخضر او الناشف فمنه الابطن

ارياحا ويكثر فيها الفساد والضراط فيكون مرضا على مرضه وهي ذلك لشدة جوعه ولو كان يحصل له هذا الامر يموت في الحال واما سبب معرفته له فلعله سمعه من بعض الاطباء وهو يصفه او سمعه من غيرهم واما اشتقاق اسمه فلعله من الفوق او الفوقة وهي طائر قدر الحمامة كبير الراس ويقال لها البومة تاوي الى المكان الخرب وفي المثل (اتبع البوم يؤديك الخراب) وقد يشبه الشيب ببياضها كما يشبه سواد الشعر بالغراب الاسود ومن هذا المعنى قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

ايا بومة قد عششت فوق هامتي * على الراس مني حين طار غرابها
رايت ذهاب العمر مني فزرتني * وماواك من كل الديار خرابها

(وتذكر البومة) التي تاوي الخراب تذكرت ما اتفق لبعض الملوك انه ظلم رعيته ظلما فاحشا وكان له وزير فشكا الناس اليه وتضرروا من ظلمه فاراد ان يحتال عليه ويمنعه عن الظلم ويرشده الى العدل فخرج هو واياه يوما يريد التنزه خارج المدينة الى ان مرا على اماكن خربة فسمع الملك ذكر بوم يصيح على بومة فقال للوزير ما احسن صياح هذا الطائر على هذه البومة فقال الوزير يا ملك اتدري ما يقول لها فقال لا وهل تعرف يا وزير لغة الطيور قال نعم فقال الملك ما يقول لها فقال يا ملك هذا عاشق لها وموصوف بحبها ويقول لها يا سيدة الطيور وبغية الاحباب مرادي وصالك والتقرب اليك في الحلال فقالت له لا تقدر على صداقي ولو اسعفتك بحبي واشتياقي فقال لها وما صداقك فقالت عشر مدائن خراب فقال لها اشتري فان دام ملكنا هذا على حالته مع الرعية الى آخر العام خربت لك مائة مدينة خراب ففطن الملك لكلام الوزير وعلم انه في غفلة عن الرعية وانه في ظلم وبلية وانه نصحه وارشده بالعدل على لسان الطير فقال له جزاك الله خيرا ثم انه اظهر العدل في الرعية وازال عنهم ما هم فيه من المظالم وعدهم من وقته وساعته وارتاح الناس من تعب حالتهم ثم ان الناظم اشتاق الى ماكول الخبز يصنع في الريف وغيره فقال

ص علي من قشع خبز المليلة ملانة ولو كانت بالاقلفاس ياد نديف

ش (قوله) علي من قشع اي نظر بلغة الريافة يقال قشعك اعدائك وقشعتهم اي رايته ويطلق على مسك الشيء يقال قشع السحاب اي مال وانكشف الى محل آخر (ومن العجائب) انه شخص اسمه هذه اللفظة حسن طائر في بعض البساتين بنواحي الشام وذلك انه دخل يوما يتفرج في بستان وياكل مما اسقطته الاشجار من الفواكه فسمع قائلا يقول

شغلته فشغلته دوح فخرج هاربا وظن ان صاحب البستان يصيح عليه فلقيه رجل
وهو خارج من البستان فقال له ما العجلة فقال سمعت انسانا يقول لى كذا وكذا
قال فضحك الرجل وقال له ارجع وكل ما تشتهيه ولا تخش من احد هذا طائر وليس
با انسان وهذه لغته يخوف بها من يدخل البستان فتعجب الرجل ودخل واكل حتى
اكتفى ومضى الى حال سبيله (وقد سمعت) وانا متوجه الى الحج فى البحر من الصعيد
على بندر القصير سنة خمس وسبعين والف طائرا فى غيط فجل يقول طابت فتوح
البرسيمان القديم الاول وسمعه كل من فى السفينة (وذكر الحلبى) فى السيرة
النبوية ان غرابا كان يحفظ سورة السجدة فاذا سجد قال سجد لك سوادى
وآمن بك فؤادى (ومن العجائب) انه اهدى لبعض الملوك طائر له اربعة اجنحة
على شكل ظريف فاذا جاء وقت صلاة الفجر ذكر الله تعالى بلسان فصيح ثم يقف
على راس الملك ويقول الصلاة خير من النوم مرتين ثم يصلى على النبى صلى الله
عليه وسلم ويسكت ومثل هذا كثير فسبحان الله القادر على كل شئ وان من شئ
الا يسبح بحمده وقوله (جفنه) تقدم معناها (بليله) اسم للقمح المسلوق
المضاف اليه بعض الحمص وهذا يباع ايضا ببلاد المدن وله لذة ولذته من
اضافة الملح والحمص عليه فانه يعدل طبعه والحمص ازكى الطعام كما ذكره بعض المفسرين
فى تفسير سورة الكهف واما البليلة المذكورة فى النظم فان اهل الريف يصنعونها
طعاما وهو انهم يضعوا القمح فى البوشة الفخار وربما اضافوا عليه ما تيسر من
الحمص ويغمرونه بالماء ويجعلونه فى النار الى ان يستوى فياخذونه وياكلونه بخبز
الادرا والشعير وياكلونه بغير خبز لانهم يجعلونه يابسا يقطع منه
الشخص بالكف ويبلع ويقلون له بالبصل وشئ من الشيرج والاكابر منهم
يجعلون فيه بعض قلقاس وتسمى بليلة لبلها بالماء فى حال سلقها او لرخاوتها
وطراوتها ولهذا يقال للرجل الهايف المرخى الاكمام البارد القلب بليلة
لعدم اكتسابه وقلة بركته وبليلة على وزن هبيلة او عويلة ومصدرها
بل يبل بليلا وقوله (ملانه) راجع للجفنة (ولو كانت) البليلة التى هى للجفنة
(بلا قلقاس) اى فلا حاجة له به انما مراده شئ يسد الجوعة يقال له طعام
والقلقاس من ماكولات فصل الشتاء وهو الذى ما يؤكل فى هذا الفصل لانه حار
يابس مناسب لبرودة الزمن خصوصا فى ابتداء ظهوره اذا اكل باللحم الضانى
واضيف اليه السمن مع الخضراوات ونحو ذلك فانه يعتدل ويصير له لذة
عظيمة فى المأكل وتذهب حرارته ويعتدل طبعه ولجوده الرؤس الآتى وكذلك
الصوابع وهى الرفيعة التى تشبه اصابع الادمى لان ذلك كله سريع الاستواء

وارداه الاحمر لكونه بطئ الهضم بطئ الاستواء واذا اكل الفلقاس مشويا منع الم الكبد وسكن ضربان البواسير واكله نيئا اليس فيه فائدة ولامنفعة (فائدة) اربع قافات تستعمل في فصل الشتاء وهي القلقاس والقشطة والقصب والقسطل وسمي قلقاسا الاشتقاقه من القلقسة لانه يشبه الطين المقلقس اي اليابس لانه اذا اقلع من ارضه يكون مثل قطع الطين المقلقسة وهو مركب من فعلين ماض وامر قال بعضهم

فان سالوك عن قلبي وما قاسا * فقل قاسا وقل قاسا وقل قاسا

ثم ان الناظم لما اشتوق للقصعة ملانة من اي طعام كان فقال

ص علي من جتو قصعه وهو بحرت * ويقعد يحرف للحنك تحريف

ش (قوله علي من جتو) اصله جاءته (قصعة) اي جاء بها واحد من الناس لا هي بنفسها كما تقدم فالضمير راجع الى المحذوف والقصعة اناء من الخشب مد ورمعد للطعا وغيره واما الذي على شكل الحوض فيقال له منسف وسميت قصعة لان الشخص اذا جلس ياكل منها يقصع ظهره اي ينحني وياكل فيكون من باب تسمية الشئ باسم صفة الاكل منه اومن قصع القملة والبراغيث (وقوله وهو) بضم الهاء وتشديد الواو لضرورة النظم وجريا على لغة الريف وقوله (بحرت) على وزن يضرط فيها بيقين اي بوقت الحرث من اي طعام كان من عدس او بيسار اوغير ذلك (ويقعد) تعدت حيعان تمانه مما قاسا من مشقة الحرث وغيره (ويحرف) اويغرف اي يكون كفه حكم المحرفة التي تحرف الشئ (للحنك) من التحنيك على وزن التحكك اوالتدكدك ويطلق على الفك الاعلا والفك الاسفل من الانسان ويطلق على الفم والفاه ايضا يقال فتح فمه وفتح فاه (قال صاحب البديعية رحمه الله تعالى)

فمي يحدث عن سري فما نطقت * سرائر القلب لا من حديث فمي

وقوله (تحريف) اصله بالالف لانه مصدر وسكن لاجل الروي اي يحرف للحنك الذي هو فمه تحريفا زائدا متتابعا بسرعة وعجلة حتى يكتفي ويشبع الشبع المفرط لما ناله من الم الجوع الشديد وشدة التعب المزيد وكثرة المشقة فيقضي مراده وينشرح صدره ويقوى جنانه على الحرث وغيره (ثم ان الناظم) لما اشتهى ماكولا آخر خارجا عن الطعام المطبوخ من ماكول اهل الريف (فقال)

ص علي من دعس بالعزم في المش بالبصل * ولو كان بالكرات كان ضريف

ش قوله (علي من دعس) تقدم معناه (بالعزم) اي بالقوة والشدة لان العزم على الشئ هو الاقدام عليه بجراءة وشدة يقال فلان صاحب عزم شديد اي قوة زائدة (في المش) اي مش الجبن القريش الازرق الذي مضى عليه زمان مستطيل حتى صار يقطع ذنب الفار من شدة حرارته وقوة ملوحته

لان هذا غالب ماكول اهل الريف فى الغداء وربما اكلوه فى العشاء ايضا فاتى الشخص
منهم بالمترد المش والخبز الشعير اليابس والبصل الاخضر او الناشف ويأكل حتى
تدمع عيناه من حرارة ذلك المش ورائحة ذلك البصل ويشرب عليه الماء ويسرح الغيط
او يحرث او يدرس . والاكابر منهم تضع عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار وتعصر عليه
الليمون خصوصا بالبصل المخروط فانه الذ من اكله بغيره وبعضهم يأكله بالكراث
ابو شوشه فيكون اقوى فى جميع الارياح خصوصا اذا كان فى ذويرة ضيقة
فان الفساء يتراكم فيها حتى يملأها من اولها الى آخرها (والمش) على اقسام
مش حصير وتقدم معناه ومش نجيرة وهو المستعمل فى بلاد المدن ولم فكاهة
ولذة ويقال له مش جبن حصير ومش جبن قريش وهو مش الريافة المتقدم ذكره
ويقال مش جبن النور والمش على وزن الوش بلغة الريافة فان الشخص اذا شتم
آخر يقول له ردم اهلم وشك) مثلا وهو مشتق من المشش وهو داء يعترى
الخيل والحمير يقال له (جاك المشش) اى ابلاك الله به والاول الذى هو
المش الحصير ينفع من الجرب شربا والثانى ينفع السدد ويقوى المعدة والثالث
ليس به نفع بل هو محض ضرر لا غير او انه مشتق من المشى لانه اذا اصيب على الارض
صار يمشى عليها ان لم يسبح فيها (والبصل) حار يابس وقيل رطب يمنع البلغم الا انه
يضر الشقيقة وصداع الرأس ويولد ارياحا ويظلم البصر وكثرة اكله تورث
النسيان ويفسد العقل (واما منافعه) فانه يطرد الوباء وينفع من تغيير
المياه ويفتح الشهوة ويهيج الباه ويزيد فى المنى ويحسن اللون واذا سحق
وعجن بالعسل ووضع على الكلف الغليظ والقوابى والبهق الاسود نفع من ذلك
واذا دق ناعما وطلى به موضع الشعر نفع داء الثعلب وهو معط شعر الرأس والاكتحال
بمائه يذهب الغشاوة ويصلحه الخل واللبن اذا اكل به (ولو كان بالكراث كان ضرر نيف)
اى لانه حار لين يهيج المعاة والدم الا انه مثل البصل فى ظلمة البصر وتولد الارياح
كما تقدم لكنه يشد العصب وينفع البواسير ويصلحه الاكل بالشيرج واكل
البصل والثوم والكراث نيئا مكروه لداخل المسجد ان لم تزل رائحته (فائدة)
رايت فى بعض الكتب ان جميع البقول نزلت فى مائدة سيدنا عيسى عليه الصلاة
والسلام الا الكراث (واما بصل) العنصل فله خواص جيدة مذكورة فى
الطب ومن العجائب ان الذئب اذا وطئه مات لوقته ولهذا ان الثعلب اذا خاف
على نفسه من الذئب يأتى بالبصلة منها ويضعها على باب جحره واذا رآها
الذئب اوشمها هرب ولم يأت اليه فتكون وقاية له فسبحان من الهم هذه

الحكمة وقوله (ضربيب) اصله ضطربيب بالطاء المثناة لا بالضاد المعجمة اتى بهذا اللفظ
جريا على اللغة الريفية اى كان فيه الطراوة بمعنى انه يكون اخف ضررا من البصل
وان كان اقوى اربابيا فانه اعظم شهوة والذ اكلا فلا بأس به اذا احضر فيكون
هو المراد (ثم ان الناظم) اشتهى شيئا من الالبان يشربه (فقال)

ص على من شرب مترد ملآن مطنبر * من اللبن الحامض مرق رغيف

ش قوله (على من شرب) الشرب هو مجاوزة الماء وغيره من المائعات الفم الى داخل
الجوف فهو كالاكل قال الله تعالى فكلوا واشربوا وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا
لا ما وضعه الانسان في فمه واخرجه كالدخان المستعمل الآن فلا يسمى شربا حقيقة
بل من باب المجاز وقوله (مترد) وهو اناء من فخار احمر اصفر من التالية وهو غالب
اوانى الريافة خصوصا في اعراسهم واصله مركب من فعلين مات ورد لانه لما عمل
مترد وهو على وزن مفعلل لا مسند فمعنى اللبن الذى داخله لا نفس المترد لانه
ظرف للحواه فلا يتصور شرب المترد بعينه وقيل سمى بهذا الاسم لتردد الخبز
فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب تسمية الظرف بمعنى المظروف او انه عمل بمدينة
تسمى ماتريد التى ينسب اليها الشيخ الماتريدى نفعنا الله به وقوله (ملآن)
اى غير ناقص حتى يكون فيه القناعة من جهة الشبع والرؤية لان الناقص ربما
استقله الانسان ولم يقتنع برؤيته فتمنى ان يكون ملآنا وقوله (مطنبر) على وزن
مزنبر او مطرطر يقال كس مزنبر وذب مطرطر اى عالى عن حواشيه لشدة
حموضته ويبسه يقال فلان بطنه مطنبر اى منفوخ ومات واطنبر اى انتفخ
كما يقال دم يطنبر بطنك مثلا اى تموت وتنتفخ ويقال للشد الحجازى المعمول
بالحرير الاصفر والابيض شد مطنبر وعلى قياسه الشد البلدى ولعله وصفه بهذا
اللفظ لكونه اذا اعتم الانسان على راسه صار كبيرا عاليا مطنبرا كما يعلو اللبن
الحامض عن حواف المترد فهو مشتق من الطنبرة وهى التحليك للاولاد الصغار
(قال الشاعر) اذا كنت الاتى وطمعت رقى طنبر مرقه واشتهر بالمشوق
(واصل) هذا الكلام ان شخصا من الفساق ابتدا ولدا واراد ان يضحك لرفقائه لو العيال
فذكر عمات الولد فشنق الرجل فقيل له كلاما كثيرا لم يحضرنى منه غير هذا المطلع او انه
من الطنبورة على وزن العصفورة (قال الشاعر)

ابا عصفورة البستان كم ذا تنتشى * بايديك ورجليك ما فى الارض شى

وقوله (من اللبن الحامض) قيده بالحموضة لعدم وصوله الى اللبن الحليب فلاجل هذا
قال اشتهيه ولو كان حامضا لان غيره معدوم وخصوصا اذا كان فى شدة الحر
فان شربه يسكن عطشه ويروى فؤاده اذا كانت حموضته معتدلة فانه بارد رطب

واما اذا خرج عن الحد في الحموضة فيضر وكلام الناظم يدل على انه انما اشتهى ما خرج عن
حد الحموضة بدليل قوله الآتي يرف رفيف واجود الالبان لبن البقر لانه موافق
لسائر الطبائع والادواء وقوله (يرف رفيف) اي صار من الحموضة الشديدة يرف
كما يرف جناح الطائر بمعنى انه يسمع له غليان وبقبقة تحاكي رف الجناح ويرف على
وزن يسف او يلف ورفيف مصدر حذفت منه الالف كما سبق في نظائره وهو مشتق
من رف الخشب الذي يعمل في البيوت او من الرفرفة التي يعملونها قبل رمضان او لنحو
شعبان من الدجاج او من الاوز وغير ذلك (ثم ان الناظم) تمنى شيأ آخر تستعمله اهل
القرى القريبة من البحر الملح او من البحائر المالحة ونحوها فقال

ص على من جوام الحلول الدارو * ويعزم على اهل البلد ويضيف

ش قوله (على من جوم) اي جاء ترتوا سطة وحضرت اليه ام الحلول وهي حيوان
يكون من داخل المحار الصغير الذي يشبه اللؤلؤ يوجد على ساحل البحر الملح او
جوانب البحار المالحة وله سرعة الحركة فاذا مسه انسان سكن وصار كالحجر حتى يفارقه
وهذا الحيوان منطبق عليه محارتان صغيرتان ولونه ابيض ثخين يشبه لون المني
او المخاط فيأخذونه وينزعونه من هذه المحائر او القواقع ويضعون عليه الملح او الخل
والليمون ويأكلونه وربما اخرجوه وهو طري ولوثوه بالملح واكلوه وهذا اقبح
انواع اكله واردأها واخبثها نعوذ بالله منه ولله الحمد والمنة على عدم الاكل منها
والطبائع السليمة تمجه وتأباه وتعافه الانفس واما طبائع اهل الريف فلا تطالبنا بها
فانها خبيثة ولا تطلب الا الخبيث وله عندهم لذة عظيمة وموقع في نفوسهم
الذميمة فمن له طبع سليم لا يمكن ان يأكل منه ولا يراه لان رؤيته تورث القرف فضلا
عن اكله وكنيته بام الحلول لتواتر الملح والخل والليمون عليه عند الاكل وقوله
(الدارو) اي دار الناظم بمعنى انه لا يتعب في مجيئها بصيد ولا شراء بل يصبح يراها
في داره اتي بها على سبيل الهدية والصدقة وقوله (ويعزم على اهل البلد) اي
يجمعهم لهذا المأكول النفيس الذي يشبه عف الكلاب ويضيفهم في داره اي
يكرمهم به يقال فلان عزم على فلان اي عزم في نيته وجزم في يقينه انه يأخذه
ويكرمه او عزمه بمعنى اذن له ان يأتي الى داره ويكرمه بطعام او غيره (ويضيف)
معطوف على يعزم وهل هو مغاير له لان العزم خلاف الضيافة فيكون قد عزم
بالنية او لا على ان هذا الشخص لابد من حضوره وانه يضاف اليه اي ينتقل الى المحل
الذي يريد اكرامه فيه او المعنى واحد فيكون من اضافة الشيء الى مرادفه ومصدره
ضاف يضيف ضيافة او ضيوفا وسمي الضيف ضيفا لانه ينضاف الى من يكرمه بمعنى
انه يكون هو واياه حكم الكلام المضاف لا ينفك عنه حتى يدخل عليه التنوين

فيفصله

فمفصلة عن الاضافة قال الشاعر كأني تنوين وانت اضافة فحين تراني لا تحل مكانيا
فابحث المعنى القشري عن البحث الهبالي ثم ان الناظم انتقل من تمنيه الى شيء آخر فقال

ص انا ان شفت عندي يوم طاجن مشكشك * فهذاك يوم البسط والتقصيف

ش قوله (انا) يعني ابو شادوف لا غيري (ان شفت) الشوف ضد العمى او من الشوافة بمعنى رايت (عندي يوم) في المنزل او في المحل الذي انا فيه او الغيط او الجرن مثلا (طاجن) اسم لاناء فخار مدور واسع الجوف يطبخ فيه السمك والارز واللحم والطير وغير ذلك ويستعمل في سائر البلاد لكن لا يكون استواء الطعام فيه الا في الفرن لانه مشتق من التطجين او من الطجانة او من وطء الجن لان لفظ طاجن من الالفاظ المعميات بمعنى ان انسانا وطئ جنا اي اسر جماعة من الجن فيكون تركيبه من جملة فعل وفاعل ومفعول والفاعل محذوف تقديره انت اي طأ انت جنا ومثله طائفة اي طأ انفه من الناس وقسم آخر من المعميات غير ما تقدم كقول بعضهم في اسم جاد خذ فارغ واملاه ماء ومن النظم قولي في اسم شحاتة (سلب الناس لالا والف من بعد شح قلت يدعى ته كالا تم معناك بشرح) ولم ار في المعميات ارق من قول بعضهم في اسم احمد وراكعة في ظل بان تعلقت بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر وقوله (مشكشك) على وزن محكك اسم للطعام الذي تمنى رؤيته والاكل منه وهو صلوح الفسيخ ياكلون لحمه وياخذون جلوده فيغسلونها بالماء ويضعونها في طاجن ويخرطون عليها بصلا ويضيفون عليها شيئا يسيرا من الزيت الحار ويدخلونها الفرن حتى تستوي وياكلونها بالخبز وربما وضعوا عليها شيئا من الكسب المذاب بالماء يجعلونه بدل الطحينة وهذا له موقع عظيم عندهم وعند نسائهم كانه خاروف شوي ولهذا قال (فهذاك) بالدال المعجمة جريا على اللغة الريفية كقول بعضهم في هذا المعنى مواليا للاوردتين على الخدين ياهاداك والي بلاني بعشقك آه لو ابلاك وحق من سبحت لو الاملاك لو مات لي كل يوم اخين ما اسلاك وقوله (يوم) اي فهذا اليوم الذي ياتيني فيه الطاجن المشكشك هو يوم (البسط) ضد القبض اي بسط النفس وانشراح الصدر لحصول المنى وتيسير المطلوب وحضور المرغوب فيه وبسط الجوعة وسرور اهل المنزل والجماعة الحاضرين معي وقت مجيئه الي قال الشاعر ان من اطيب اوقاتي حين اكون مبسوطا بذاتي والتقصيف عطفا على البسط مشتق من القصافة يقال فلان اليوم مقصيف بتشديد الصاد المهملة اي مسرور فرح ماش مشية الخيلاء متصرم بسير وسكون يلتحي اطراف البردة تنجر على الارض او انه لبس اليوم قميصا جديدا او ارخى فوقه البردة وهو اليوم مقصيف الكفر بمعنى ان ما هناك احد في الكفر اشلب منه

ولا اعبق او انه مشتق من قصف العود وهو كسره او من قولهم قصف بخبك
او فلان جو قصف مثلا (مسئلة هبالية) لاى شئ سمى هذا الطعام مشكشكا
وما معنى هذا الكلام وهذا اللفظ وما مناسبته لحلود الفسيخ (الجواب الفشروى)
ان يقال ان هذا الطعام لما كان يشبه فى طعمه المش والكشك اذا اختلطا معا ركبوا
اسمه من مجموع الاسمين مع تغيير الحركات وقالوا مشكشك او انه مأخوذ من شكشكة
المرأة انه بعود او بالملعقة عند قرب استوائه لتختبر حاله او من قولهم شكشكه
بالابرة او انه من اللفظ المقلوب وهو شم كشك فيكون الذى اصطنعه اولا
لما طبخه شمه فقال ما شم هذا فقال بعضهم شم كشكا اى شم طعاما رائحته
فى الحموضة كرائحة الكشك ثم انهم قدموا الميم على الشين المعجمة وجعلوها علما
وقالوا مشكشك بفتح الشين الاولى وكسر الثانية وبخزما لكافى فاحمه القاه
عن هذا الهبال ثم ان الناظم اشتهى شيئا آخر من الخضراوات يطبخ ويؤكل عنده او انه هو
الطيب ماكول اهل الريف فقال

ص متى انضر الخبيز فى الدار عندنا * واندفعها بالعويش بذيفه

ش قوله (متى) اى اجزم وانوى انى متى (انضر) بالضاد المعجمة جريا على اللغة
الريفية وبالظاء المشالة على اللغة الفصحى اى انظر بعينى لا باذنى ولا بغمى لان النظر
خاص بالعين قال الشاعر عينى نظرت وانتى من عينى ما يقتلنى الا سواد العين
(الخبيز) بضم الخاء المعجمة وتشديد الموحدة ويجمع الخبيز على خبوز وخبايز وخبازين
وخبازات وهكذا من هذه الجموع المشروبة وثانيه خبيزة وهى المرادة بقول الناظم
لرجوع الضمير اليها كما سياتى فى قوله واندفعها وهى مشتقة من الخبز لان ورقها
فى التدوير تشبه اقراص الخبز وهى تنبت فى اطراف الزرع من كثرة الامطار
وفى الاراضى المنخفضة وغيرها واجودها ما كان ساقه طويلا وورقه عريضا
شديد الخضرة وهو النابت فى جوانب الزرع او النابت بالبذر وارداها قصيرة
الساق المائل ورقها الى الزرقة وهى البعيدة عن الزرع والماء وهى التى تطلع
وتنبت فى المقابر وفى منخفض الارض المسبخة وهى باردة رطبة تلين الطبيعة
وتفتح السدد وتسكن الحرارات وهى قريبة فى اللطف من طعام الملوخية اذا
عملت بالشروط الآتية ثم ان اهل الريف ياخذون ورقها ويخرطونه مثل الملوخية
ويضعون عليه الكزبرة الخضرا ويقلون لها بالبصل والشيرج ويفتون فيها
الخبز الشعير وياكلونها وهى غالب طعامهم مدة اقامتها عندهم ولا يكلفون لها
شيئا ما عدا البصل والشيرج وشئ يسير من الكزبرة كما تقدم فهى غالب ماكولهم
فى زمن الشتاء كما تقدم واهل بلاد البحر يطبخونها بالاوز والدجاج

وغيره واهل المدن يطبخونها باللحم الضأن والدجاج ويضيفون عليها الادهان والسمن البقرى والحرارات ونحو ذلك فلا تؤكل الا بهذه الكيفية فتكون بهذا الحكم خفيفة لذيذة الطعم واما فعل اهل الريافة لها كما تقدم فوجوده كالعدم وكذلك اهل بلاد الجرفانهم ولو عملوها بالدجاج لا يضيفون لها سمنا ولا دسما الا الارز والشيرج لا غيره وعلى كل حال فهى ارق من طعام اهل الريافة المتقدم ذكره والذى ماكولها فى المدن لانهم يتكلفون فى تصييرها فى الماكل لذة ولها خفة فى الهضم ومنفعة عظيمة وقالوا فى الطعام كله (كلف تجده) قيل لما نزل السلطان قايتباى بدمياط واجتمع بالعينى الذى بنى العينية وهى مسجد على سمة مساجد الملوك فعمل للسلطان ضيافة عظيمة وخصه بصحن من الذهب فيه دباجتان ووضعها بين يديه فاكل السلطان منهما فلم ير طول عمره الذ طعاما منهما فقال له من صنع لك هاتين الدباجتين فقال له جارية عندى فقال له هل من سلو عنها فقال هى ومولاها فى خدمة الملك فاهداها له فلما اتى بها الى مصر امرها ان تصنع له دباجتين ففعلت فلم يقعا الموقع ولم يجد لهما لذة مثل اللتين اكلهما فى دمياط فعاتبها الملك فقالت له يا سيدى الذى صنع لك الدباجتين طبخهما فى اناء من ذهب وكان ماؤهما ماء الورد والخلاف والحطب من العود القمارى وحشاها بحرارات كثيرة مع المسك والعنبر الخام وغرفهما فى صحن من الذهب فمن هذا حصل هذا فتعجب الملك رحمه الله تعالى وقوله (وفى الدار عندنا) اى فى دار الناظم لا غيره لانه هو الذى تمناه ولهذا قال عندنا اى فى محلنا لا محل غيرنا لاجل ان ناكلها نحن والعيال ويتيسر وابو جوده وسميت الدار دارا لتدويرها بالطوب الاحمر والحجر النحت وغيره وهذه صفة دور المدن واما دور بلاد الارياف فانها تبنى بالكرسى وربما يكون فيها الوحل والجلة ايضا او لان الشخص يدور ويرجع اليها او انها مشتقة من لعب الدارة التى يلعبها اولاد الريافة بعد الغروب يقعد واحد منهم على قرافيصه ويقعد ولد آخر يجعل ظهره فى ظهره وتدور الاولاد حولهما يضربونهما فاذا امسك واحدا منهما ولد اجلسه مكانه فيعلمون من ذلك خفة الايدى وسرعة الضرب والمشى ونحوه وقوله (واندفعها) اى من الجيش ومعناه يأخذ منها بسرعة ويحشى فى بطنه فصار يشبه نداف القطن اذا الحذ بالقوس وحشاه فى الطراحة ومن هذا يقال فلان الليلة ندف مترددين من العدس او من البيسار اى اكلها بسرعة او انه مشتق من احمد الدنف من شطار مصر الذين تقدموا وسيرته مشهورة عند المخرفين وقوله (بالعويش) تصغير عيش سمى بذلك لان به قيام المعيشة كما قال الشاعر لا تركنن الى الثياب الفاخرة واذكر عظامك حين تمسى ناخرة واذا رايت زخارف الدنيا فقل لبيك ان العيش عيش الآخرة) ولذلك قال الامام الشافعى رضى الله عنه فيما حكاه الذهبى فى ميزانه والدميرى فى حياة حيوانه

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة * وليتنا لا نرى ممن نرى احدا
ان الكلاب لتهدى فى مرابضها * والناس ليس بهاد شرهم ابدا
فانجو بنفسك واستأنس بوحدتها * تبقى سعيدا اذا ما عشت منفردا

وقال آخر يكفى الذين تقدموا من قبلهم * من بعدهم يمشى على الغبراء
انى لاحيى اذ أمر بذكرهم * واموت من نظرى الى الاحياء

او انه مشتق من عش الطائر لتدويره مثل تدوير العيش وأما تسميته خبزا فهو من الخبيز وهو التنضيج بالنار يقال فلان ضرب فلانا حتى خبز اضلاعه اى صار الضرب فوقها مثل نضج الخبز او كسرها كما ان الخبز آيل للتكسير مثلا او يكون خبز اضلاعه اى صار الضرب فوقها مثل نضج الخبز او كسرها كما ان الخبز آيل للتكسير مثلا او يكون خبز اضلاعه بمعنى فكها من بعضها البعض وقوله (نديف) على وزن نظيف وهو الذى ينتف ذقنه لاجل الخنات اوكان به مرض الابنة اعاذنا الله منها فانها داء يغلى فى الدبر بحرقة كغلى الدود فى العفن قال الشاعر

فانه مرض كالنار مشعلة * يغلى كغلى الدود فى العفن

واكبر دوائها ما ذكره الشعرانى نفعنا الله به ان يحتقن بماء الفسيخ السائل منه مرارا فانه يبرأ باذن الله تعالى واصله ندفا فصغر لاجل الروى اى ندف من الخبز ندفا كثيرا حتى اشبع شبعا مفرطا لكن بعد جوع بقية اليوم وبقية الليلة ثم انتقل من الخبز الى الباقلا الخضرا فقال

ص متى انظر الفول المشوى بفرننا * ولفو نقشره والعروق لفيف

ش قوله (متى انظر) يعنى كما تقدم فى البيت الذى قبله (الفول) الاخضر اذا اتى به من الغيط ووضع فى الفرن وصار مشويا والمطلوب ان يكون هذا الفول (المشوى) تصغير مشوى على وزن عطوى او خرنوى وخرنوى فهما بيقين التصغير والوزن (بفرننا) لا بفرن غيرنا (ولفو) اصله والفه بالهمز تركه لضرورة النظم من اللفء وهو حشو الفم وسرعة البلع والمضغ من غير تامل ولا تفتيش فى الماكول ولهذا قال (نقشره) اى اكله من غير نزع قشره من فرحتى به ومن شدة الجوع (والعروق) معطوف على القشر اى والفه رقة ايضا (لفيف) اى لفا زائدا بحرقة قوية وشهوة بهيمية حتى اكتفى منه ولا انظر الى خشونة بلعه لكونه بالقشر والعروق على حاله ولا افعل كما يفعله غيرى من انه يخرجه من الفرن ويضع عليه الملح ويبقيه حتى يبرد ويقشره ويأكل وانا لشدة اشتياقى اليه وكثرة الجوع والقل والعترة الفقر بجميع ما عليه (فائدة) الفول الاخضر قيل شيء بارد رطب وقيل بارد يابس ويعدله الاكل بالملح والصعتر وانفع اكله حارا ومشويا منزوع من قشوره جميعها واكله بالسكر وفى بعض

كتب الطب من اكل الباقلا اربعين يوما واصابه مرض الجذام فلا يلوم الا نفسه ومتى اكلت المرأة الباقلا اربعين يوما لم تحبل ابدا وقد عدوه من موانع الحمل ثم انه اشتهى شيأ مما يخبز وتمنى حصوله فقال

ص متى انضر أن اطحن الطحين وحبتو وبطبط لي منو فطير رهيف

ش (قوله) متى انضر تقدم معناه (ان اطحن) احد الطحانين (الطحين) الذي ينعمل في الطاحون ويحتاج اليه ورواية (وحبتو) اي حبتو بعد ان اعطيت الطحان اجرته الى منزلي (وبطبط) على وزن وضرط وبرطط فيها ببقين المناسبة وهو مشتق من البط وهو طير يرغب في الدور يشبه الاوز الا انه صغير جسمه وارجله قصيرة جدا او من البطيطة او من البطة التي يوضع فيها السمن وغيره او هو من اللفظ لا الكلام (مسئلة هبالية) لاي شئ سمي مجموع القمح طحين وهل هذا اللفظ صفة او علم عليه (قلنا الجواب الفشروي) انه كان اولا قمحا لا كلام ثم طرأ عليه الطحن فنقله من حالة الى حالة اخرى فيكون من تسمية الشئ بما طرأ عليه من الوصف الذي قام به ونقله من حال الى حال فكان اولا معروفا بالقمح فلما دارت عليه الطاحون وطحنته اندرس اسمه الاول وصار طحينا فكذلك الانسان لما دارت عليه المنية خفي اسمه وصار ميتا وطحنته الارض ومضى امره الى ان يبعث فانجلى الجواب عن هذه الابحاث الفشروية وفي بعض نسخ المتن ان اطحنت الطحين باثبات التاء المثناة من فوق فيكون هو الذي طحنه بنفسه وهذا هو الاولى لان اهل الريف يجعلون في الدار الكفر طاحونة مشتركة بينهم وان كان عند الرجل منهم طاحون يأخذ ثوره ويعلقه ويطحن عليه واما بلاد البحر فانهم يطحنون بالاجرة وطواحينهم كلها بالخيل حكم بلاد المدن ولا يفعل ما تقدم الا بلاد الكفور والقرى الصغيرة ولا شك ان الناظم منهم كما تقدم في ذكر قريته فلهذا قال ان اطحنت الطحين وحبتو وبطبط اي عجن بالماء او شئ من اللبن ويأخذ القطعة العجين ويضعها على قرقة او ورقة الفجل او قرص جلة مثلا ويخبطها بالكف حتى ترق ويأخذ غيرها فيحصل لي (منو) اي من هذا العجين (فطير) مشتق من الفطور لكونهم يفطرون به او من الفطرة او من عيد الفطر (رهيف) صفة للفطير اي طري رقيق وفي كلامه اكتفاء فانه ذكر الفطير وكيفية عمله ولم يذكر اكله فيفهم من الكلام انه لما بطبط الفطير خبزه في الفرن او في الجرودة التي يصنعونها في الزريبة ويجعلون عليها الزبل وفي بعض الاحيان الجلة ايضا واكله حتى اكتفى ثم ان الناظم اشتهى ماكولا آخر فقال

ص ايا مطيب الجلبان والعدس اذا استوى وشربش بصل حلو ومنت غيف

ش قوله (ايا مطيب) في الطعم واللذة (الجلبان) على وزن الحديان لو الخرفان

مشتق من جلبة النبوت او ان الذى زرعه سقاه فى الاصل على ثور جلب ومن جلبة الجسد والجلبان نبات يزرع حبه يشبه حب الملوخية وله قرون صغار مثل قرون الملوخية مشتبك فى بعضه البعض مثل البرسيم يزرعه اهل الريف ويأكلونه مثل الفول الاخضر وربما طبخوه بالعدس واكلوه كما قال الناظم ويزرعونه كثيرا وتأكل منه البهائم ايضا وقوله (والعدس) معطوف عليه اى وما الطيب العدس معه والعدس معروف لا يحتاج الى بيان (اذا استوى) فانه لا يؤكل نيئا بخلاف الجلبان بل يؤكل مطبوخا وهو بارد يابس ثقيل يشبه الدخن فى فعله ويمسك لاطلاق البطن ومرقه انفع من حبه واكله يرق القلب وفى زهر الاكمام ان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله تعالى قسوة قلوب قومه فاوحى الله اليه ان مرهم يأكلوا العدس فانه يرق قلوبهم وفى الحديث عليكم بالعدس فانه يرق القلب ويكثر الدمعة وقد بارك فيه سبعون نبيا والاكثار من اكله يخاف منه الضرر وفى القاموس الاكثار منه يورث الجذام ويضر بالعصب ويولد الاخلاط السوداوية وقال بعض الاطباء يعدله السلق الاخضر وطعامه على نوعين مدشوش وهو اشف من غيره وغير مدشوش ويسمى عدسا بحبته واهل الريف يضعونه فى البوشة الفخار ويحطونه فى محاة الفرن او فى الفرن ويغمرونه بالماء حتى يستوى ويفركونه بالمغرفة ويقلون له بما تيسر من الشيرج او الزيت الحار والبصل مثل البيسار واما اهل المدن فانهم يطبخونه طبخا جيدا ويضعون عليه دهن اللية والسمن الخالص والحارات خصوصا ابناء الترك فانهم يكثرون فيه الادهان وربما فعلوه باللحم الضأن ولهذا يأتون به فى رأس السماط فهو عندهم له موقع عظيم وربما عملوه بالقلقاس اذا كان مدشوشا وهو الذ واطيب وبلاد البحر يطبخونه بالارز ثخينا يدشونه ويضيفون عليه الارز ويسمونه بغلية بفتح الموحدة وسكون الغين المعجمة وكسر اللام وتشديد الياء المثناة تحت وسكون الهاء المربوطة فى آخره وهذا النوع ثقيل جدا يشبه البسلة فى ثقلها وربما اكلوه بالسمن من غير خبز وكذلك البسلة يصنعونها ايضا بالارز وكل هذا يولد الارياح ويضر بالمعدة خصوصا البسلة فانها اشد فى الضرر وبعضهم استطرد حرف الباء فى اسمها وفى صفاتها فقال بسلة باردة يابسة ثم استطرد حرف التاء فى مضرتها فقال * تعشى تغثى تمنى * فيكون لف ونشر مرتب ومعناه بسلة تعشى باردة تغثى يابسة ثم قال (وشرش بصل) اسم للحزمة المربوطة منه التى تملأ الكف فانه يقال لها شرش بصل ويطلق على اول خروج الغساء ايضا فهو لفظ مشترك بين الغساء وشرش البصل ولهذا يقال فى (الحيك

شرش) مثلا وهو من الالفاظ التي تقرا طردا وعكسا اولها مثل آخرها وقوله (حوله)
اي حول العدس بعد وضعه معروفا في الثرد او الشا لية ويكون البصل موضوعا
حوله كما جرت به العادة في بلاد الارياف وغيرها انهم يضعو البصل حول العدس
والبيسار والمش وغير ذلك وياخذ الرجل منهم بصله يقطع منها مثل الخيارة
واما اهل المدن فيقشرونه ويفلقون البصلة اربع فلقات ويضعونها حول
الصغيره ولكل شيء مناسبة واذا عصر ماء البصل ذهبت حرارته واعتدل
في الاكل وقوله (ومية رغيف) اصله مائة سهله لضرورة النظم اي من خبز الشعير وذكر
هذا العدد لاجل ما يشبع فلبسه من الاكل او ربما يجوع على احد ما لاكل مثلا او يأتي
احد ضيف على تطفل فتكون المائة رغيف فيها المحتمل للاكل منها كما نشد هو الترفه
وكذلك الشرش المستعمل وهو الخرما الذي تملا الكف تكون الاخرى تكفيه للاكل
منها ولتفرقتها ان شاركه احد ثم ان الناظم استطرد شيئا آخر واشتهى حضوره
فقال

ص يا حسن الخبز المقمر على الندى * وفوقه من السمن المسلي نصف
ش (قوله) يا ناس ما (احسن) اي ما اظرف والطف والذ ما كوله (الخبز)
الضعيف الابيض (المقمر) بالنار لا بالشمس (على الندى) اي على الفطور عند
نزول الندى وهو الماء الذي ينزل وقت الصبح الى طلوع الشمس سمي بذلك لانه يندي
الارض اي يبلها بالرش فيها وفيه منافع كثيرة للزرع وغيره وفيه بركة عظيمة ويشبه
به السخاء والكرم ويقال فلان كفه الندى ويقال فلان ما عنده ندى مثلا والمسئول
نزر من الجود قال بعضهم يمدح السلطان زيدا والحكم الشرقي رحمه الله تعالى

ما انت الذي ويرتجو من جهله ذم * لقد عشنا دهرا ومنها احيانا
فقال لا نعم متاني ما انا وعندها الا الى زيد الحكم كشبه الندى احيانا

قال بعضهم واختلفوا في الماء النازل وقت السحر على الزرع فقالت فرقة لا يجوز الوضوء
منه لانه ليس من جنس الماء بل هو تنفس دابة في البحر تتنفس وقت السحر فيعلق بالحجر
حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الشيئية ويشهد لهذا القول ان الذين ذكروا
ان هذا الماء اذا اجتمع وقت السحر وملئت منه بيضة وقد فرغ ما فيها وسد ثقبها
او غيرها ووضعت في مكان متى احست بالحرارة صعدت الى السما وهذا الصعود
والارتفاع ليس من طبع المياه وانما طبعها الانخفاض في الارض ويشهد لهذا ايضا
ان الندى ليس بماء بل ولا ابرد ولا مطر والله تعالى اعلم * قال صاحب كتاب الملتقطات
ومنهم من يجوز الطهارة به لانه ماء وانهم يحققون بجميعه من نفس تلك الدابة استحيى
وكان من جملة مناصب الرشيد جارية فصيحة تقرا القرآن وكان له خادم اسمه طل فكان
فامتحنها الرشيد بان قال لها والله لم تذكري هذا اللفظ دهرا فقالت الا اقرأت

الآية الشريفة لم تذكر الطل اعتناء لا للأمر فلا تحقق منها ذلك فشبه لها في صحا طيبها والآية الشريفة قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل انتهى * فالفطور في هذا الوقت على الخبز المقمر فيه منفعة عظيمة * وفي كلام الحكماء الكسرة اليابسة مرهم المبدان * ورأيت في بعض كتب الطب ان المعدة يعلوها شيء يشبه الشعر فاذا فطر الانسان على الكسرة اليابسة نزلت على هذا الشعر مثل الموسى فحلقته فعلى كل حال الفطور على الخبز اليابس المقمر انفع من غيره (و) خصوصا اذا كان (فوقه) اي فوق الخبز المقمر بعد تكسيره ووضعه في الاناء (من السرسوب على وزن الجعسوب وهو اللبن يوضع فيه شيئا يسيرا من اللبن الذي ينزل عقب ولادة البهيمة ويسمونه مسمارا يأخذونه ويضعونه في طاجن فخار احمر ويضعون عليه شيء من الملح لاصلاحه ومكنه لحاجتهم فاذا ارادوا السرسوب يضعون اللبن في الدست ويصبون عليه من هذا اللبن الذي يسمونه المسمار ويفورونه على النار فيقال له المفور ويقال له سرسوب ويفتون فيه الخبز المقمر مع الجبرة ويأكلونه وله لذة عظيمة ويجعلونه ايضا في طاجن ويضعونه في الفرن بعد وضع المسمار فيجمد ويسمونه لبنة بحفض اللام والباء الموحدة ويأكلونه وله لذة عظيمة وافضل الالبان لبن المعاج واجودها لبن البقر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالبان البقر فان لبنها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء واجودها ما شرب من تحت الضرع كما حلب واذا خلط بالسكر خصب البدن وصفى اللون ولين الطبيعة وزاد قوة في الباه وسمي اللبأ لباء لانه مشتق من اللبن او من اللبوة او من قولهم لبيك واحد بمنزلة مثلا او من لب الجدي الصغير امه اذا اراد شربها قال الشاعر

فانت كالجدي لما ان يلبيه * وكالجحش المطوق اسرعا الى اللبن

قوله حلب اي قدر حلب وهو اسم لما يملأ الحلاب والمحلب او انه مشتق من حلب الرجل بيده فيكون اسما لما حلب من البهيمة والمعنى ان يكون فوق هذا الخبز ما يعمه من لبن السرسوب المحلوب حلبا نضيف * اصله نظيفا ذكره بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية وسكنه لضرورة النظم اي ليس فيه شيء يدنسه من روثة او غبار يعفيه ونحو ذلك كانهم اذا تعاطوا الحلب لا يتحاشون عن مسك حلمة وغيرها من انواع النجاسات بل ربما لطخوا درة البقرة او الجاموسة بجلة فتقلب اللبن سريعا فطلب الناظم ان يكون هذا السرسوب طيبا نظيفا خاليا عن هذه الامور وان كانوا يعفوا عنها ثم بين كيفية الاكل فقال

ص واقعد على ركبه ونص وشمر * عن الكف باجدي ما اخاف شفيف

ش قوله (واقعد) متأهبا للاكل من هذا الخبز بالسرسوب تأهب الجيعان

الشديد الشهوة لهذا الماكول (على ركبه ونصب) وهي قعدة الفوى الشديد الذي يريد دائما الاكل الكثير والذي عنده شره في الطعام مثلا واما جلسة الادب فانها بخلاف ذلك بأن يجلس الانسان على ركبتين ولا يلتفت يمينا ولا يسارا ويأكل مما يليه ولا يمد يده الى طعام بعيد عنه مدا عنيفا كما اتفق ان شخصا قال لآخر وهما في وليمة يأكلان يا فلان اقدم لك هذا الصحن فقال انا ايدي تجيب من مكة ومد يده بعنف فضرط فقال له الرجل بلغ الباص في مكة كلام الكورجم فخجل وقام من غير اكل وللاكل آداب مذكورة في الكتب قوله (وشمر) من التشمير وهو رفع كمه (عن الكف) اى كفه يقال شمر ذيله بمعنى رفعه عن النجاسة وشمر عن ذكره اى اراد عطفه ببوله فيها والتشمير المعنوى هو الكف عن الذنوب قال الشاعر

شمر فانك ماضي العزم شمير * ولا يهولك اهوال وتكدير

لكن مراد الناظم التشمير الحسي وهو رفع الاكمام ووضع الشمال الذي يصنعه اولاد الارياف من الصوف ويضعونه في اكتافهم يرفعون به اكمامهم وله هدا مائل على كفل الولد الامرد وفيه لهم نوع من الجمال وهو عندهم امر عظيم حتى ان بعض الاولاد يعمله ويجعل فيه من الحرير الاصفر والاخضر والاحمر والاسود حتى يرغب العاشق فيه وغالبا اولاد الطبالة يجعلونه كاعقصة النساء ويجعلون له عقدا صغارا في رؤوس الهداب ويزينونه بها وقوله (بايدي) اصلها بيدي لا بيد غيري فلا احتاج الى احد غيري يشمر لي بل انا انما طالب تشميره بنفسي لاجل خلو يدي عن شئ يمنعها من تناول الطعام وهذا يدل على ان كمه كان طويلا حتى احتاج التشمير او ان مراده بالتشمير رفع يده وخفضها في حالة الاكل بسرعة وقوة من غير التفات لاحد ولهذا قال (ما اخاف) اى واكل من هذا المسروب ما احتاج من غير ان ينهني او يمنعني عنه (مخيف) اصله مخيفا اى مخوفا يمنعني عن شهوتي بل لا ابالي اذا حصل لي وظفرت به من احد ابدا ولا يعتريني خوف ولا فزع حتى اكتفي واشبع منه الشبع المفرط ولا اخشى من تهمة ولا غيرها ثم انه اشتاق ماكولا آخر اللذ ماكول اهل الريف فقال

ص على من قشع روحو حدا الرز باللبن * ويقطع ويبلع من ثقيل وخفيف

ش قوله (على من قشع روحو) اى على من نظر روحه اى ذاته لا ذات غيره (حدا الرز باللبن) اى حذاء بالذال المعجمة اى محاذيه بمعنى انه جالس بجانبه والارز باللبن طعام لذيذ وهو غالب ماكول بلاد البحر لكثرته عندهم وكثرة الارز ايضا وهو حار رطب ينفع من احتراق المعدة وما الذه واطيبه اذا وضع عليه السمن البقري في وقت نزوله من على النار ويؤكل بالعجوة الا انه بالسمن

اطيب واشهى للاكل وكلما كان لبنه كثيرا كان جيدا وكلما قل ارزه كان اجود وارداه الكثير من خلط الماء والارز كما تفعله اهل الارياف فانهم يجعلونه ثخينا جدا يقطعون منه اللقمة مثل ما يقطع المتضعص من الطين اليابس واما ابناء الترك فانهم يصنعون اللبن الخالص من غير ماء ويجعلون فيه شيئا يسيرا من الارز بحكم المشرب وهذا يشربونه بالملاعق فيصير حلوا لذيذا وهذا النوع اجود طعاما عن غيره وطبيخ اللبن على كل حال اطيب من العدس والبيسار وما شابههما قال الشاعر

طبيخ اللبن احسن من الكبريم * والعدس والبيسار تبيسو الحوادر

واما النوع الذي تمناه الناظم فهو الذي تقدم ذكره وهو الثخين الذي يشبه الطين في يبسه لانه المشهور عنده في بلاده واما بلاد البحر فيفعلونه مائعا وسطا لا ثخين ولا مائع الا انهم في الغالب يضعون عليه شيئا من الماء واما الناظم فلا يعرف الا الذي في بلده ولهذا قال * ويتقطع * والقطع لا يكون الا من الطعام اليابس اي يتقطع بكفه وقوله (ويبلع) من البلع وهو مجاوزة الاكل من الحلق يقال فلان بلع الحوت بمعنى انه دخل بجوفه ووصل الى بطنه ومنه سميت البلاعة لانها تبلع الماء فيجري فيها والقطع هو فصل الشيء من الشيء وبعده منه يقال فلان قطع فلانا من مدة بمعنى انه هجره وبعد عنه وقوله (من ثقيل) اي من قطع وافية من اللقمة المعتادة بحيث تكون اللقمة ملء الكف وتدمع العين من كبرها كما ذكرت ذلك في خطبة كنت انشأتها سابقا في الماكولات وهي هذه

الحمد لله مستحق الحمد على التحقيق * الذي وفق بين القمح والدقيق * وامر بالطبخ الحبيته العتيق * وجعل الصحن المجوف للعسل الخالص الرقيق * احمده حمد من انقذه من الجوع وسيسه * واغاثه الله بقصعة من البسيسه * بالمطبخ الرقيق * فلا منها بطنه * واحسن بالله ظنه * ونام على راحة من الله وتوفيق * واشكره شكر عبد تقطع عن الخبز المحمص والمش العتيق * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من الضيق * واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الناطق بالصدق والموصوف بالحق والتحقيق * اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اهل الكشف والتحقيق وسلم تسليما كثيرا * ايها الناس ما لي اراكم عن الزردة بالعسل النحل غافلون * وعن الارز المطبوخ باللحم الضاني تاركون * وعن البقلاوة في الصواني معرضون * وعن الارز المفلفل المطبوخ بالسمن لاهون * فاهذا يا اخواني الاحوال المفلسين * واقفال العقول المغلولين فجدوا رحمكم الله في تحصيل الدراهم لتغنموا منها الماكل النفيسه * والمطاعم اللذيذه * وقد قال الامام الشافعي رضي الله عنه لذة الدنيا ثلاث اكل اللحم وركوب اللحم وادخال اللحم في اللحم فمن انعم الله عليه فليشكر ومن لم يجده فليصبر وعليكم بالارز باللبن فانه طعام مجيد حسن وشفاء لداء العليل خصوصا عند الفلاح * اذا جاء وطلب بقرته * واتت زوجته بالدست وعلقته * وصبت فيه اللبن وقادت عليه وحركته * بالارز الابيض وطبخته * وفي الصحن لبنى ثم سقفا بالمشرفيه

الكبير

الكبير وقصد وثنى ركبته فعند ذلك يا اخوانى صفنا الاوانى ولا دكل انشا بالسنان فلا
الايدى تقطع * واحنكم تبلع وزرادينكم تفرقع وحلق يقرقع والعين من كثر اللقمة تدمع
والبطن لا تشبع بل تزيد اشتعالا وهى تقول حل ربنا زدنا فاذا سمعك اصوله يلقيه
فبادر بجدع رقبته بحكم واغتنموا رحمكم الله تعالى هذه المواعظ ودعوا اكل المفلفل
كالعدس والبيسار والمدمس والعو[illegible] بالزيت الحار والبسلة والكشك بالفول وجبن النوق
المصلوق فانها تورث الارياح وليس فى اكلها صلاح وعليكم بالاطعمة الفاخرة كاللحم
الضانى فانه سيد طعام الدنيا والاخرة وعليكم بالشراب البارد ففيه حديث وارد وحمد
الله ايها الاغنياء المتنعمون واصبروا ايها الفقراء المقلون نسأل الله ان يمن علينا
وعليكم بالاطعمة الفاخرة ويرزقنا واياكم الراحة فى الدنيا والاخرة وان يجعلنا واياكم
من الاكلين المتنعمين وينجينا واياكم من موارد الجيعانين المقلين وان يغفر لنا ولكم
ولجميع المسلمين آمين فاستغفروه يغفر لكم يا فوز المستغفرين روى عن سطيح
بن لهيعة عن زلطاح بن القطاح عن قليل الافراح انه قال كان رجل من الشام قام
من منامه ولم يذق طعامه واكل فى فطوره فصيلا ابن عامين وصبر الى ضحوة النهار
فاكل اربعين دجاجة محشية باللحم الضانى محمرة بالسمن البقرى وشرب زقين من نبيذ
ونام فى الشمس فمات ولقى الله شبعانا سكرانا ريان الحمد لله مذهب الحزن ومفرج الاحزان
باللبن واشهد ان اللحم الضانى سيد الاطعمة ويصلح للسكران واعلموا انه لا تقطع
لا تتركوا رائحة المهلبية الحسن وابراك فهيئوا لاكلكم وشربكم واعلموا انكم بين
يدى الله موقوفون وباعمالكم محاسبون وعلى رب العزة تعرضون وسيعلم
الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون اللهم وارض عن الاربعة الاشيا الذين ذكرهم الله
تعالى فى القرآن التين والزيتون والنخل والرمان وارض اللهم عن الستة الباقين
من الحشو الاطعمة المنتشرة الماوردية والمهلبية والشهية بالرشتا بالخل المريسم والارز
المفلفل باللحم الضانى المشرح والكنافة المثلمة بالسمن والعسل واللوز والسكر و
القطايف القادرة بالسمن والعسل والفرخ المحشى باللحم والبصل والبقلاوة المرصوصة
وخروف القسمة المعلوفة والمحشى به والبط السمين متعنا الله واياكم بهم اجمعين
اللهم وادم النصر والتأييد والثبات والبهجة والفضل بعد الشتات ببقاء السلطان السكر
النبات ابن القنانى من اسلم السكر المكرر اللهم وايده بارياح القصب وبسائط
الرطب وبعنا قيد العنب وابعد عنهم من اول النهار [illegible] وانصرهم
وانصر عساكره فى الدنيا تتشفع يا رب العالمين اللهم واهلك الطاغية ثم الغبار العدس
والبسلة والبيسار عباد الله من اراد منكم الفتوح فعليه فليأكل الموز
بالسكر والجبن وتفكهوا قبل الطعام واقتدوا بسنة خير الانام ولا تتشاجروا
وتخاصموا وتواضعوا شيئا لله اشكروا الله يا اسيادى باكل الحلال ما تشتهوا

المعقول وينهاكم عن اكل الحرام ولو من الطيب المأكول والبغلة تروضكم لعلكم تفلبون او نشد قلبون وقوله (وخفيف) اي ويأكل اللقمة او اللقم من صغيرها وكبيرها ليحصل التعادل ولا يغتر بقول القائل

كلوا اكلة من عاش يخبره * ومن مات يلقى الله وهو بطين

فينبغي للانسان ان يجعل البطن ثلاثة اثلاث ثلث للاكل وثلث للشرب وثلث للنفس فلا يفرط في الاكل ولا يفرط في الجوع قال صاحب البردة رحمه الله تعالى

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

وما احسن ما جمعه بعضهم في قوله

ارطاب توت لقد طابت رطوبتها * كبرق ثغر حبيب وهو مخمور
في بابة اقبل الرمان منعقدا * مثل اليواقيت منظوم ومنثور
ميز بعقلك تلقى الحسن في بلح * مصفر الوجه لما جاءها تشرير
سل من كبهك عن الاسماك هل صلحت * تنبيك عن نوعها بالنحو مسيزير
هل ما دطوبة لم ارو لنا لوالقه * مثل الرزالك فلا تحتاج تأخير
كل اللحوم اذا طابت رعيتها * وهل يطيب سوى في الرعي امشير
في برمهات ترى الالبان نافعة * ممن الكادير في ذا الشهر مشهور
برمودة الزهر قد جاءت مبشرة * سلطانه الورد كل منه مأمور
بشنس تشهد ان الخل جانبه * والشهد يقضي وما في امره زور
مشمش بؤنة لما يلقى الهوى ابدا * مسكين ذاك قليل الجهد معذور
واصبح التين فوق الغصن ناعيه * كأنه في ابيب جاء وهو مسهور
عنقود مسرى نعم فاغتنم فكاهته * فعن قليل تراه وهو معصور * تمم *
هذه مطائب ما فيها مرتبتي *

والكل في هذه الابيات مذكور

ثم ان الناظم انتقل الى نوع من الادام قد غناه فقال

ص على من ملا لحفه جبينه طرية * وراح ورا الجاموس برعى النيف

ش قوله على من ملا لحفه * اللحف شيء طويل يعمل من الصوف او الشعر يلبس على الراس لم نرى في هذه الايام نستعمله العسكر وغالب الفلاحين ويلبسون شيئا يقال له الطرطور ويلقون عليه اللحف لكونها واسعا من جهة الراس وضيقا من اعلاه قصير عن الطرطور وكان استعمال ذلك في قديم الزمان كثير واستعمال اللبد على اصناف شيء يشبه اللحف وشيء يشبه البرانيط والذين يلبسونهم بقا لهم صلحاء متصوفين ثم ظهرت الطواقي اللطيفة وصار لها بهجة ورونق وانس وظرف فبطل لبس اللبد وغيرها وصار لا يلبسها الا بعض الفقرا المتصوفين ولهذا قال

اخفايا فلا نفقية اللبد * ومن هذا قال في شرحها كاوم كثير مثل قولهم

يا لبده مالك في السوق * يا لبده قلة خاروق

وسمي قحفا لتقاعره ويبسه ولهذا يشبه به الرجل السيء الخلق فيقال هذا قحف اي سيء الطباع قال الشاعر في المعنى

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه

فلو رايتهم في الورى * لقفا رقيق الحاشيه

وهو مشتق من قحف الحوت او ان الرجل الذي كان يصنعه اولا كان من قبيلة معروفة مواقفها على شكل احد السدوي نفعنا الله به دنيا واخرى (وقوله) جبينه تصغير جبنة على وزن ابنة وهي واحدة الجبن (طرية) اي علت في وقتها اي وقت نزولها من على الحصير التي يعملونه فيها الجبن فاشتهى ان الله تعالى يمن عليه على قحفه جبنا طريا ولو كان هدية او صدقة تصدق عليه بها احد او سرقة فان الرزق ما ينتفع به ولو حراما قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى (والرزق ما ينفع لو محرما)

وقال ابو نواس رحمه الله تعالى

يقول لي العذول وليس يدري * دع المال الحرام وكن قنوعا

اذا انا لم اجد مالا حلالا * ولم اكل حراما مت جوعا

فان قيل لاي شيء تمنى الناظم ملء قحفه من الجبن مع ان القحف لا يسع شيئا من الجبن فيه خصوصا وقد قال جبينه طرية فاذا وضعه في قحفه يحصل له ضرر من جهة الوجهين من الجبن والشيئا ماء الجبن يبل شعره ويشوش عليه قلنا الجواب الفشروي من وجوه اما انه تمنى شيئا من الجبن بحيث لو وضع في قحفه لقوة اكونه قحفه طويلا كبيرا حتى يكفيه للادم بقية الجمعة او الشهر لكونه مفتقرا لذلك ومحتاجا اليه عجلا في ذلك ما اذا اتاه شيء يسير لا يكفيه ولا يقوم باولاده او ان الكلام على حقيقته لان اهل الريف اذا اعطاهم احد شيئا من ماكول او غيره يأخذونه في اطراف بردهم وارديتهم وفي اكمامهم وفي شد ودهم التي على رؤسهم وكانوا في الزمان السابق يضعون الشيء في قحوفهم فانهم في الغالب كانوا يضعونها على رؤسهم من غير شيء يلفونه حولها فكان الشخص منهم اذا اخذ شيئا من السوق ولم يكن معه منديلا وصحن مثلا يضعه في قحفه واما التوبيش للقحف ونقديره فالناظم لا يبالي بهذا الامر فان قحفه كان يساوي نصفا او نصفين ومن كثرة استعماله وتداول الايام عليه وطرو العرق والحال الذي هو فيه يبس وصار مثل الخشب فصار لا تؤثر فيه رطوبة الجبن ولا غيرها

فينزل الكلام على حقيقته فاتضح الاشكال عن هذا المهالك وقوله (وزلح) اي
وسنا وهو مشتق من الذي يصنع على غاية طويلة وهو اربع ورقات ملصوقا
على اربع قطع من القاب تلعب به الاولاد الصغار وهو مشهور في بلاد المدن
وغيرها وقوله (ورآى) اي يضف للجاموس نوع من البقر فان اسم البقر
يشمل الجاموس وغيره وهو ضخم كبير غليظ الجلد اسود وسمي البقر بقرا لانه يبقر
الارض اي يشقها وواحدته بقرة واهل الريف يعايرون الولد الامرد بذلك
ويقولون له انت بقرة مثلا يعني يا كثير الجنابات (مسئلة هنا لطيفة) لاي شيء
لم يقولون للولد الامرد يا جاموسي مع انها في حكم البقرة والعجل يطلع عليها ويضربها
فهي في هذا الامر مثل البقرة فلا خصوصية لاحداهما قلنا :: (الجواب الشرعي)
من وجوه الاول ان الجاموس داخل تحت اسم البقر كما تقدم بيانه فصار شاملا
للنوعين الثاني ان لفظة جاموسي مركبة من اسم وفعل فاذا قال الشخص للولد
الامرد انت يا جاموسي ربما يفهم منه انت يا ولد جاء رجل اسمه موسى مثلا
فكانه يخبره بذلك فتندفع المعيرة عن الولد الامرد ولا تشتهر ويقال ولدت
امرأة جاموسي اي وقت ولادتها جاء رجل يقال له موسى الوجه الثالث
ان اسم الجاموس مشتق من التجميس وهو التحسيس يقال فلان
يجمس في الظلام بمعنى انه يحسس على شيء يأخذه واسم البقر مشتق من
بقر الارض اي يشقها بالمحراث كما نقل وصنع المزين الكبس مثلا لانه يشقه
اي يدخل فيه ومثله الامرد فانه يدخل في استه الزب يعني مثلا فكان مشبها بالفعل
واما التجميس فهو مشبه به تقديرا وهو الفعل اقوى من الاسم لان التحسيس زرع
والبك حصاده فكان البك ابلغ من التحسيس فلهذا صار يعاير به الامرد
ويقال له يا بقرة فاتضح الاشكال عن وجه هذا المهالك وقوله (يرعى النيف) اي يسوق
الجاموس لاجل ما يرعى لانه هو الذي يرعى بنفسه فالرعي راجع للجاموس اي انه يسوق
الجاموس الى المحل الذي ينبت فيه الحشيش المسمى بالنيف اي وهو يرعاه اي يأكل
النيف يقال للجاموس او البقر يرعى في الحقل الفلاني بمعنى انه يأكل منه واما قولهم
الذي يسوقه ويتعهد مصالحه من عليقه وعلفه وطرده وربطه في المعلف وبأتي
وحراسته ونحو ذلك راعي فالكونه ملازمه وهو تحت كنفه فعليه ان يراعيه بالشفقة
عليه والمرحمة به والنيف حشيش ينبت في الارض بنفسه من اثار نزول المياه
على الارض واكثره في الاراضي التي لا تزرع وهو مشتق من النيفة التي تقلى في بلاد
المدن وهي لحم يشوى في التنور ويؤكل وله لذة عظيمة او من المنوف التي تركب
على ارقاب الثيران وقت استعمالها في الساقية او المحراث وذكر الحبن ولم يذكر
الخبز والظاهر انه كان موجودا عنده ومضى عليه مدة وهو يأكل منه من غير

الدهر فاشتهى من تحفه حبنا لاجل ما يكفيه مدة (وحكى عن الشيخ محمود عفا الله عنه ان
رجلا نشأ له ولد من امرأة ماتت وتزوج غيرها فصارت زوجة ابيه من كراهتها
له تتمنى عليه حتى كرهه والده ثم لما تمكنت من عقله قالت يا انا يا ولدك هذا فقال
لها ما المراد قالت تجيب من السوق سما له فسمع كلامها واتى بالسم وسلمه اليها
فقالت له هات لنا لحما نضعه فيه فلما ذبح الجزار اتاها بلحم فعملت للولد طاجن
لحم وطيبته بالابزار ووضعت فيه ذلك السم فلما حضر الولد من الغيط كان
الوقت قد امسى فقالت له اجلس وكل هذا الطاجن اللحم فقال لها اني لم
اصل العصر لان الوقت راح لما اصلي واجي ناكله وتوجه الى المسجد وكان بعيد
من دارهم فلما صلى العصر اذن المغرب ففتحت ابواب السماء بماء منهمر كافواه
القرب فجلس الولد بالمسجد الى ان صلى العشاء فعزم عليه شاب من خدمة المسجد
ودعاه الى داره فنام عنده فلما اصبح حضر الى المسجد وجلس فيه حتى صلى الضحى
ثم انه توجه الى داره فوجد امرأة ابيه سخنت له الطاجن وقالت له لاي شيء لم
تجئ فاخبرها بان فلانا عزم علي فبت عنده فقالت له اجلس وكل هذا اللحم
فاني سخنته لك فقال

(انجاك بدري الطعام اصبح بو كما جاك بدري من الزرع ناجب)

وابوه يسمع ثم قال لما اعلف البهائم لاجل فطورهم بذلك وذهب لعلف البهائم
فببركة الصلاة التي صلاها ورأفته على البهائم القى الله تعالى في قلب والده ان
الزرع الناجب هو الولد الناجب فقام بسرعة الى الطاجن وكسره والقى اللحم
على الارض وداسه برجليه فجاء الولد ونظر ذلك فعسر عليه لعدم معرفته
بما هنالك ولا يدري بما خفي له ونادى والده لزوجته هات له فطيرة
وقال له كل واسترح فلما اكل واستراح قال لها توجهي الى بيت اهلك
بالستر وان جئت لك باحد كائنا من كان سياقا فلا تقبليه وان قبلت
السياق وجئت فقبرك في محل الطاجن تعلمي ذلك وتعتقدينه ولا تنديه
والسلام فانظر يا اخي الى من قدم علف الحيوان قبل ان ياكل وواظب
على الصلاة المكتوبة كيف نجاه الله من هذه البلية ثم ان الناظم انتقل
لتمني شيأ آخر من الاطعمة التي يفعلها اهل الريف فقال

ص علي من قشع لقانة ام ملانة من الهيطلية اللي لها تصفيف

ش قوله (علي من قشع) اي نظر نظرا حقيقيا (لقانة ام) اي وزوجة
ايضا واللقانة تانيث لقان على وزن شرفان ويقال لها القصرية ايضا
وهي اناء من الفخار متسع دون الماجور وفوق الشالية سميت لقانة
لان الشخص اذا اراد ان يشرب منها يلحق بلسانه او يغمه الماء لانه لا ينقل

على حملها او ان الذي صنعها في الاصل من لقانة قرية مشهورة خرج منها علماء
اجلاء وفضلهم مشهور ينتفع الناس بعلومهم الى يوم القيامة نفعنا الله
ببركاتهم واضاف اللقانة الى امه لكونها كانت لها ولم يعرف غيرها ولانه تمنى سواها
فتمنى رؤيتها بحيث انها الامه (مالانه) لانا قصة وسهل الهمزة لضرورة النظم
ثم بين الشيء الذي تمناه فقال (من المهطليه) وهي طعام يعمل من نشاء القمح
واللبن ولها لذة عظيمة في المآكل وهي اخف من الارز باللبن خصوصا اذا
اضيف اليها العسل لان النشاء بارد يابس ويعدله الحلو واللبن تقدم انه
رطب وقيل معتدل الحرارة والرطوبة والارز حار يابس فكون النشاء اقل ضررا
منه وان كان الارز موافقا لكل طعام وفي كلام بعضهم لو كان الارز رجلا لكان
حليما لانه موافق للطبائع وسميت مهطلية من هطل السحاب وهو المطر لكونها
تشبه بياضه او من هطل الثياب وهو طولها وجرها على الارض
ولمعانها ولهذا قال الناظم (اللي) بتشديد اللام يعني التي وهي لغة
ريفية (لها ترصيف) اي من جنسها وشدة بياضها ولمعانها اي تضيء
ويشتهى اكلها ويلتذ بها يقال فلانة عليها ملوطة بيضاء ترصف اي
تلمع وتضيء وهي مشتقة من الرصافة بنواحي الشام (ومن اللطائف)
ان رجلا مر بين الجسر والرصافة فرأى جارية حسناء بديعة الحسن والجمال
وهي تمشي فقال صدق ابو العتاهية ولم يذكر ما قال فردت اسمها
وقالت بل صدق ابو العلاء المعري ولم تذكر هي ايضا ما قال فاعترى
الرجل الخجل وتركها ومضى وكان بالقرب منهما رجل سمع ما قالاه فلحق المرأة
وقال لها اخبريني ما اردتِه وما اراد والا اعلمت بكما امير المؤمنين
فقالت له انه عنى بقوله صدق ابو العتاهية قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث تدري ولا تدري

وانا عنيت بقول ابي العلاء المعري قوله

أيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال

فتركها وسال الرجل كما سالها فاجابه بما اجابته به وافهمه ان الدار قريبة
ولكنها بجوار امير المؤمنين فلا تقدر الى الوصول لمطلوبك فانظر الى
قوة حذق الجارية ومعرفتها المقصود وشدة فصاحة الرجل وفهمه المقصود
ايضا ثم ان الناظم بين كيفية الاكل من المهطلية فقال

ص واقعد لها بالعزم في راقة الضحى * واسبحها مصبوبة ام وطيفه
ش قوله (واقعد) اي واجلس من غير استعجال بل اقعد قعدة متمكن

ن

من غير خوف ولا فزع ولا احد يشوش على (لها) اما ان الضمير راجع
للقائمة التى فيها الهيطلية ويكون قوله واقعد لها بمعنى اى اكل منها وهى فيها
فيكون اكله من الهيطلية لا نفس القائمة واما ان كان الضمير راجعا
لنفس الهيطلية فلا اشكال ورجوعه لها اصوب وقوله (بالعزم) اى بالقوة
والشدة اى انه يقعد لها عازما على الاكل منها مثلا (فى رائق الضحى) اى وقت
ارتفاع الشمس وهو وقت جواز صلاة الضحى ويقال ضحوة النهار وهو وقت
الغداء وخلو الباطن واشتداد الجوع اى ناكل اكلا سريعا مرة بعد اخرى لان
السبب هو جر الشيء بعجل او بعنف جرا سريعا فيكون سحب يطلق على الاخذ
من غير عدد وقوله (لها مصبوبة ام وطيف) اى من الصبوبة التى تعملها
زوجة ام وطيفة ووطيفة ولدها سمى بهذا اللفظ لكونه كان يصنع الحلة
المواقا وقيل كان له دويرة يحط فيها الحلة طوفا بعد طوف وقيل من
طوافه حول البقرة فى صغره واما اسمه الذى سمى به عند ولادته على ما قيل
فهو دعموص لكن اشتهر بهذا الاسم وغلب عليه وصار علما واشتهرت
امه به فصار يقال لها ام وطيف * واما المصبوبة فانها تعمل من نوعين
من دقيق الحنطة ومن دقيق الارز فاهل الكفور والبلاد التى لم تزرع
الارز يصنعونها من الحنطة واهل بلاد الارز يصنعونها من دشيش الارز
ويقال للتى تصنع من القمح قطايف وربما صنعوها من الارز خالصا
والفقراء يصنعونها من الدنيبة التى تخرج من الارز عند بياضه مع خلط
شئ من دشيش الارز وسميت مصبوبة لانهم يجعلون عجينها اما مثل عجين
الكنافة ويحمون الفرن وياخذون نصف قرعة يابسة او جوزة هند يابسة
فارغة ويثقبونها ويجعلونها فى عصا طويلة ويغرفون من هذا العجين ويصبونه
فى الفرن اقراصا على ارغفة الكعك عندها رخاوة وطراوة فسميت بذلك
لكونها تصب على هذا المثال * واما القطايف فانها تعمل فى بلاد المدن من
الدقيق الابيض الخالص المقطف وتصب على صوانى صغار يقال لها الربع
من حديد او من نحاس الا انها صغيرة مثل القرصة وهى الذ هذه الانواع
واطيبها خصوصا اذا قليت بالسمن ويصب عليها العسل النحل ولله الحمد اكلنا
منها مرارا وتلذذنا بها ونسال الله ان يطعمها لاخواننا الفقراء ويهنيهم باكلها
لكن هذه بعيدة عن مقصد الناظم ولا يعرفها الا الكبير وانما اشتهرت فى بلده
مصبوبة ام وطيف هذه قيل انها زوجته على ما تقدم وقيل كانت امراة
تصنعها فى قرية مشهورة بذلك وسميت قطايف لان الدقيق الذى
يعمل منه مقطف اى منخول من المنخل الرفيع فيكون من باب تسمية الشئ

باسم الصفة التى تطرأ عليه وتمام الكلام انه اذا اسمى المصبوبة ورآى الهيطلية فيقعد وياكل منها حتى يكتفى لئلا يفهم احد انه ما اراد بها الا النظر وهذا محال كما قال بعضهم انظر بالعين لا يقضى ملامه * ثم يرص الرقاق ومض الخال ثم امه النظر بالعين ما يشفى غليلك الا ان وصلت فى بيتك خليلك واحمل القصعة لمحبوبك وسيلك وادخل القبة ترى الشيخ كرامه الى آخر ما قال ويجرى هذا المعنى فى جميع الابيات التى صرح فيها بالرؤية جميعها فان مراده الرؤية مع الاكل وليس المراد النظر الى الطعام لانه ما يكفيه ذلك خصوصا مع كثرة شهوته له وشدة جوعه ثم ان الناظم التفت الى ماكول آخر فقال

ص الايا ترى ايش حال اللبن بعد غلوه * ولو كان بالخبز السخين رديف

ش قوله (الايا ترى) يريد ان يستفهم ويختبر ويسال ويتحقق عن شئ بعيد عنه ولم يره ولم يشاهده مثل ما يسأل الانسان الانسان عن صديقه الغائب عنه مدة طويلة ولهذا قال (ايش حال) يعنى ما حال هذا الغائب كما يقول الرجل اذا قابل صديقه بعد مدة واوحشه ايش حالك اليوم مثلا (اللبن) الحليب (بعد) وضعه فى الدست و (غلوه) اصله وغليه ابدلت الياء المثناة من تحت واوا جريا على اللغة الريفية اى غليه بالنار يعنى هل له لذة فى الاكل وحلاوة فى الطعم ام كيف حاله (و) خصوصا (لو كان) اى هذا اللبن الحليب المغلى (بالخبز) تقدم تعريفه فى الطعام (السخين) تصغير سخن وصغره لحلاوة اللفظ مثل قول بعضهم ما قلت حبيبى من التحقير بل يعذب اسم الشئ بالتصغير فلهذا قال السخين على وزن الطنين اى المسخن بالنار وقوله (رديف) على وزن كثيف مشتق من الردف وهو ركوب الشخص على الدابة خلف آخر والسخين مشتق من السخونة وهى الحمى لحرارتها وسخونة الجسد اذا اعترته اعاذنا الله منها وجعل الخبز رديف اللبن بمعنى انه لا يفارقه ولا ينفك عنه حتى يؤكل معه فهو مثل الرجل الرديف خلف آخر لا يفارقه ولا يزايل ظهر الدابة فهو واياه على ظهرها لا يفترقان ولا يتميز لان الاسوية ولا يفارق احدهما صاحبه وقوله هذا من باب تلذذ احدى الحواس الخمس يعنى السمع فكأنه يقول لهم اخبرونى عن حال اللبن وعن اكله بالخبز وهل هو على هذه الحالة لذيذ المأكل ولذذوا سمعى بذكره فلعلى ان اراه حقيقة واكل منه يقينا كما قال ابو نواس الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرا اذا امكن الجهر فان الشاهد فى قوله وقل هى الخمر اى لاجل ما التذ بسماع ذكرها وتلتذ اذناى بذكرها فان الحواس الاربع قد التذت وبقى حاسة السمع وكقول ابن الفارض

نعمنا

نفعنا الله به   ادر ذكر من اهوى ولو علام   فان احاديث الحبيب مدامى

ليشهد سمعى الى كم ما قال ثم انه لما اراد ان يلتذ سمعه باللبن المغلى مع الخبز
المسخن اراد ان يلذ سمعه ايضا بمفروكة اللبن حتى يريد الله له بالاكل من الجميع
ويقضى مراده وما ذلك على الله بعزيز فان الله سبحانه وتعالى عند المنكسرة قلوبهم

فقال ص   الا ترى اشحال مفروكة اللبن   على زلطها قلبى يرف رفيف

ش قوله (الا ياترى) اى ياترى احدا يخبر فى خبرا شافيا (اشحال) اى اسأله
عن حال (مفروكة اللبن) اى الفطير الذى يفرك باللبن بمعنى انه يعمل من الدقيق
الابيض الناعم ويخبز فى الفرن او الجوره ويفرك اى يكسر بالايدى وهو حار
ويوضع فى ذبديه او مترد ويصب عليه الحليب حتى يغمره ويمتزج به ويصير مثل
الثريد لينا ناعما فى البلع والزلط لان الثريد فيه اللذة وهو افضل الطعام
وفى الحديث الشريف فضل الثريد على سائر الطعام كفضل عائشة على نساء
العالمين وورد ايضا اثردوا فان فى الثريد بركة ثم قال الناظم (على
زلطها) وكثرة شوقى اليها وحسرتى على بعدها (قلبى يرف رفيف) اصله رفيفا
لانه مصدر حذفت الفه للضرورة اى يخفق خفقانا زائدا يشبه فى خفقانه
رف جناح الطائر من شدة الوجد على زلط هذه المفروكة والزلط مشتق من الزلط
بفتح اللام جمع زلطة وهى حجارة صغيرة ملساء تكون فى الرمال وسواحل البحر
وسمى زلط الطعام به لملوسته واندفاعه من غير مضغ اولان اللقمة تحاكى الزلطة
الكبيرة لان الزلطة لها قوة وسرعة فى رميها من اليد كما تقال زلطه فى راسك
بسرعة حتى يؤثر ضربها فى راسك فشبهت بذلك لانه ياخذ اللقمة منها بسرعة
ويحذفها فى حلقه ويزلطها كما يحذف الرجل الزلطة بشدة وقوة وايضا
الفطير لين واللبن رطب فلا يحتاج الى مضغ اسنان وهذا تاسف على فراق
هذا الماكول وصار من شدة وجده عليه يرف قلبه ويخفق كالغصن الذى عليه
طائر يتحرك ويرفرف بجناحيه وهذا من كثرة الشوق ودواعى الشهوة وانتظار
حصول المقصود والمطلوب فانك تجد العاشق دائما قلبه يخفق على فراق محبوبه
فلا يسكن الا اذا اجتمع به وتحدث معه ولاطفه فى الحديث وانس بالمسامرة
فهنالك يزول ما به وتسكن حواسه بانسه بحبيبه واجتماعه به قال سيدى
عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته

ومشبه بالغصن قلبى * لا يزال عليه طائر
حلو الحديث وانها * لحلاوة شقت مرائر
اشكو واشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر

الاَن كلام الاستاذ نفعنا الله بره ومشربه لبس مما نحن بصدده ثم انه الى على نفسه انه متى رأى لقانة ابن عمه الاتي ذكره ملآنة من الفت اكله كله لشدة شهوته وكثرة جوعه فقال

ص انا ان شفت لقانة ابن عمي مخيمر * ملانة من النفيت ملو طفيف

ش قوله (انا) يعني ابو شادوف لا احدا غيري (ان شفت) اي رأيت بعيني لا باذن كما تقدم تعريفه (لقانة) تقدم بيانها واشتقاقها وتعريفها (ابن عمي) اخو والدي (مخيمر) سمي بذلك لانه كان له نقرة كبيرة يخمر فيها الجلة وربما بال فيها ايضا اولانه تبانه بخميرة العيش لوالدته قبل خبزه اولاكله من العجين المخمر قبل تقريصه اولان وجهه يشبه الخميرة المشققة لبشاعته فانهم يعايرون بذلك ويقولون يا وجه الخميرة المشققة وقوله (ملانة) اي اللقانة (من النفيت) جمع فت وهو تكسير الخبز لقما صغارا وكبارا ومنها الصغار ويصب عليه العدس او البيسار حتى يبيس ويصير كقطع الحجارة (ملو طفيف) اي ملوا كاملا مطففا بمعنى انه زائد على حواف الاناء وهو مشتق من تطفيف الكيل او من طف الماء على الجروف اذا ارتفع عليها او من الطف محل بنواحي العراق من نواحي كربلا التي استشهد فيها سيدنا ومولانا وملاذنا الامام الحسين رضي الله تعالى عنه وملخص قصته رضي الله تعالى عنه قيل ان معاوية لما مات ارسل يزيد لعامله بالمدينة ان ياخذ البيعة من سيد شباب اهل الجنة سيدنا الامام الحسين فامتنع وخرج الى مكة المكرمة فاتت كتب العراق بانهم بايعوه بعد موت معاوية فاشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس وابن عمر وجماعة من الصحابة اشاروا بعدمه وبينوا له غدر اهل العراق وما فعلوه بابيه واخيه رضي الله عنهم وقالوا له ان كان ولابد فلا تاخذ اهلك معك فلم يفد ذلك فبكى ابن عباس وقال واحسيناه وارسل ابن عمه مسلم ابن عقيل الى اهل العراق ياخذ بيعتهم فاخذها وارسل اليه يستقدمه فخرج سيدنا الحسين من مكة قاصدا للعراق فعلم يزيد بخروجه فارسل الى واليه على الكوفة وهو عبيد الله بن زياد يامره بطلب مسلم وقتله ولم يبلغ حسينا ذلك حتى صار بينه وبين القادسية ثلاثة اميال فلقيه حر بن يزيد التميمي فقال له ارجع فاني لم ادع لك خلفي خيرا واخبره الخبر ولقيه الفرزدق فسأله فقال له قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية والقضاء ينزل من السماء فهم ان يرجع وكان معه اخو مسلم فقال له لا ترجع حتى ناخذ بثاره او نقتل وكان ابن زياد جهز له عشرة الاف وقيل عشرون الفا لملاقاته فوافاه بكربلا فنزل ومعه خمسة واربعون فارسا ونحو مائة راجل فلقيه الجيش والتمسوا منه

نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد بن معاوية فابى فقاتلوه وكان اكثر مقاتليه
الكاتبين اليه والمبايعين له فلما ايقن انهم مقاتلوه قام في اصحابه خطيبا
فحمد الله واثنى عليه وقال قد ترون من الامر ما ترون وان الدنيا تغيرت وتنكرت
وادبر معروفها واستمرت حتى لا يبقى منها الا صبابة الاناء والا خسيس عيش
كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن
في لقاء الله تعالى فاني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما
فقاتلوه فكان آخر الامر ان استشهد واستشهد معه سبعة عشر شابا من اهل
بيته وكانت هذه الواقعة بكربلاء كما رواه الطبراني قال العلامة سيدي
عبد الرؤوف المناوي نفعنا الله به في طبقاته فان قلت ينافيه ما ورد عن
الطبراني ايضا عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام قال
اخبرني جبريل ان الحسين رضي الله تعالى عنه يقتل بعدي بارض الطف وجاءني
جبريل بتربة منها واعلمني ان فيها مضجعه وبما رواه سعد عن امير المؤمنين
الامام علي رضي الله تعالى عنه قال دخلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم ذات يوم
وعيناه تفيضان فسألته فقال اخبرني جبريل ان حسينا يقتل بشاطئ
الفرات قلت لا تعارض لان الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر
بارض الطف وهي من بلاد كربلاء فاندفع التعارض والتأم الكلام وبان واستقام
على احسن نظام هذا كلامه نفعنا الله به (ولما فعلوا به ما فعلوا اخذوا راسه
واتوا به الى ابن زياد فارسله ومن معه من اهل بيته الى يزيد ومنهم علي بن الحسين
وكان مريضا وعمته زينب فلما قدموا على يزيد سر سرورا كثيرا واوقفهم موقف
السبي بباب المسجد واهانهم وبالغ في اهانتهم ولما وضعوا الراس الشريف بين يديه
صار يضرب ثناياه بقضيب كان معه وقد اخرج ابو يعلى عن ابي عبيدة مرفوعا
لا يزال امر امتي مرفوعا قائما بالقسط حتى يكون اول من يثلمه رجل من بني
امية يقال له يزيد وصح عن ابراهيم النخعي انه كان يقول لو كنت ممن قاتل
الحسين ثم ادخلت الجنة لاستحييت ان انظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم
وسمعت الجن تنوح عليه كما اخرجه به ابو نعيم وغيره (استشهد) يوم
عاشوراء يوم الجمعة سنة احدى وستين وكسفت الشمس وقت استشهاده
كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار واحمرت آفاق السماء مدة ستة اشهر
واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيامة قامت الكواكب ترى فيها كالدم
ومكثت الدنيا سبعة ايام كانها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة
تضرب بعضها بعضا ولم يقلب حجر في بيت المقدس يومئذ الا وجد تحته دم عبيط
وصار الورس الذي في عسكرهم رمادا ويرون في لحمها نيرانا وطبخوها فصارت

كالعلم ولما ساروا برأسه الى ابن معاوية قعدوا فى اول مرحلة يشربون الخمر فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم وهو

اترجو امة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

ولما وصلوا الى يزيد بن معاوية امر برد اهله الى المدينة وان يطاف بالرأس الشريف البلاد (وروى) ابن خالويه عن الاعمش عن منهال بن عمرو الاسدى قال والله رأيت رأس الحسين حين حمل وانا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ فى سورة الكهف حتى بلغ الى قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فنطق الرأس الشريف بلسان عربى فصيح وقال جهارا اعجب من اصحاب الكهف قتلى وحملى وقال ابن مجرود من طريق عن على كرم الله وجهه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب اهل الدنيا واختلفوا فى رأس الحسين عند مصيره الى الشام الى اين صار وفى اى موضع استقر فذهبت طائفة الى انه طيف به حتى انتهى الى عسقلان فلاقاه اميرها ودفنه بها فلما غلبت الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى الى لقائه من عدة مراحل ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة وذكر آخرون انه حمل الى المدينة مع اهله ودفن بالبقيع والذى عليه طائفة من الصوفية انه فى المشهد القاهرى رضى الله عنهم اجمعين وقد تقدم ان الطف محل بالعراق من نواحى كربلاء وكما الفرات فمبدؤه من بلاد قالى قلا من ثغور ارمينية من جبل هناك يدعى ابوزحس على نحو يوم من قالى قلا وهو يجرى فى ارض الروم الى ان يأتى بلاد ملطية ومقدار جريانه على وجه الارض نحو خمسمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك والاكثر من مائة ينتهى الى بلاد الحيرة وهو نهر بين الى هذا الوقت يعرف بالعتيق وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم وهى وقعة القادسية فيصب فى البحر الحبشى وكان البحر يومئذ فى الموضع المعروف بالنجف وكان يقدم عليه سفن الصين والهند وترد الى ملوك الحيرة وقد ذكر ان خالد ابن الوليد المخزومى لما اقبل يريد الحيرة فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وذلك بعد فتح اليمامة ورآه اهل الحيرة فتحصنوا منه فى القصر الابيض وقصر القادسية وقصر بنى نفيلة وهذه القصور كانت بالحيرة وهى الآن خراب لا انيس بها ومنها وبين الكوفة ثلاثة اميال فلما نظر خالد بن الوليد الى اهل الحيرة وقد تحصنوا منه امر العساكران تنزل بالنجف بالنجف واقبل خالد على فرسه هو وضرار بن الازور الاسدى وكان من فرسان العرب فوقفا قبال قصر بنى نفيلة فجعل العباديون يضربونهما

بالخزف فصار فرسه ينفر فقال له ضرار اصلحك الله ليس لهم مكيده اعظم مما نرى فمضى
خالد فنزل في عسكره فبعث اليهم ان يبعثوا له رجلا من عقلائهم وذوى انسابهم
يسأله عن امرهم فبعثوا اليه عبد بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة وهو الذى بنى
القصر الابيض فأتى خالدا وله يومئذ ثلثمائة وخمسون سنة فاقبل يمشى فنظر اليه
خالد وهو مقبل فقال من اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من صلب ابى قال فمن اين
جئت قال من بطن امى قال فعلام انت ويحك قال على الارض قال ففيما انت لاكنت قال
فى ثيابى قال اتعقل قال لا عقلت قال اى والله واى قال ابن كم انت قال ابن رجل
واحد قال اخزه من اهل بلده كلما اريد ان اسأله عن الشئ يجيب عن غيره قال
والله ما اجبتك الا عما سألتنى قال اعرب انتم ام نبط قال عرب استنبطنا ونبط
استعربنا قال احرب انتم ام سلم قال لا بل سلم قال فما بال هذه الحصون قال بنيناها
للسفيه نحبسه حتى يأتى الحكيم فينهاه قال كم لك من السنين قال خمسون وثلثمائة
سنة ادركت سفن البحر تأتى الينا فى هذا النجف بمتاع السند والهند وامواج
البحر تضرب ما تحت قدميك وانظر كم بينها اليوم وبين البحر ورأيت المرأة تأخذ مكتلها
فتضعه على رأسها لا تتزود الا رغيفا واحدا فلا تزال فى قرى عامرة متواترة وعمائر
متصلة واشجار مثمرة وانهار جارية وغدران متدفقة حتى ترد الشام وتراها
اليوم قد اصبحت خرابا وذلك دأب الله فى البلاد والعباد فرحمه خالد ومن حضره
لما سمعوه منه وعرفوه وكان مشهورا فى العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل وكان
معه سم ساعة فقال له خالد ما تصنع به قال اتيتك فان يكن عندك ما يسرنى ويوافق
اهل بلدى قبلته وحمدت الله عليه وان يكن غيره لم اكن اول من ساق الى اهل بلده
حزنا وبلاء فآكل هذا السم واستريح من الدنيا فان ما بقى من عمرى الا اليسير
فقال له خالد هاته فأخذه ووضعه فى راحته ثم قال بسم الله وبالله رب الارض
والسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء ثم استفه
فتجللته غشية وضرب بذقنه فى صدره ساعة ثم افاق كأنما نشط من عقال
فانصرف العبادى الى قومه وكان عبادى المذهب وهم النسطورية من النصارى
فقال يا قوم قد جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره فصالحوه
واخرجوه عنكم فصالحوه على مائة الف درهم قال المسعودى وانما ذكرنا
هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلنا من تنقل البحار وتقلب العيون والانهار
على مرور الدهور والاعصار وحكاها شهاب الدين ابن العماد فى حكايته
فى المنهل السعيد كذلك ثم ان الناظم نبه على عدم الاكتفاء بروايته وانه
لا يكفيه الا اكله جميعهم فقال

ص فنثرته جميعه ما اكلت بقيته * لغيرى ولا عندى بذا توقيف

ش قوله (قشرته جميعه) القشر في الاكل وغيره اخذ الشيء جميعه او انلافه ويتفاءل به فيقال كعب فلان اقشر ومنه يقال اكعاب واعتاب ونواصي ويقال امراة قشراء ورجل اقشر يعني انه قليل البركة قليل الرزق تأتي قلة البركة وقلة الرزق عند حلوله ودخوله على الشخص ونحو ذلك وكان في فهمنا رجل قصاب يقال له سكيكر عشق امراة جميلة يقال لها كعب الخير فلما شغف بحبها ماتت وتحسر على موتها وحزن عليها حزنا شديدا فقال فيه بعض الادباء (مواليا)

صحبة سكيكر لكعب الخير كانت فال * لو كعب اقشر قشرها بالعجل في الحال
لو شا رحل الموت او شغفوا على الاهمال * قلت اقلع بو وخلي كعب في الخلخال

ومنه قصة طويس المذكوره في الكتب وكلها اشيا يجريها الله تعالى على يد من يشاء من خير او شر والا ففي الحديث الشريف لاعدوى ولا طيرة ولا فال (ونعق) غراب فقال رجل خير ان شاء الله فسمعه بعض العارفين فنهر الرجل وزجره وقال له لا تقل هذا اهل الخير والشر الا بيد الله تعالى وقوله (قشرته جميعه) اي اكلته جميعه ولا ابقي منه شيئا لغيري وعندي مجاعة شديدة ففي راية لا ابقي منه شيا وهذا من قبيل قلة البركة لان الشخص اذا شره في الطعام وارخى نفسه عليه واكل منه زائدا عن القدر المعتاد ضره واذاه وتولد منه الامراض والهذايل واكثر موت الناس بالتخم قال الشاعر

اذا شئت ان تحيى صحيحا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل اكل المرء عاش طويلا

قيل اجتمع عند ملك الهند ثلاثة من الحكماء هندي ورومي ومصري فقال لهم الملك ليصف لي كل واحد دواء لا داء معه فقال الهندي الدواء الذي لا داء معه ان تفطر كل يوم على شيء من بذر الهندبا وقال الرومي الدواء الذي لا داء معه ان تفطر كل يوم على ثلاث جرعات من الماء الساخن وقال المصري الدواء الذي لا داء معه ان لا تاكل الا بعد الجوع وان تقوم وانت تشتهي الطعام فانك لا ترى علة الا علة الموت فقالوا كلهم صدق المصري ولما ارسل المقوقس ملك مصر الى النبي صلى الله عليه وسلم الجاريتين مارية وسيرين وكانتا من مدينة انصنا التي الان خراب على شاطئ النيل من اقليم الصعيد وارسل له البغلة المسماة بدلدل وارسل له عسل من بنها قرية من قرى مصر من نواحي القليوبية وارسل مع هذه الهدية حكيما وقال ان قبل الهدية ورد الحكيم فهو نبي فلما وصلت الهدية والحكيم الى النبي صلى الله عليه وسلم قبلها ورد الحكيم وقال نحن قوم لا نأكل الا بعد الجوع واذا اكلنا لا نشبع فلا نحتاج الحكيم فلما بلغ المقوقس ما قاله النبي

صلى الله عليه وسلم قال بالمن نبي عظيم جمع الحكمة في كلمتين وفي الحديث جوعوا تصحوا فالجوع محل النشاط للعباده ويتولد منه صحة الجسم وعدم الامراض خصوصا لاصحاب الرياضات وارباب الخلوات فان نتيجتهم في ذلك الجوع لما ذكره العارف بالله تعالى الامام البوني في بعض كتبه انها لا تنفع رياضة لاحد وفي قلبه مثقال حبة من شبع وأما كثرة الاكل فانها تنشأ من امور اما من شدة الشره على الطعام او يكون ذلك عادة فقد رأينا من اكل الماجور الطعام ولم يشبع ورأينا من اكل مائة بيضة مشوية ولم يشبع وكان بعض الجن يأكل الفصيل مشويا في غدائه واكله يوما واراد ان يجامع زوجته فامتنعت فعاتبها فقالت كيف تصل الى وبيني وبينك فصيل * وذكر سيدي محيي الدين ابن العربي نفعنا الله به في مواقع النجوم ان ابن عبد الملك كان اكولا مر برجل معه زنبيل بيض مشوي وتين فاكل ما فيهما فمرض ومات بذلك وكان الوليد من بني امية ملكا جبارا عنيدا وكان يشرب الزق الخمر ويأكل الفصيل وفتح المصحف فرأى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزقه وانشد يقول

تهددني بجبار عنيد * وها انا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقني الوليد

وهذا كله من تعنته وتجبره وكان المأمون يأكل كثيرا فاصطنع له بعض الحكماء المأمونية فصار يأكل منها فانسدت معدته وقل اكله لأن قليلها يغذي الشخص ولهذا نسبت اليه واما ما اتفق لبعض الاولياء من انه كان يأكل الطعام الكثير الذي يكفي الجماعة الكثيرة فانما هو من باب التصريف واظهار الكرامة وقال ابن خلكان كان سليمان بن عبد الملك يأكل كل يوم نحو مائة رطل شاميا وكان بها عرج وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه ان سليمان بن عبد الملك المذكور كان نهما في الاكل وقد نقل عنه اشياء عجيبة منها انه اصطبح بعض الايام باربعين دجاجة مشوية واربعين بيضة واربعة وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ثم اكل مع الناس في السماط العام ومنها انه دخل ذات يوم بستانا له وكان قد امر قيمه بجني ثماره ويستطيب له منها وكان معه اصحابه فاكل القوم حتى اكتفى واستمر هو يأكل اكلا ذريعا ثم استدعى بشاة مشوية فاكلها ثم مال الى الفاكهة فاكل منها اكلا ذريعا ثم اتي بدجاجتين مشويتين ثم اتي باناء يقعد فيه الرجل مملوء سمنا وسويقا وسكرا فاكله اجمع ثم سار الى دار الخلافة والى السماط فاكل مع الحاضرين كأنه ما اكل شيئا ومنها انه حج فاتى الطائف فاكل سبعمائة رمانة وخاروفا

وست دجاجات واتى بمكول عنب فاكله اجمع ومنها انه كان له بستان فجاءه رجل ليضمنه ودفع له قدرا من المال واستوذن فى ذلك فدخل البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره ثم اذن فى ضمانه فلما قيل للضامن احمل المال كان قال كان ذلك قبل ان يأذن امير المؤمنين وقيل كان سبب موته انه اكل اربعمائة بيضة وثمانمائة تينة واربعمائة كلوه بشحمها وعشرين دجاجة محرة وفشت الحمى فى عسكره وكان موته بالحمى انتهى والله اعلم (قيل) ان رجلا اكولا فى سفره واضافته زوجته فاضافه انسان واجلسه وكانت زوجته فى الفرن تخبز العيش فاتاه بجانب من الخبز وذهب يأتى بالادم فلما رجع وجده قد اكل الخبز جميعه فوضع عنده الادم وذهب يأتى له بخبز آخر ورجع فوجده اكل الادم جميعه ولم يزل على هذه الحالة حتى اكل جميع ما خبزته زوجته وكذا اكل الادم فقال له الرجل يريد معه المداعبه والمباسطة لما رأى منه هذه الحالة الى اين تمضى فقال الى مصر قال الك حاجة فيها قال نعم قال له وما هى قال وصف لى بها طبيب حاذق فقصدت الذهاب اليه قال لاى شئ قال انا رجل قليل الاكل وانسدت معدتى ومرادى منه شئ يصفه لى لعلى اقطع فى الاكل قال له الرجل انا بقالى عليك احسان ولكن سألتك بالله اذا قضيت حاجتك من الطبيب ورجعت فلا تمر على منزلى ان كان هذا افعالك ومعدتك مسدوده فكيف اذا انسعت ثم انه اخرجه من منزله وتوجه الى حال سبيله وقوله (ماتركت بقيتو لغيرى) اى لاحد غيرى قريب او بعيد (ولا عندى بذا توقيف) اى لا توقف فى الاكل ولا استحى من احد اذا كان مارا ولا اعزم ولا اطعم غيرى منه ولا انظر فيه ان كان باردا او حارا او مقاربا او من حرام او من حلال فعلى كل حال لا انظر لهذا المعنى ولا التفت لهذا الامر ولا اطعم غيرى ثم ان الناظم تشوق الى مأكول من السمك المالح يقال له الفسيخ وتمناه واشتهاه فقال

ص انا خاطرى اكلت فسيخ على النده * اضال عليها باكيا واسيف

ش قوله (انا) يعنى ابو شادوف لا غيرى كما تقدم معناه فى ابيات كثيرة هنا (خاطرى) اى مرادى ودائما يخطر ببالى ذلك الامر وانا متشوق اليه ومشتهيه ومنتظره وهو (اكلت فسيخ) والاكلة واحدة الاكل والفسيخ نوع من السمك يقال له البورى ونوع آخر يقال له الطوبار يأخذونه ويضعونه على بعضه البعض بعد ان يضعوا على كل رصة حابا من الملح فينتفع به ثم يسيل منه ماء ثم يضمر ويصلحه الملح ويشده ثم انهم يأخذوه ويبيعوه ويأكله اهل الريف وغيرهم يأخذون الفسيخ منه ويشقون بطنها ويضعها الرجل والمراة على يده اليسرى او فى يديه الاثنين

ويعصر عليها الليمون وينتش منها لقمة لقمة يأخذ بفمه القطعة من اللحم ويأخذ عليها اللقمة من الخبز فيصير مثل الكلب الذى ينتش الرمة مثلا ويعلو فمه ويديه القذارة والرائحة الخبيثة ويأكلونه حتى فى الاسواق واغرب من هذا انه اخبرنى من اثق به من اهل سمنود انه دخل مطهرة مسجد ولى من على البحر يقال له العدوى نفعنا الله به فرأى شخصا من الارياف قاعدا فى بيت الخلاء ومعه فسيخه ورغيف يأكل منهما فقام عليه وقال له تأكل فى بيت الخلاء فقال له انت تطردنى من بيت الخلاء وهو مسجد المسلمين والا مرادك تأخذ منى الفسيخ فخرج من غير استنجاء والفسيخ فى يده وراح الى حال سبيله * ولكن له عند نساء الارياف موقع عظيم وشهوة لا يعدلها شئ خصوصا اهالى الكفور وبلاد الملق فانهم لا يرونه الا من النيل يجئ لهم من دمياط ورشيد فى المراكب ويباع عندهم بالقمح والدراهم ولهم فيه رغبة زائدة ويجلب للصعيد وغيره وهو مشهور ببلاد مصر (واما) فسيخ البطارخ فانهم يبقونه فى الهواء الى انه يجد ويصير يابسا عن الفسيخ وهو ما كول الاكابر ويسمى بطارخا لان جوفه ملآن بطارخ بخلاف الفسيخ فانه خالى عن ذلك ويأكلونه بالخل والزيت وربما اضافوا اليه الثوم والبصل الحمر وطين والجرارات وهو شهوة عظيمة فى بلاد المدن وغيرها يكلفون الاكلة منه كلفة زائدة ويأكلونه وحده ويسمونه صرب بكسر الصاد الاولى ويعملون البطارخ الذى فى جوفه فى اناء ثانى ويضعون عليه الزيت الطيب والشيرج وكل هذا له لذة عظيمة لكنه حار يابس واعتدال اكله فى الشتاء وسمى الفسيخ فسيخا لتفسخ عند الاكل او ان الذى صنعه او لا خرج منه ريح عند اكله فتسمى آخر فقال فسى اخ فركبوا هاتين الكلمتين وجعلوها علما وقالوا فسيخ * وقوله * (على السدى) * اى وقت نزول السدى لاجل برودة الزمن لان الفسيخ حار يابس فاذا كان فى اول النهار ربما اعتدل اكله هذا اذا كان فى زمن الصيف * واما زمن الشتاء فهو اى وقت كان ويستحب ان يشرب عليه شرابا حلوا ويوكل عليه عسل فانه يذهب ضرره واذاه وقوله اضنانى * تقدم معناه (عليها) اى على هذه الحالة والاكلة من الفسيخ لشدة شهوة نفسى الخبيثة اليه * (باكيا) * اى استمر على عدم حصول هذه الاكلة باكيا والبكاء هو عبرة الدموع وسقوطها على الخدود ويقال بكت السماء اذا نزل منها المطر وبكاء السحاب قال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قال الشاعر

ولكن بكت قبلى فاورثنى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وهو مشتق من بلت للبرعم اذا خرج منه الدم وقوله (واسيف) سكنه لضرورة

النظم لان اصلم اضالا اسيفا على هذه الاكلة حتى تحصل لى فلا انفك عن هذه الحزن حتى كل منها واشبع والاسف هو شدة الوجد على فقد الحبيب و بعد الصديق قال الشاعر

وما اسفى الاعلى من اوده * ومن لا اوده وما عليه سلام
ولبعضهم وما عتبى الاعلى من اوده * ومن لا اوده وما عليه عتاب

وقال بعضهم

اعاتب ذا المودة من صديق * اذا ما رابنى منه اجتناب
اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

ولبعضهم

وانت اخى ما لم تكن لى حاجة * وان عرضت ايقنت ان لا اخا ليا
ولست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

وقال اخر

لما رايت بنى الزمان وما بهم * خل وفى للشدائد اصطفى *
ايقنت ان المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى *

وقال آخر

صديقك فى هذا الزمان منافق * وخلك زره واحذر بوائقه *
ونافق فقد آن النفاق ولا تخف * كساد اقاسواق المنافق نافقة
فلا تخش الا الله لا رب غيره * ثم ارفع الدنيا لحر ولا تقه

وقال اخر

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لا يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

وقال آخر

انت ما احتجت الى صا * حبك الدهر اخوه *
واذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه
لو راى الناس نبيا * سائلا ما وصلوه

وقيل فى الفرق بين الصاحب والصديق والخليل والحبيب ان الصاحب من طالت عشرته ويفرح لفرحك و يحزن لحزنك ويعادى من تعادى ويصاحب من تصاحب * والخليل من طالت عشرته بك وتخللت محبته فى الاعضاء والحبيب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك لخ وتخللت محبته فى الاعضاء ولو طلب الفداء لفديته بمالك وبروحك * ثم ان الناظم انتقل من

شهوة الخبيث الى الطيب فقال

ص على من نضر في قرن دار وطواجن * زغاليل من برج ابن ابو شعنيف

ش * (قوله) * على من نضر * بالمعنى لا في قرن * وهو ما تضرم فيه النار ويخبز فيه الخبز وتقدم تعريفه في الجزء الاول من هذا الكتاب (داره) اى دار الناظم فالضمير في داره راجع اليه يعني لا يكون في دار غيره ولا تكون الطواجن في قرن غير قرنه لاجل ما يصير مطمئن الخاطر منشرح الصدر اذا حصل له ذلك وقوله (طواجن) جمع طاجن وتقدم معناه مملآن (زغاليل) وهي افراخ الحمام البري المتخذ من الابراج ويقال له الحمام الغيطي لانه يرعى في الغيطان ومحلات الزرع والاجران واكلها نافع يقوي الباه اذا اضيف اليها الحوارات والسمن البقري فلا تنسا لعن جودة طعمها ولذة اكلها والحمام اسم جنس شامل لكل ما عب وهدر ثم انه بين ان الزغاليل التي اشار اليها لا تكون الا من برج لا من الزغاليل المتولدة من حمام البيوت والبرج واحد البروج ويطلق على برج القلعة وبرج الكواكب والكلام هنا على برج الحمام وهو بناء مستدير حوله بعضه البعض فيه قواديس تجار ياتي اليها الحمام البري ويبات في تلك القواديس ويفرخ ويجز فيها ايضا ويسمون خراه عندهم ربما يأخذونه لزرع البطيخ والفجل يطعمونه به وامره عندهم مشهور ويأخذون من فراخهم ويبيعون ويبعثون وهكذا في سائر البلاد واسم الزغاليل مشتق من الزغللة وهو نبات ازرق اللون شبهت به الزغاليل لحسن زرقة ريشها وانه مشتق من الزغلية طائفة يصنعون الفضة الزغل ويسمونها العصافير ويسمون القرش قرش والهم الذي يصنعون به زبيب والمكبر الذي يحمون به الشيخ ولهم اصطلاح في هذه الصنعة لكن تراهم دائما في شدة خوف من الحكام وفقر زائد وقلة بركة * وسئل الامام الشافعي رضي الله عنه عن الكيمياء فقال اعرف من افتقر بها لا من استغنى فكذلك الحمام في كل قليل من الايام يدخلون عليه ويأخذون افراخه ويذبحونهم ويبيعون منهم فهم دائما في خوف مثل الزغلية وواحد الزغاليل زغلول كما ان واحد الهبابيل هبول والبرج مشتق من التبرج وهو المباهاة بالزينة قال تعالى ولا متبرجات بزينة (مسئلة) هل بين الحمام الطائر وبين الحمام المعروف ببلاد المدن المعد للغسل ونظافة الاجساد مناسبة مع ان اللفظ واحد لا يختلف الا بتشديد الميم الاولى في الحمام كيف الحال (قلنا الجواب) المشهور ان المناسبة يمكن حصولها من وجهين وجه قياسي ووجه طبي فالاول ان الحمام فيه ازدحام الناس وكثرتهم على الحيضان والمغاطس واشتغالهم مع بعضهم البعض وانبساطهم بالكلام والمنادمات ونحو ذلك وكذلك برج الحمام فيه ازدحام

الحمام على بعضه البعض وائتلافه ودخوله القواديس لافراخه وتغريده وتهديره وغير ذلك فكانت قواديسه تشبه للحيضان والمغاطس ودخوله لافراخه يشبه الخلاوى والاجتماع بالاولاد المرد لاجل التكبيس والتمسيس ونحوه وصعوده بعد ذلك الى اعلا البرج وذهابه لاكتسابه رزقه مثل خروج الناس من الحمام يكتسبون ارزاقهم ومعاشهم كما فى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فهذا هو وجه القياس الفطيسى * (والوجه الثانى) * ان الحمام حار رطب ينفع جميع الاعضاء اذا كانت حرارته معتدلة واحسن الحمامات ماقدم بناؤه واتسع فضاؤه وفيه منافع كثيرة حتى قيل انه الطبيب الابكم وكذلك لحم الحمام فانه مسخن محرك للباه وان كان فى افراخه الرطوبة والغلظ لاسيما اذا اضيف اليه الحرارات كما تقدم فان نفعه يكون تاما واجوده الحمام البرى واما الذى فى البيوت فان المداومة على اكله يتولد منها الحمى وزيادة الدم فكان فى ذلك المناسبة للحمام من هذا المعنى كاتجه الجواب عن وجه هذا المثال واما اسم الحمام الطائر فانه مشتق من الحوم وهو التردد فى الطيران يقال حام الطائر يحوم اذا فعل ماتقدم ومصدره حام يحوم حوما (واما الحمام) المبنى فانه مشتق من الحمى وهى السخونة لان الشخص اذا دخله صار كانه متلبس بالحمى لما يعتريه من الحرارة وحدوث العرق او من الحموم وهو الغطوس فى الماء من قولهم فلان استحم فى البحر بمعنى انه سبح فيه وغطس او من الحميم وهو الماء الشديد السخونة والحرارة ويطلق على الصديق المحب لما فى المحبة من شدة الحرارة والشوق ومنه قوله تعالى فما للظالمين من حميم ولا شفيع اى محب يشفع لهم ولشدة حرارته وقوة افعاله شددت ميمه الاولى * (واما الحمام) * بكسر الميم فهو الموت فان حاءه ما كسرت الا لان الشخص يكون فى حال حياته فى شدة وقوة فاذا مات انخفض حاله ومضى حكمه ولم يبق الا اثره

قال الشاعر

تلك اثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الاثار

وهو مشتق من الشدة يقال احم الامر اذا اشتد ولا شك ان للموت شدة عظيمة فى خروج الروح وخلوصها من الجسد ونحو ذلك انتهت الابحاث القشرية والمصادر الهبالية وقوله (ابن) ويطلق عليه ولد ونجل يقال ولد فلان ونجل فلان * (ابو شعنيف) اصله ابو لكن لم يساعده لسانا لجهرته فى الكلام وهذه كنيته * واما اسمه الاصلى فهو عفلق او عجلق على ما قيل وابنه المذكور فى النظم اسمه فلحس وهو من اسماء الكلب واشتهاره بهذه الكنية لانه كان يسرق الحشيش

المسمى

المسمى بالنيف المتقدم ذكره ويضحك للبها ثم فشاع خبره بالسرقة وصار يقال في البلد شاع بالنيف اى بسرقة النيف ثم انهم حذفوا الجار والمجرور وابقوا الاسم والفعل وركبوه تركيبا مزجيا وقالوا ابو شعنيف وهو مشتق من الشعنفة على وزن الفلطة ولعلها بمعناها ومصدره شعنف يشعنف شعنفة * ثم ان الناظم بين كيفية اكله في الزغاليل وانها تؤكل بالفطير فقال

ص وفطر فطائر من فطير ابن عمه * ويقعد لها قعدة غلام خسيف

ش قوله (وفطر) على وزن وشمر قال الشاعر

وشمر عن اير وطرطر عامدا * عليها ببول فهى في البول تغرق

ومعناه انه يقول اذا حصلت لي تلك الطواجن الزغاليل وقضى الله مرادى بحصولها عندى لا يلذ لي اكلها الا بالفطير فلهذا قال (فطائر) مصدره مثل عمل عمايل او مثل قشر قشاير ومعناه ابطط او اصنع فطيرا والفطاير جمع فطيرة ويجمع على الفطير مثل خميرة وخمير او حجارة وحجر والفطير ثقيل غليظ لا يوافق الادمى لانه يولد الارياح هذا اذا اكل وحده واما مع غيره فلا باس به وهذا كله في فطير الريف الذى اراده الناظم فانهم ياخذون الدقيق لا غير ويعجنونه بالماء من غير خمير ويصنعونه في الفرن او يدمسونه في الجورة ويقال له فطير دماسى ثم انهم ياخذونه وياكلونه فهذا هو الثقيل المنهى عنه واما الفطير الذى تفعله الاكابر فهو من الدقيق العلامة ويلبسونه بالسمن والعسل النحل فهذا لا باس به وكذلك الذى يصنعونه وقت عجنه بالسمن ويخبزونه للفطور ونحوه فهذا لا باس به ايضا بل هو المطلوب وقوله (من فطير ابن عمه) واسمه غنداق اى يكون ابن عمه يتبرع له به من غير مقابل او يعيره الدقيق حتى يفتح الله عليه ويرده له او يهبه اياه او يتمكن من سرقته ويخبزه في الفرن او الجورة ويخرج الطاجن الزغاليل من الفرن ويفت في مرقها الفطاير المذكورة ويتاهب للاكل منها (ويقعد لها) اى للزغاليل او المجموع ذلك (قعدة) اى مثل قعدة (غلام) وهو الذى اطر شاربه قال الشاعر

منا الغلام الذى اطر شاربه * والعائشون ومنا المرد والشيب

وقيل الغلام من بلغ تسع سنين من حين الفطام وقيل من جاوز الكمال والشدة وقوله (خسيف) صفة للغلام اى عنده خسافة اى تفكر وكآبة وشدة حزن فاكون مثله عندى تفكر وشدة جوع فما اصدق ان ارى هذا الطعام وهذا الفطير واكل منه حتى اكتفى ويذهب جوعى وتفكيرى

شهوتي مثل الغلام الذي اعتراه الحزن والاسف وقعد متفكراً حتى يذهب الله حزنه ويجمع على احبابه فيزول همه وينسر بلقائهم فان اجتماع الاحبة عيد كما اتفق ان بعض العارفين مر برجلين ياكلان في رمضان فقال لهما ما امركما قالا نحن محبين صادقين فرقنا الدهر مدة ثم اجتمعنا في هذا اليوم واجتماع المحبين عيد وصوم يوم العيد حرام فقال ما علامة محبتكما فقال احدهما اجرح ذراعي فجرحه فخرج الدم من ذراع الاخر من غير جرح فصارت ارواحهما واجسادهما كانها روح واحدة في جسد واحد كما قال ابن العربي نفعنا الله به

نحن جسمين بجسم واحد * نحن روحين حللنا جسدا

وقال ايضاً عفي عنه

ولما التقينا للوداع حسبتنا * لدى الضم والتعنيق حرفا مشددا
ونحن وان كنا مثنى شخوصنا * فما تبصر الابصار الا موحدا

قال ابن هاني عفي عنه

لم يخلق الرحمن احسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تالفت القلوب مع الهوى * فالناس تقطع في حديد واحد
واذا صفا لك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد

وله ايضاً رضي الله عنه

لا يعرف العشق الا من عشقا * وليس من قال اني عاشق صدقا
للعاشقين بحور يغرقون بها * لانهم عالجوا الاشواق والحرقا

وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المتحابين في الله في ظل العرش وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش ثم ان الناظم انتقل الى شهوة اخرى تمناها فقال

ص على من نضر طاجن سمك في فرنه * ولو كان يا اخواني بلا انضيف

ش قوله (على من نضر) بعينه لا سمع باذنه (طاجن) ملان (سمك) والسمك اسم جنس شامل لانواع كثيرة احل الله تعالى اكله هو والجراد حياً وميتاً وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال والكبير من السمك بارد رطب غليظ والصغير بارد رطب لطيف واجوده الطري واذا طبخ بالسمن والبصل والبهارات الحارة اعتدل وزاد في الباه والمالح احر من الطري وايبس وينفع الكبير منه اذا يؤكل مع شراب عتيق وفالوذج خصوصاً اذا كان متخذاً من ماء عذب جاري والمغلس منه

اولى من غيره قال بعض الحكماء كل منه ما تفلس واترك منه ما تملس والمتفلس
منه مثل البوري والقجاج والبني فان كل واحد منها له لذة عظيمة وتتفاوت في
الطعم واللذة فاما البوري فيحشى بالبصل والحرارات ويعمل على الارز المفلفل
ويعمل ايضا في الطواجن مرقة وغيرها وله لذة عظيمة ويعمل ايضا بالكشك
وقد اكلته في دمياط مرارا ويعمل ايضا بارز لكن قليل عن المفلفل يضيفون عليه
ماء الليمون ويسمونه قفاعية واكلته وله لذة عظيمة وطعمية لطيفة * واما
القجاج فانه على دقته واطيب طعما من البوري وهو يشبه الشبار الكبير
وفي المثل اذا عدم الدجاج كل القجاج ويتنوع في الاطعمة مثل البوري واما
السمك البني فانه الذ في الطعمية من الكل ولا يوجد الا في قاع البحر العذب
يحتالون على صيده ويأخذونه ويهادون به الاكابر والامرا والوزرا وهو جيد
الطعم كثير النفع عن غيره خصوصا اذا قلي وحشي فلا تسأل عن لذة طعمه
فانك تود ان تأكل اصابعك من حسنه وفي المثل من لسان حال البني ان رأيت
احسن مني فلا تأكلني * ونوع في السمك يقال له شبار له لذة في الطعم والماكل
وقد ورد انه يأكل من حشيش الجنة وكل هذا بعيد عن مقصد الناظم وانما
مراده السمك الذي يصيده من بلاده لما ينزل عنها ماء النيل وتصير البرك والنقر
ملآنة بالماء فيتولد فيها سمك قراميط سود وشبار صغير وصير وتخوض لذلك
فتنزل اولادهم ويصيدون منها فيأتون به وينظفونه ويضعونه في الطواجن
ويضعون عليه شيئا يسيرا من الزيت الحار وبعض بصل مخروط ويضعونه
في الفرن الى ان يأخذ قوامه فيأكلونه بخبز الاذرة او الشعير ويصير له
زفرة ورائحة كريهة وهو عندهم الذ المأكول ويأتون بالقراميط السود
الصغار ويدفنونها في الجورة الى ان تتغير يسيرا ويأكلونها اعاذنا الله من ذلك
ويذكر السمك تذكرت مما اتفق ان رجلا كان يهوى امرأة بديعة الحسن والجمال
وكان زوجها من اخواننا المطاعيم المفلفلين فرملها عاشقها يوما وقال لها
طال الموعد فقالت له في غد تأتيني في آخر النهار ثم انها احتالت وقالت
لزوجها قد اشتهينا السمك نطبخه في هذا اليوم ونأكله فمضى الى السوق
واتى به فنظفته واصلحت شأنه ووضعته في طاجن كبير وقالت له خذه وامض به
الى الفران وارجع من حينه وقل للفران يرسله مع غلامه اذان العصر
فاخذه زوجها وذهب به الى الفران واعلمه بما قالت زوجته فقال له سمعا
وطاعة ثم ان الفران ارسله لها في الوقت المعلوم فبينما هي مستترة واذا
بصاحبها الذي وعدته يطرق الباب ففتحت له ودخل واكل من ذلك

السمك ونتمتع بحسنها وجمالها وقضى منها مراده فبينما هو معها فى الحديث اذ طرق زوجها
الباب فارتعب الرجل فقالت له لا تخش من شئ والزم الصمت ولا تتكلم ثم انها فتحت
لزوجها الباب واظهرت له الحزن والبكاء فقال لها ما الذى اصابك فقالت له
اسكت يا راجل لما تسكن روحى فى قلبى انا لم اقدر ارد عليك وكانت وقعتى
معك وقعت الشوم ارأى القران يرسل الولد بالطاجن السمك فلما كشفتوا
نا كل منه طلع لى راجل من جوا الطاجن وقعد ومن خضتى منه واخافه لا يطلع
على شئ وهو قاعد ولولا استحيت كنت خرجت الى السكة وانا طول عمرى
ما حد شافنى ولا نعرف حد غيرك قال فطلع زوجها يجرى منى طالع الى الرواق
فرآه جالسا بجانب الطاجن فقال له ذلك المطعوم من حطك فى الطاجن يا ترى
هو القران والاصبيه فلم يتكلم بشئ فعند ذلك قالت له زوجته خذه وروح به
الى القران وهو يخبرك بحقيقة الحال وقل له من ذا الوقت لا تحط فى طاجننا
حد يخوفنا ويشوش علينا قال فمسك الرجل من يده وتوجه به الى القران
واعلمه بالقصة فعرف القران الامر وتحقق القضية فقام وعمل انه يضرب الرجل
وقال له انا وضعتك فى طاجن اللحم حتى تغنى ونزلت فى السمك ان بقيت تخافى
اشوش عليك ونضربك فقال الرجل للقران يا سيدى ما عدت اخالفك ابدا الطاجن
الذى توضعنى فيه لا اطلع منه ابدا ثم ان القران قال لزوجها اخبر زوجتك انى
شوشت عليه ولا بقى ينزل فى طاجنها ابدا قال فمضى زوجها ولخبرها بالقصة ففرحت
وقالت ان عاد يحط لنا احد فى طاجننا ما بقينا نطبخ عنده شئ ابدا ثم تركها زوجها
ومضى الى اشغاله فانظر الى هذا التغفل العظيم * ومن العجائب ان بعضهم صاد سمكة
فرأى مكتوبا على جانبه الايمن بالقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فاطلقها لاجل كلمة
التوحيد والشهادة واعجب من هذا ان بعض الاولياء كان فى سفينة فهاجت
الريح واشرفت السفينة على الغرق فقال هذا الولى اسكن ايها البحر فانما على
ظهرك بحر مثلك اى بحر من العلوم فسكن البحر وبطل الريح باذن الله تعالى فخرجت
من البحر سمكة عظيمة وخاطبت هذا العارف وقالت له تزعم انك ولى وبحر فى العلوم
والمعرفة ولكن انا اسئلك عن مسئلة اترد جوابها قال قولى فتكلمت السمكة
بلسان فصيح وقالت له اذا مسخ الرجل هل تعتد زوجته عدة الاحياء ام عدة الاموات
فتحير الشيخ فى امره ولم يرد لها جوابا فقالت السمكة اين دعواك فى بحر العلوم
فقال انى استغفر الله مما قلت فارشدينى الى الصواب فقالت له ان مسخ جمادا
تعتد عدة الاموات وان مسخ حيوانا تعتد عدة الاحياء ثم انها غابت فى البحر
فتاب الولى من دعواه ورجع الى الله سبحانه وتعالى ومن كرمه انه يقبل التوبة
عن عباده فسبحان القادر على كل شئ وهو العزيز الرحيم فعجائب البحر لا تحصى

ويذكر

ويذكر قصة الغزال والسمك تذكرت ان حفظ الوداد قليل في الناس ويعجبني قول بعضهم

لقد كان لي خل علمت ولاءه * وكان صدوقا في المقال نبيلا
فخان ودادي ثم انكر صحبتي * فيا ليتني لم اتخذه خليلا

وقال بعضهم

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادي
وقالوا قد سعينا كل سعي * لقد صدقوا ولكن في فسادي

وقال آخر

لاضربن رجائي الفقر عنه * حدا وانصب آمالي على خشبه
لعمرك لاناس لاخلاق لهم * ببيض الثياب واقبال على خربه

ومن كلام الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

صد من الناس كل بعد * مالم تكن بينهم تحول * ولا تقل كان لي اياد * عليهم في الزمان الاول
رب من اهله كليب * اذا راوا ذيله مهلهل (وقال ايضا رضي الله عنه)
لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
الا فاقلل لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال

وقال بعضهم

ما في زمانك من ترجو مودته * ولا صديق اذا جار الزمان وفا
فعش فريدا ولا تركن الى احد * اني نصحتك فيما قد جرى وكفى

ولابن عروس قطب بلاد المغرب

الناس بحر عميق والبعد عنهم سفينه اني نصحتك فانظر لنفسك المسكينه

وقوله (في قرينه) اي قرن الناظم وصغره لاجل النظم بمعنى انه ياتي من الغيط او الجرن
غيره في قرنه حاضرا مطبوخا من غيران يتكلف لصيده وتحويجه من الزيت
والبصل ونحو ذلك وقوله (ولوكان) هذا السمك الذي اتمناه (يا اخواني)
يخاطب به اصحابه واحبابه واخوانه الاصدقاء والمحبين وكل المؤمنين اخوان
فانه قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقال بعضهم من فقد اخوانه فقد
مروته * قيل اتى رجل الى المامون فقال له انا اخوك اعطني من بيت مال المسلمين
ما يكفيني فقال له من اين انت اخي فقال من قوله تعالى انما المؤمنون اخوة
فقال صدق الله العظيم وصدقت اعطوه درهما فقال ما هذا عطاء الملوك
فقال له المامون لو فرض اني فرقت بيت المال على اخوتك ربما يحصل لك اقل من ذلك

نفى الرجل ولم يظفر بشئ غير الدرهم وقيل زاده عليه وارتد شاكرا وكان
المأمون يحب الحلم والعفو حتى انه كان يقول حبب الى الحلم حتى ظننت انى لا اثاب
عليه ومن حلمه ان جارية من جواريه قدمت اليه لحما مشويا فى اسياخ من
الحديد فوقع منها سيخ على خلعته فخرقها واتلفها فنظر اليها فقالت والكاظمين
الغيظ فقال قد كظمت غيظى فقالت والعافين عن الناس فقال قد
عفوت عنك فقالت والله يحب المحسنين فقال انت حرة لوجه الله تعالى وهذه
ملكة عظيمة فى الحلم والعفو لا يقدر عليها احد رحمه الله وله اخبار عظيمة فى
ذلك وقوله (بلا تنظيف) اى ولو كان يجد هذا السمك فى طاجن فى فرنه من غير
غسل ولا تنظيف بالماء بل برصوته فى الطاجن بعظمه ونحوه حتى يصير مثل المشوى
فى الجودة فتمنى الاكل منه ولو على هذه الحالة لشدة فقره وقلة ما بيده وقوة
شهوته للاكل منه وفى المثل الغريق يستند على القش وفى مثل آخر بطينه ولا
غسيل البرك فعلى كل حال انه يسد جوعه ويقضى شهوته فما لشخص اذا اشتهت نفسه
شيا ولو حقيرا متى وجده كان عنده عظيما واكل منه اكلا زائدا فان الشهوة
البهيمية تزحم صاحبها على الخبث المأكول فكل من اطاع نفسه وهواه خسر *
قال سيدنا عيسى عليه السلام لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون وقال
صاحب البردة رحمه الله تعالى

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم

قيل ان مخالفة النفس فيها النجاة والراحة للانسان والثواب فى المعاد * وقيل
مكث سيدنا عمر بن الفارض نفعنا الله به مدة يشتهى اكل الهريسة ويخالف نفسه
ويصبر الى ان حصلت له يوما وهو فى الخلوة فمد يده ليأكل منها فانشق حائط
الخلوة وخرج منه شخص وقال اف عليك يا عمر فقال ان اكلتها ثم انه تركها
ولم يأكلها بقية عمره وخالف نفسه ومن النكت المضحكة ان بعض الفقراء
كان له تلميذ وكان دائما يقول له خالف نفسك اذا قالت لك كل هذا فخالفها
وكل غيره ولا تطعها ابدا فاتى لشيخه يوما بطعام مفتخر ووضعه بين يديه ووضع
بين يدى التلميذ صحن عدس وكان الذى وضع بين يدى الشيخ ارز مفلفل بلحم ضان
يقال لها فارش مارش فمد التلميذ يده واخذ الصحن من قدام شيخه ووضع
مكانه صحن العدس فقال له شيخه اما قلت لك خالف نفسك فقال له يا سيدى
حدثتنى نفسى انى اكل من الصحن العدس فخالفتها واكلت من هذا اللحم الضانى
بالارز المفلفل وكان لشيخه غلام جميل فدخل الشيخ يوما فى الخلوة فوجد التلميذ
يلوط بالولد فقال له ما هذه الفعال فقال له يا سيدى حدثتنى نفسى وقالت لى
نك الشيخ فخالفتها وفعلت فى هذا الغلام فقال له الشيخ اخرج قاتلك الله

ما اشغالك وما اخجلك تخرج من عنده ولم يعد اليه ثم ان الناظم اشتهى شيئاً لم ير في بلده الا يوم عيد النحر فقال

ص على من رآى في التل كرش ملقح * ومن فوقه الدبان يعف عفيف

ش قوله (على من رآى) رؤية بصرية كما تقدم في غير هذا البيت (في التل) اى تل بلده وهو الكوم العالي ويكون في الغالب حول البلد لان كل من يكون عنده تراب او رماد يكبه قدام داره برا البلد امام بيته وجاريته مثله وهكذا الى ان يتصل بعضه البعض ويعلو ويكبر من كثرة ما يلقونه فوقه من القمامات وغيرها حتى يصير كوماً عالياً يرى من بعيد وبجانبه ايضاً محلات خالية يشخون فيها جميعاً نساؤهم ورجالهم واولادهم وغالبهم يخرون فيها ايضاً ثم ان النساء والرجال يصعدون اليه وقت الشخاخ وتحصل لهم المنادمة فيه والمحادثة عن الغيط والزرع والقلع والعجول والجاموس وغير ذلك لانهم لا يعرفون المراحيض ولا تبنى عندهم ولا يقدرون عليها الا ان تكون في دار الشاد او الكفر له ولجماعته يشخون فيها وقد قيل في المعنى

سالت بني الارياف ما لبيوتكم * مراحيض قالوا لا مراحيض للقوم
فقلت فما تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعاً نحن نخرا على الكوم

فالتل والكوم عندهم بمعنى واحد ويسمى عندهم ايضاً العلية بكسر العين المهملة وتشديد اللام قال الشاعر

اتيت الكفر في ضحوه رايت اهله جميع شالو وراحوا فوق عليه عليها الكل قد بالوا

اى طلعوا كلهم فوقها وشخوا عليها جميعاً نساء ورجالاً واطفالاً وتطلق العلية عندهم على الغرفة المبنية من الطين غير الطوب ولهذا يقال فلان اليوم في العلالي اى انه صار يجلس عالياً عن الناس وبقى له في الكفر حرمة وقيمة على غيره ومن هذا المعنى قال الشاعر جوز غزلان يا محلاهم شافني على القدم خاهم متى يا زمان تجمعنا في العلالي انا واياهم

فان قيل ان الناظم قال في التل فيفهم منه انه يرى الكرش في جوف التل فيكون متوارياً عنه واكد الرؤية بقوله (ومن فوقه الدبان) والدبان لا يسقط الا على شيء ظاهر لا على شيء مغطى مستور كما تقول فلان في الدار اى في داخلها فما الجواب قلنا الجواب المفتشري ان في بمعنى على اى كرشاً ملقحاً على التل او الكوم كما يقال فلان في الجبل اى فوقه لا داخله لانه لا يستطيع ان يثقب الجبل ويدخل فيه وان حروف الجر على بابه ويكون قوله في التل بمعنى ان في جوف التل نقرة يشخون فيها ويرمون فيها الكروش مثلاً فصدق عليه ان الكرش في جوفه وان كان ظاهراً يرى للناس فاتجه الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (كرش ملقح) اى كرش البهيمة التي يذبحونها يوم عيد النحر لانهم لا يرون اللحم الا في ذلك اليوم ولا يمكن انهم يلقون الكرش على التل

يأخذونه ويلقون ما فيه من الثفل ويغلونه ويطبخونه مع بقية حوائج البهيمة ويسمونه جغل مغل وله عندهم موقع عظيم وأما في بلاد المدن فانه من الضأن ويضيفون اليه الرأس والكوارع ويسمونه سقطا ويصنعونه بالحرارات والسمن والكزبره والسلق ويصبون عليه الخل ويصير له لذة عظيمة فيبيعونه بالرأس تارة ويدرجونه في الكرش مغسولا نظيفا وتارة من غير الرأس وتارة بالكوارع وتارة بغيرها والرؤس يبيعونها مشوية وحدها والكوارع تصنع تسقية يبيعونها ويصبون عليها الخل والدهن والثوم ولها لذة عظيمة كما هو مشهور في بلاد المدن وأما أهل الريف فانهم يصنعون جميع ذلك في الدست والبرام ويضيفون عليه الكزبرة وقليلا من الشيرج ويقلونه بشيء من البصل أو الثوم ويأكلونه ولا يعرفون السمن ولا الحرارات ولا شيئا من ذلك وربما يسلقون ذلك بالماء ويأكلونه حكم المرقة والكرش مشتق من التكريش وهو البروز والظهور أي ان كرشه بارز ظاهر كما يقال للحائط اذا برزت منه حجارته عن سمتها المعتاد وآلت للسقوط حائط مكرش أي آيل للسقوط وفلان صاحب كرش أي كرشه ظاهر كبير خصوصا اذا كان رجلا سمينا جسيما فان كرشه يظهر كبيرا خارجا وفي الحديث ان الله يكره الحبر السمين لكن هو ممدوح في الغنم والبقر يقال الكبش سمين ممتلئ شحما ولحما فاذا ذبح على هذه الحالة وادرج راسه في كرشه يكون سقطه لذيذا عن غيره لسمنه وكثرة شحمه ومن المناسبة ان السلطان قرلياش ارسل الى السلطان قانصوه الغوري يهدده بهذه الابيات

السيف والخنجر ريحاننا * اف على النرجس والآس
شرابنا من دم اعدائنا * وكأسنا جمجمة الراس

فاجابه بقوله

لله في ملكه خاتم * تجري المقادير على نقشه
لا تنبش الشر فتبلى به * واحذر على نفسك من نبشه
مصارع البغي لها صولة * تنكس السلطان عن عرشه
لما طغى الكبش بشحم الكلى * ادرج راس الكبش في كرشه
ونحن ان لم نبغ او نبتغي * كالميت محمول على نعشه

فلم يرتدع بما ارسل له السلطان قانصوه الغوري بل سار اليه بخيله وعسكره فتلقاه نائب الغوري ورده خائبا والقى الله كيده في نحره ولم يفده ما نصحه به السلطان الغوري من قوله لما طغى الكبش بشحم الكلى الخ وهذا مثال الرجل الظالم اذا طغى وتجبر ربما اخذه الله تعالى بغتة وفي الحديث ان الله ليمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته * فالناظم تمنى من الله تعالى وترجى من كرمه وحلمه ان يرى كرشا مرميا على التل اي الكوم غفل عنه اصحابه وتركوه نسيا ناوذهولا او ان الشاد

بالكفر ذبح كبشا والقى كرشه على التل فان اهل الريف اذا ذبحوا بهيمة يوم العيد
لا يتركون منها شيا ويأخذون كرشها وجميع حوايجها يطبخونه ويأكلونه فالناظم
ترجى ان الدهر يغلط يوما ويرى هذا الكرش الذى تمناه وطلبه واشتهاه لكونه
لم يقدر على مشاركة اهل الكفر فى بهيمة (و) لو كان من (فوق الدبان) وهو الذبان
وانما استعمله العوام بلفظ الدبان لثقل الذبان على السنتهم ومفرده دبانه
ودبون مفرد الذكور منه والدبان على وزن الخرفان او الجديان والدبون على وزن
الميمون او المأيون قال بعضهم مواليا

فى خاطرى يا مليح لو كنت دبانه * واحط فوق شفتك وتلتش اقول دانه
على ويا بو حسن للاعين نعشا * غيرى تواصل وانا ابجى لك تقول نانه

(فائدة) للذباب خواص كثيرة ومنافع مذكورة فى بعض الكتب منها انها اذا
اخذت ذبابة وربطت وهى حية فى خرقة بحيث تكون واسعة عليها حتى لا تموت
وعلقت على من يشتكى الرمد خففت عنه (وسئل) بعض الفضلاء لاى شئ خلق
الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة لانه يقع على تاج الملك فلا يقدر على منعه عنه
(وكان المشركون) يطلون اصنامهم بالزعفران وغيره فيقع عليها الذباب فانزل
الله تعالى فى كتابه العزيز توبيخا لهم ولاصنامهم ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب
والذباب له اعداء كثيرة منها حيوان صغير يقال له ضبع الذباب يشبه العنكبوت
الصغير الا ان فمه واسع وارجله قصيرة عن ارجل العنكبوت يأخذ الذبابة
بسرعة فى فمه ويلقيها فى شئ يخرجه من فمه كنسج العنكبوت فلم تزل معلقة فيه
الى ان تموت وذكر العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به
ان زوجته ام عبد الرحمن اصابها مرض شديد اشرفت به على الهلاك فدخل يوما
بيت الخلاء فسمع هاتفا يقول له خلص الذبابة من ضبع الذباب ونحن نخلص لك
زوجتك من مرضها فالتفت الشيخ الى الحائط فسمع حس الذبابة فتحايل وخلصها
فخلصت زوجته فى الحال وشفاها الله تعالى وقوله (يعف عفيف) اى يتراكم على
بعضه البعض من كثرة نزوله عليه يمتص منه الرطوبة ونحوها ويعف بكسر الياء
المثناة من تحت وكسر العين المهملة يقال عف الذباب على الشئ اذا سقط عليه
وكثر وتراكم بعضه على بعض واما المثناة وضم العين فمن العفة يقال عف الرجل
عن الشئ بمعنى كف عنه ثم ان الناظم اخبر عن كيفية اخذه له فقال

ص دنا ان شفته نذوقها لو سلقته وكلتو بشفلو ما ارى تقنيف

ش قوله (دنا ان شفته) اى اذا من الله علينا ورايته ملقيا على التل (خدتو)
اى اخذته فحذف الهمزة وابدل الذال المعجمة دالا مهملة جريا على اللغة الريفية

(بحالو سلفتو) بمعنى ان القيه فى الدست او البرام والتى عليه البلاء لا غير وأسلقه من غير تقلية ولا تشريح وغير ذلك لشدة فقره وعدم ما فى يده وقوله (وكلتو بتفلو) اى بما فى جوفه من المريعي ولو انه نجس مما لغز فى الاشتهاد له وشدة الحاجة اليه وهذا يعاير به الرجل الاكول عندهم فيقال فلان يأكل كرش بخراه مثلا ومن ذلك ما اتفق ان رجلا من اهل الريف طلع مصر يبيع جانبا من البيض لاجل غلاق ما عليه من مال السلطان فباعه وتوجه الى بلده فرأى بين القصرين كروشا تباع فقال لنفسه خذ لام معيكه بجديد وكل انت الآخر بجديد ولو انكسر عليك مال السلطان فاعطى بتاع الكروش الجديدين فصار يقطع له مما باع للقطط وهو يأكل من غير ملح واخذ بالجديد الثانى قطعة كبيرة وزاد له عليها كبدة وروية وهى الفشة ولف ما اخذ فى شدة الذى فوق راسه وربط عليه وكانت الفلوس الذى باع بها البيض مربوطة ايضا على الشد ثم انه سافر الى ان مر على قرية فى الطريق فرأى شجرة فجلس ليستريح تحتها فضربه الهواء فنام فجاء كلب فشم رائحة اللحم الذى على رأسه فخطف الشد بما فيه وطلع الى سطح فى القرية فقام يجرى خلفه ويصيح ودخل الدار التى طلع الكلب فى سطحها فلما رآه النسوان مكشوف الرأس فى هذه الحالة قالوا هذا سارق فمسكوه وسلموه للشاد فى القرية فضربه وحبسه يومين حتى شفع فيه اهل الخير فاطلقوه فمن عدم ذوقه وشدة جهله ضيع الفلوس واكل الضرب ورجع الكفر خائبا نائبا وقوله (ما ارى تقنيف) بمعنى انى ما اقنف من اكله لكونه فيه الثفل ولان جوانبه فيها النجاسة مثلا فان نفسى تطيب لاكله ولا تمتنع عنه وفى القاموس الازرق والناموس الابلق ان التقنيف مشتق من القنف وهو المنع عن الشئ كما يقال انت قنف او فلان نقنف او من القناقة بضم القاف وهى التى يوضع فى خرق الناف الذى على رقبة الثور ويعاير بها الرجل الخفيف العقل فيقال له يا قناقة قال الشاعر

لقد خف منى العقل حتى كاننى * احاكى فى الافعال كناقة البقر

ثم ان الناظم لما لم يتيسر له كرش ملقح على الثل والكوم ترجى من الله تعالى ان يبلغه مناه وانه بعد مدة ان طال عمره يروح المدينة ويشبع فيها من اكل الكروش وغيرها من الترمس والمقلى فقال

م انا ان عشت لاروح المدينة واشبع كروش ولو انى اموت كخيف

ش قوله (انا ان عشت) من المعيشة وهى قوام الجسد وانتعاشه من الماكل والمشرب اى ان طال عمرى وكان فيه تأخير فى علم الله تعالى (لاروح المدينة) والمراد بها مصر حرسها الله تعالى وادام سرورها باهلها

وابدع نعيمها بسكانها وحرس علمائها الاعلام وامرائها الكرام لانها مدينة الانس والصفا والسرور والوفا خص الله نساءها بالحسن والجمال والبهجة والبها والكمال وطيبا لمعاشرة ولطف المذاكره كم عاشق بحسنهن افتتن ومن لم يتزوج مصرية ليس بمحصن وملاحها الولدان كانهن الغزلان اوقضبان البان لا يوجد مثلهم في الروم ولا في العجم ولا في العراق ولمزيد اللطف منهم في العشرة باتفاق كما قلت في هذا المعنى موشحا

دور

يامن يريد عشق الجمال * يشد الى مصر الرحال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

مذهب

ملاحها لا يوجدوا * في الروم ولا ارض العراق
ولا بلاد ارض العجم * ومن رقى السبع الطباق
اللطف فيهم منطبع * وريقهم حلو المذاق

دور

من حاد عنهم بالميال * حرم عليه طيب الوصال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

مذهب

ياحسنهم يا لطفهم * يا ظرفهم كم ذا ترى
من كل اغيد حين يميس * تقول لغصن لا ترى
مثلو ترى غيره يفوق * سبحان خلاق الورى

دور

فعش بهم دوم الليال * فحبهم عندى حلال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

مذهب

اما العجب ثم العجب * في يوم الاعياد والفرج
كم ظبى ترفل في الحلل * والخال فوق خدو عرج
تقول جنان رضوان ضيق * قد فتحت وقد خرج

دور

منها يريد قتل الرجال * بحسن قده والميال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

مذهب

والله والله العظيم * ومن له انشق القمر
من عشقهم صبري فني * وزاد وجدي والسهر
وقد بقيت اصفر اليدين * ولست اقنع بالنظر

دور

ما حيلتي في كل حال * الا الدعا اراه محال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

مذهب

يوسف سميت ادعو الاله * يغفر ذنوبي كلها
وبلدتي شربين عظيم * بين المدائن قدرها
بلد الفخار مع العلا * والعلم مشهور ذكرها

دور

ثم الصلاة باتصال * على النبي باهي الجمال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

فسبحان من خصهم برشاقة القدود واحمرار الخدود ورقة الكلام وقلة الملام وحسن الانطباع وقلة الامتناع لفظهم الطف من النسيم ورضابهم احلى من التسنيم كما قال الشاعر

ما مثل مصر في الورى بلدة * سكانها ترتع في نعيمها
نسيمها الطف شئ في الورى * واهلها الطف من نسيمها

وقوله (واشبع) الشبع هو امتلاء المعدة بالطعام والشراب والشبع الزائد مضر ويطلق على الحسي وهو ما تقدم وعلى المعنوي وهو الغنى بعد الفقر يقال اليوم فلان شبعان اي استغنى بعد فقره وشبع بعد جوعه خصوصا اذا ذاق التعب والنصب اول زمانه وافاض الله عليه فيكون شديد الحرص على الدنيا كثيرا ويقال في المثل هذا محدث النعمة لانه لم يعرف قدرها ولم يصرفها في مصارفها وانما جبر به الدهر حتى نال هذا الامر قال الشاعر

مستحدث النعم مستودعها * عيناه مملوءة فقد
جبر به الدهر فنال الغنى * يا ويله اذ غفل الدهر

واما اذا عرف الشخص ما انعم الله به عليه وشكره على هذه النعم ولازم فعل الخير والحسن وتصدق فهذا هو المطلوب والامر المحبوب وقوله (كروش) جمع كرش اي ان بلغت المدينة لابد ان اشبع من الكروش التي يصلق وتباع واقضي مرادي ومنيتي وبغيتي منها (ولواني) بعد شبعي من الكروش

المذكورة وقضاء شهوته (اموت كفيف) اى اعمى بقال كف بصره اذا حصل له العمى وفى الحديث القدسى ان الله تعالى يقول اذا اخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة وهو حديث حسن رواه الترمذى عن انس *

وقال البوصيرى الاديب

اذا مدت عيناى قل مسامرى * وقلت لحاجاتى من الحى والحما

يقولون ان عوفى ملقناه ساعة * واذا كف حنا كى نهنيه بالعما

لان الارمد مريض لا يزار فاذا عمى يقولون له انت بقيت من اهل الجنة وحصل لك الخير ونحو ذلك مما هو مشاهد بين الناس الان وفى الحقيقة ان الاعمى مسكين والشفقة عليه فيها اجر عظيم وفضل جسيم خصوصا اذا كان فقير الحال فانه فى حكم الميت لا محالة قيل وجد مكتوبا على تاج كسرى انوشروان هذه الكلمات العدل اذا دام عمر والظلم اذا دام دمر والفقر هو الموت الاحمر والاعمى ميت وان لم يقبر ومن لم يترك الذكر لم يذكر وما ابتلى الله عباده بشئ اضر من العمى والاعور على النصف من ضرر الاعمى كما فى المثل اعمى قال للاعور كاس العمى مر فقال الاعور نصفه خبرك عندى وفى المثل الاخر (والاعور الممقوت فى اهله اولى من الاعمى على كل حال وقوله كفيف على وزن نتيف صفة للامرد اذا طلعت ذقنه وكان يشتهى الخنات اويكون به ابنة والعياذ بالله تعالى فانه دائما يحلق ذقنه وينتف شعره ويحسن للفاسق نفسه وينتف اصول شعره بالطا فيره اويلقطه بالملقاط فان الامرد ما دام خالى العذار تميل النفس اليه واذا التحى قل منه الوفا وصار وجهه كالقفا قال الشاعر

التحى الامرد الذى * كان فى التيه مسرفا

حسنا كان وجهه * وسريعا تصحفا

فسر والله ناظرى * مذ رأى ذاك واشتفا

شكر الله لحية * صيرت وجهه قفا

وقال الشاعر

سلب الناس بالمحاسن حتى * اذهب الله حسنه والجمالا

طلعت ذقنه ولحيته عليهم * وكفى الله المؤمنين القتالا

ومن العشاق الوقحاء من يميل الى اصحاب اللحاء قال الشاعر

بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى * ويدعى زان من يحب الغوانيا

فقلت لاصحاب اللحاء تعففا * فما انا لوطى ولا انا زانيا

وبعضهم يميل طبعه الى الشيوخ ويرى ان قول العذول فيهم منسوخ قال الشاعر

اهواه طفلا في القماط وامردا * وبلحية واذا علاه مشيب
وقال بعضهم

تعشقته شيخا كان مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
اخا العذل يدري ما يراد من الفتى * امنت عليه من حسود ومن ضد

والعشق مراتب وللناس فيما يعشقون مذاهب كما قال بعضهم
تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب
وكل هذا من الانهماك على الشهوة والحمول في العشق والمحبة والا فالعاشق الظريف لا يهوى الا الشكل اللطيف المناسب للتعنيق واللبوس وكلها غرامة فلوس ثم ان الناظم بين كيفية اخذه الكروش من المدينة من ثمن غزل العجوز وهي زوجته واسمها فطيمة فقال

من واخذ من غزل العجوز وابيعو * واكل بحقه يا ابن بنت عريف
ش قوله (واخذ من غزل العجوز وابيعو) المراد به غزل زوجته وكان اسمها فطيمه وقيل اسمها بعره بنت قلوط والبعره قريبة من القلوط لانها بنته والقلوط ابوها فهو ملازم لها ولفظ العجوز يطلق على المراة الكبيرة وعلى الخمرة فيقال لها العجوز ايضا والعذراء ولها اسماء كثيرة قال بعضهم
عجوز وعذرا فاعجب لها * تنادى باسمين من كل واسم
وفي الكلام تقديم وتاخير ومعناه اذا عشت لاروح المدينة واخذ معي غزل العجوز وابيعه فيها (واكل بحقه) كروشا وغيرها ولو اني بعد ذلك اموت كفيفا لاني اذا قضيت مرادي وعشت بقية العمر اعمى لا ابالي بعد قضاء شهوتي وحصول ما كنت ارجوه من الله تعالى (يا ابن بنت عريف) يخاطب رجلا من اهالي الكفر قيل انه من اقاربه وقيل من اصدقائه والمعنى انه يبث اليه الشكوى مما ناله ويقول له لا بد انك تفرح لي اذا طال عمري ورحت المدينة وشبعت فيها كروشا وارجع اليك وهذا يدل على انه صديقه وصداقته مؤكدة حتى انه خاطبه من دون اهل الكفر فان الشخص لا يشكو حاله الا لصديق يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويحمل عنه الهموم او يواسيه اذا كان متيسرا من الدنيا ويسليه بالحادثة ونحوها قال الشاعر
ولا بد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك او يسليك او يتوجع
وقال ابن عروس
اوصيك ان صادفك ضيم * اشكيه للي يريدك
الحمل اذا تفرق انشال * وان تم راقد يكيدك

وابن بنت عريف هذا اسمه على ما قيل خرالحسن واسم والده فسا التيران وسبب تسميته فسا التيران انهم كلما ربطوا التيران على الطوالة يقف في وسطها ويفسو فيها لانه كان كثير الفساء فيشم من بقربه رائحة الفسا فيقول له انت فسيت فيقول له هذا فسا التيران فسمي بذلك واما جده لامه فيسمى عريف لاحد امور قيل انه كان يعرف الاولاد طريق المحلات التي تحت التل يشخون ويخرون فيها وقيل كان يعرف تغريبة بني هلال وما وقع بينهم وقيل كان له معرفة ودراية في ضرب الغرقلة ونقر الطبلة والعمل على الزمارة ونحو ذلك وقيل انه كان يعرف الشاد امور اللبص ويقول له خذ من هذا كذا ومن هذا كذا صورة عواني فصار يقال له عريف من هذا القبيل كما انه يطلق هذا اللفظ على من يقيمه مؤدب الاطفال في الكتاب يعرف الاولاد احوال القراءة ويعرفه ايضا الفقيه عن احوالهم في غيبته كما هو مشهور في بلاد المدن وغيرها فان كل كتاب لا بد له من عريف على ما جرت به العادة قال العلامة البلقيني الشافعي في تفسير قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق جعل الله سبحانه وتعالى ذلك ليظهر الشاكر من غيره كما جاء في حديث الاعمى والاقرع والابرص روى ان ثلاثة من بني اسرائيل احدهم ابرص والثاني اقرع والثالث اعمى اراد الله ان يبتليهم نبعث اليهم ملكا (فاتى الابرص) فقال اي شيء احب اليك قال لون حسن وجلد حسن فقد قذرني الناس فمسحه بيده فذهب البرص واعطى لونا حسنا وجلدا حسنا فقال اي المال احب اليك قال الابل فاعطي ناقة عشراء وقال بارك الله لك فيها (واتى الاقرع) فقال له اي شيء احب اليك قال شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس منه فمسحه فذهب واعطي شعرا حسنا قال فاي المال احب اليك قال البقر فاعطاه بقرة حاملة وقال بارك الله لك فيها (واتى الاعمى) فقال اي شيء احب اليك قال ان يرد الله الي بصري فابصر به الناس فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاي المال احب اليك قال الغنم فاعطاه شاة فانتج هذا وولد هذا وهذا فكان لهذا واد من ابل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من غنم (ثم انه اتى الابرص) في صورته وهيئته فقال له من انت قال رجل مسكين قطعت بي الحبال فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك اسالك بالذي اعطاك اللون الحسن والجلد والمال بعيرا اتبلغ عليه في سفري فقال ان الحقوق كثيرة فقال كاني اعرفك الم تكن ابرص يقذرك الناس فقيرا فاعطاك الله فقال لقد ورثته كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه (واتى الاقرع) في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لذلك ورد عليه مثل ما رد على الاول فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه (واتى الاعمى)

في صورته وقال رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بي الحبال في سفري فقال قد كنت اعمى
فرد لي الله بصيرا وفقيرا فاغناني فخذ ما شئت فوالله لا امنعك اليوم شيأ اخذته
فقال امسك عليك مالك فانما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك
فمن الناس من يحصل له غرور بالنعمة وطيش بالرياسة كما قال بعضهم

اقول لمن قد طيشته رياسة * تمهل رويدا فيك قد غلط الدهر
وما سدت عن علم ولا عن فصاحة * ولا عن ذكا فضل وهذا هو القهر
تأنى يراجع فيك دهرك عقله * فما سدت الا والزمان به سكر
ولكن سيصحو الدهر من بعد سكرة * ويسقيك كاسات مذاقتها الصبر

وقال آخر مخمسا

رئستم بلا اصل وعلم ولا ولا
وسدتم بلا اهل وفضل ولا ولا
سأقسم بالله الذي خلق الملا
يمينا لقد نجستم رتب العلا * والبستموها بعد عزتها ذلا
نشا الدهر انتم عظاماته
وانتم رضاه وانتم سماته
فلو كنت ممن لا يرد قضاته
صفعت زمانا انتم رؤساته * بنعل ولكن صفعه بكم اولى
فطوبى لعبد يكتفي بذهابكم
وويل لحر يشتقي بايابكم
اقول وقلبي ملكم وازدرى بكم
لقد خاب من يسعى لتحوجنا بكم * كما خاب من في عشقه خان او زلا
فبعدي عن الاوطان صفو لبنيتي
وفقد الذي اهوى وعظم بليتي
وهتكي وتعذيبي وقرب منيتي
فذلك مرادي واعتقادي وبغيتي * ولا يجمع الرحمن لي بكم شملا

ثم ان الناظم نبه على شيء آخر فقال

ص واسرق من الجامع زوابين عده * واكل بها من شهوتي في الرغيف
واشبع من الترمس واكل عقيلي * والعنو بقشرو ماارى لو قيف

ش هذا الكلام كله من بقية كلام لابن بنت مريفيد المتقدم ذكره اي انه يقول
انا اذا طلعت المدينة وبعت غزل العجوز واكلت بحقه كروشا وقضيت شهوتي من
الكروش المذكورة ورايت الترمس والعقيلي الذي اشتهيه ولم يكن معي شيء من
الدراهم فحينئذ ادخل بعض الجوامع التي في اطراف حارات المدينة التي يصلي

فيها اهل الرياقة لان الزرابين لا تكون الا برجل اهل الريف لان المراد بها المراكيب وهي جمع زربون على وزن محعون او مركوب او مابون وهو المركوب الذي يمشي به الفلاح ويسمونه ايضا بجوادا و ترجيلة (واسرق) والسرقة حرام ومنهي عنها قال الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما اي اذا سرق السارق النصاب وهو ربع دينار مالم يكن له فيه شبهة والا فيمتنع عنه القطع كما هو مذكور في كتب الفقه واباح الله تعالى قطع يد السارق نكالا له ولاجل تركها الامانة وعزها وارتكابها الخيانة وذلها كتب رجل لبعض العلماء شعر

يد بخمس مئين عسجد فديت * ما بالها قطعت في ربع دينار

فاجابه بقوله

عز الامانة اغلاها وارخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

اي ان هذه اليد لما تعدت على مال الغير واخذته وخانت الامانة ارخص الله قدرها واباح قطعها بذل الخيانة فهي حكمة للباري جل وعلا وحدودا وجبها على خلقه من امر ونهي وغير ذلك وقوله (من الجامع) والمراد به المسجد وسمي جامعا لانه يجمع الناس للصلاة والعبادة ونحو ذلك ومسجدا للسجود فيه وقوله (زرابين) تقدم ان المراد بها المراكيب والتراجيل (عدم) يعني كثيرة لان سراق المراكيب يحتاج الى زيادة معرفة في السرقة وقلة دين فاما المعرفة فهي ان يتقرب من صاحب المركوب ويوهمه انه يريد الصلاة بل ربما وقف بجانبه وصبر عليه الى ان يخر للسجود لملام الغيوب فياخذ هو الاخر المركوب واما قلة الدين فانه لا يعرف الصلاة ولا يدخل الجامع الا للسرقة فقط وربما كان جنبا وثيابه فيها النجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشون عن هذا الامر ولا يعرفون الصلاة ولا العبادة وغالبهم لا يدخل الجامع الا لغزل الصوف والفل او لحساب المال او ليستظل فيه او ان الحرور وربما ربط فيه العجلة او البقرة ويجعلونه في الغالب محلا للحادثتهم في الخيط والحيط والزرع والقلع ويصير لهم ضجة عظيمة وصياح وعياط وغارات كانهم في زريبة بقر والناظم كان منهم لا محالة فلهذا نسب نفسه للسرقة وقال لابن بنت عريف المتقدم ذكره اي اذا طلعت المدينة واكلت نحو الغزل كروشا ولم يبق معي شيء اتلصص واتجسس واسال عن بعض الجوامع التي باطراف حارات مصر واسرق منها المراكيب واكل بها في كلامه هذا تورية اما انه يبيعها وياكل بثمنها واما انهم يصدقونه حال خطفه فيمسكونه ويطعمونه بالمراكيب التي خطفها علقة فيكون هذا اكل معنوي فانه في الغالب ان سارق الزرابين اذا وقع في ايديهم يقطعونها على الحبال رقبته يقال فلان اكل علقة اليوم بالزرابين وفلان سرق مركوبا ومسكوه وقطعوه على الحبال رقبته فسرقة المراكيب تحتاج الى خفة

ودراية بالامور وان كانت ارذل السرقات قيل بعض الحذاق من اللصوص على بعض
التجار وهو جالس في حانوته وبجانبه نعل له فاراد اللص اخذه فجا بجانبه بخفة وحط
رجله اليمنى في واحدة واراد ان يحط رجله اليسرى في الاخرى فالتفت التاجر فهرب اللص
وتوارى بعيدا بحيث لا يراه التاجر ولم يأخذ الفردة الثانية من نعله فقال لغلامه
اين الثانية فقال له لا ادرى قال قد سرقت فقال له خذ هذه وامض الى فلان وقل له
يصنع واحدة مثلها فاخذها الغلام ومضى وسبقه اللص حتى عرف الرجل الذى دفعها له فلما
رجع الغلام لسيده اتى اللص ومعه الفردة التى اخذها وقال للرجل لا تصنع للتاجر شيا
فانه لقى الفردة الثانية واراها له وقال له هات الاخرى فاعطاه اياها فاخذ الاولى بالسرقة
والثانية بالحيلة فلما جاء غلام التاجر يطلبها اخبره بالقضية فرجع واخبر سيده فتعجب
من حذق اللص وفعله * وقيل طلع الابوصيرى الاديب الى مصر وذهب الى سوق المراكيب
تحت الركن يشترى له مركوبا فوقف على دكان فقال له بياع المراكيب عندى مركوب احمر
مثل وجهك يا شيخ العرب فالتفت له الثانى من الباعين وقال له عندى مركوب مليح
وحياة راسك وصار الجميع ينكتون عليه فصبر عليهم حتى فرغوا من كلامهم وقال لهم
يا مشايخ السوق انا رجل غريب تتوصوا بى فان جماعة اخبرونى ان المراكيب
اليوم كثيرة ومن رخصها على اقفية اصحابها فقال الكل خلص ثاره منا جميعا بما قاله
بلطافة ثم قالوا له بالله انت الابوصيرى قال نعم فاكرموه واعطوه مركوبا احمر
فاخذه ومضى حتى دخل على البدر العودى رحمه الله تعالى رئيس مصر في الدخول فلما
رآه وفى رجله المركوب قال له وجهك احمر يا بوصيرى فقال له نكت بدر ودخلت
الحمام فكان الجواب اظرف من السؤال * ومما مدح به البدرى قول الابوصيرى
المذكور حيث قال

البدر كمل بالدخول * وفيه انطوى واندرج
بوا به حلف بالطلاق * من يوم دخل ما خرج

والعرب يسمون المداس بالراحلة وقد جاء هذا فى شعر المتقدمين والمتأخرين
واستعمله المتنبى فى مواضع من شعره قال ابن خلكان رحمه الله تعالى
جاءنى صاحبنا جمال الدين الاردبيلى المجيد فى صناعة الالحان وغيرها وانا فى مجلس
الحكم بالقاهرة المحروسة وقعد عندى ساعة وكان الناس مزدحمين لكثرة اشغالهم
حينئذ ثم نهض وخرج فلم اشعر الا وغلامه حضر وفى يده رقعة مكتوب فيها
هذه الابيات

يا ايها المولى الذى بوجوده * ابدت محاسنها لنا الايام
انى حججت الى مقامك مجهدا * اشواق لاما يوجب الاسلام
وانخت بالحرم الشريف مطيتى * فتشرفت واشتاقها الاقوام

فطلبت انشد عند نشدانى لها * بيتا لمن هو فى القريض امام
واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

فوقفت عليها وقلت لغلامه ما الخبر فذكر لى انه لما قام من عندى وجد مداسه قد سرق فاستحسنت منه هذا اللفظ انتهى كلام ابن خلكان والبيت الاخير الذى تمثل به هذا القائل لابى نواس من قصيدة مدح بها الامين محمد بن هارون الرشيد ايام خلافته اولها

يا دار ما صنعت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام

ويقول من جملتها فى صفة ناقته

وتجشمت بى هول كل تنوفة * هوجاء فيها جرأة اقدام
تذر المطى وراءها فكانها * صف تقدمهن وهى امام
واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

(قيل) سرق رجل مركوبا واعطاه لولده يبيعه فسرق من الولد فقال له ابوه بعت المركوب قال نعم قال بكم قال برسماله فقال هذا رسماله السرقة فقال الولد وقد سرق منى لا خسرت ولا كسبت فضحك عليه ابوه وخلى سبيله (وقيل) سرق باب دار ابى سالم القاضى فجاء الى باب المسجد وقلعه فقال له ما الذى تصنع فقال اقلع هذا الباب فان صاحبه يعرف من قلع بابى (وقيل) كان مع ابى جحا زوجتان وكانت ام جحا ماتت فخرج ابوه يريد السفر فلما خرج من باب الدار تذكر انه نسى مركوبه فصاح على ولده يا جحا هات المركوب فسمعت زوجتاه الصياح ولم يعرفا ما الخبر فقالا له يا جحا ما يقول ابوك فقال يقول لك زوجات ابيك فى غيابى فشتماه وقالتا له هذا كلام باطل فقال اسمعوا انتم منه وصدقوا ثم قال الواحدة يا ابى والا الاثنين فقال صدقتم الكلام فظنوا انه يقول له بل نك الاثنين وما مراده بيرا الا المركوب فولع فيهم بالنيك الى ان حضر ابوه (وقيل) جلس العينى فى محل يشرف على الطريق وكان عنده رجل من الشام من اعيان الناس فقال له يا سيدى يقولون ان اهل مصر يقولون عندهم الحذق واللطافة بخلاف بلدنا ومرادى ارى الامر عيانا فبينما هو يكلمه اذ مر بياع الفول الحار وهو ينادى عليه فقال العينى هل فى مصر احذق من هذا قال الرجل الشامى لا فقال اصبر حتى ابين لك حذقه ثم ان العينى ناداه ليطلع اليه ومعه الفول والعيش فقال له مرادى فول حار ولكن ما عندى دراهم وما عندنا لا فردة مركوب تعطينى بها فقال له الرجل يا سيدى كل شئ جئته اطعمنا الله به قال فضحك العينى وتعجب الشامى من حذقه وانعما عليه ومضى الى حال سبيله * ومن التورية قول بعضهم هجوا فى رجل

اسم عوض ما الفظه

سر موجتى قد سرقت * وضاق بى رحب الفضا
اتيت للسرو ضحى * اخذت عنها عوضا

وقوله (من شهوتى فى الريف) اى شهوتى التى اشتهيتها وهى اكلى من الكروش وشبعى منها لانى ما وجدتها فى الريف فاذا طلعت المدينة وفعلت ما تقدم ذكره قضيتها وحصل لى المراد وقوله (واشبع من الترمس) المراد به المملح بعد نقعه فى الماء اياما فان اهل الريف لهم فيه رغبة لانه نقلهم اى يتنقلون به ايام الاعياد ويهادى به بعضهم البعض وله عندهم موقع عظيم ويباع فى بلاد المدن دائما وهو فاكهة الرياقة اذا طلعوا المدينة يفتخرون باكله هو والمقيلى وفى الترمس خاصية عظيمة ذكرها العلامة الشيخ شهاب الدين القليوبى رحمه الله تعالى وهو ان من داوم على اكل الترمس كل يوم ملء كفه بقشره على الفطور فان بصره يزداد قوة وقوله (واكل بقيلى) اى واشبع من المقيلى وهو الفول المنبت المقلى بالنار ومن هذا سمى مقيلى وهو مشهور ولا يحتاج للتعريف وقوله (والفو بقشرو) اى هو والترمس من شدة شوقى اليه لانى متى اردت تقشير الترمس والمقيلى طال على الامر لانى احتاج الى ان اقشره واحدة بعد واحدة وهذا لا يشفى خاطرى ولا مرادى وايضا فان الناظم من اهل الريف والارياف ياخذونه بالكبشة ويسفونه ولا يعرفون التقشير ولا غيره (ومن المناسبة) ان رجلا جلس هو وغلامه فى محل ظلام ياكلان زبيبا فقال لسيده كل زبيبة زبيبة وانا الاخر مثلك فلما فرغا من الاكل قال له يا عبد الخير ان طمعت عليك بقيت اكل اثنتين اثنتين فقال له يا سيدى اذا كنت اكلت اثنتين اثنتين انا بقيت اسف سفا والعرب من عاداتهم انهم ياكلون الزبيب بالكبشة والتمر بالخمسة ويجدون فى هذا الفعل لذة وحلاوة قال الشاعر

هنيئا لاصحاب البيوت بيوتهم * ولا كلين التمر اخماسا اخماسا

وبعضهم يقشر الترمس والمقيلى واحدة واحدة واهل الارياف بخلاف ذلك ولهذا قال (ما ارى توقيف) يعنى ما اتوقف فى لفه بقشره ومراده باللف الاكل كالعمامة ولف البردة ومنه داهية تلفك مثلا ونحو ذلك * ثم ان الناظم تمنى ان ياخذ له لبدة فقال

ص واخذ لى لبدة وكرمشنير * وانزل كما كلين ابو جعنيف

ش قوله (واخذ لى لبده) هذا ايضا من جملة قوله لابن بنت حريف السابق ذكره والمعنى انه يقول اذا استغنى السعد فى سرقة الزر بيني وبينها واكلت

بثمنها اكلا حسيا اومعنويا كما تقدم وبقي معي شئ ولو خمسة انصاف اخذت لي لبدة جديدة بنصف من الخمسة (و) اخذت بالاربعة (كرمشنبر) اي شدا حواشيه غزل احمر فانه يسمى عند اهل الريف مشنبرا ولا يلبسه الا الاكابر منهم فيقال فلان اليوم لابس لبده وكرمشنبر يعني انه بقي من اكابر الكفر فالناظم تشوق الى هذا الامر يعني انه اذا طلع المدينة وهون الله عليه بسرقة الزراديف ياخذ ما في مراده وينزل الى الكفر بلبدة وكرمشنبر في قوة وشهامة مثل الكلب الآتي ذكره ولهذا قال (وانزل كما كلب ابن ابو جعنيف) وكلب ابن جعنيف هذا كان مشهورا في الكفر بالقوة والشجاعة والنط على الكلاب وسطف العيش واكل البيض فكان الشخص من اهل الكفر اذا انعم الله عليه بلبدة وكرمشنبر يقولون فلان اليوم اصبح مثل كلب ابن ابو جعنيف اي في القوة والشطارة والسرقة حتى يستر نفسه ويكسا روحه ويبقى من الاكابر كما انك تشبه الانسان في الخسة بالكلب والخنزير فتقول انت مثل الكلب مثلا وابو صلب الكلب كنى بابي جعنيف وجعناف او جعنوف على ما قيل لثقله وكثرة كلامه يقال فلان جعناف ثقيل الدم مهذار في الكلام من غير فائدة كما رايته في القاموس الازرق والناموس الابلق ومن المناسبة لثقيل الدم وكثرة الكلام الحكاية المشهورة في كتاب الف ليله وليله وهي ما اتفق ان رجلا من اكابر الشام صنع وليمة وخرج يدعو الناس لها فرأى شابا غريبا ظريف الشكل لطيف الذات بديع الحسن والجمال الا انه اعرج فدعاه الى الوليمة فاجاب ودخل به على الجالسين في منزله فقاموا له اجلالا وتعظيما لاجل صاحب المنزل فلما اراد الشاب ان يجلس رأى بين القوم انسانا مزينا فامتنع من الجلوس واراد ان يخرج من المنزل فحلف عليه صاحب الوليمة وقال له ما سبب مجيئك معي ودخولك الى منزلي وما سبب رجوعك قبل فراغ دعوتي فقال له الشاب بالله يا مولاي لا تتعرض علي فان سبب هذا كله رؤيتي لهذا المنحوس المزين قاتله الله تعالى فانه ذميم الخصال قبيح الفعال ثقيل الحركة قليل البركة فلما سمع صاحب الدعوة والحاضرين كلام الشاب في حق المزين كرهوا مجالسته وقالوا للشاب ما بقينا والله ناكل حتى تذكر لنا ما وقع لك مع هذا المزين فانا كرهناه من وصفك فيه فقال الشاب يا جماعة جرى لي مع هذا الثقيل في بغداد بلدي حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر وسبب عرجي وكسر رجلي هذا المنحوس فحلفت اني لا اجالسه في مكان ولا اسكن مدينة هو فيها وسافرت من بغداد من اجله

وسكنت هذه المدينة وهي اقصى البلاد وقد نظرته عندكم وانا هذه الليلة ما بات
الا مسافرا فقا لوا له حدثنا ما جرى لك معه فابى والحوا عليه هذا والمزين قد
اصفر وجهه واطرق براسه الى الارض واما الشاب فانه قال اسمعوا يا جماعة
ان والدى كان من مياسير بغداد ولم يرزق ولدا غيرى فلما كبرت وبلغت
انتقل والدى الى رحمة الله تعالى وخلف لى مالا جزيلا وخدما وحشما فصرت البس
واتنعم وانا فى اهنى عيش فبينما انا ذات يوم من الايام ماش فى زقاق من ازقة
بغداد اذ رايت مصطبة فجلست عليها لاستريح فاذا بصبية كانها الشمس لم تر
عينى اجمل منها طلت من الطاق وكان لها زرع تسقيه فلما نظرت اليها تبسمت
ثم انها اغلقت الطاق ومضت فاشتعلت فى قلبى النار وشغلت بحبها ومكثت
قاعدا على المصطبة غائبا عن الصواب الى قريب المغرب واذا بقاضى المدينة راكب
على بغلة وقدامه العبيد والخدم حتى اقبل على هذا البيت الذى فيه الصبية
ودخله فعرفت انه ابوها فجئت الى بيتى وانا مكروب وزاد على العشق والهيام
واعترانى الضنا فمرضت بحبها واستمريت على هذا الحال اياما واهلى يبكون على
ولا يعرفون حالى الى يوم من الايام دخلت على عجوز فلم يخف عنها امرى فقالت لى يا ولدى
انت ما فيك مرض غير انك عاشق فقم واجلس واطلعنى على قضيتك وانا ابلغك
مرادك فاثر كلامها فى قلبى وجلست واخبرتها الخبر فقالت لى ما صفة الموضع
الذى رايتها فيه فوصفته لها وقلت لها ان اباها قاضى بغداد فقالت لى
يا ولدى اعرفها واعرف اباها وانا ادخل عليها كثيرا لكن عليها الحجر من امها وابيها
وانما انا اسعى فى اجتماعك بها ولا تعرف هذا الامر الا منى فطب نفسا وقر
عينا فلما سمعت كلامها وحديثها طابت نفسى للاكل والشرب وقلت لها اسعى
وجميع ما تطلبينه حاضر منى فقامت من عندى وتوجهت اليها وجاءتنى
ثانى مرة ووجهها متغير وقالت لى كلمتها فشتمتنى واغلظت على فلما سمعت
ذلك منها ازددت مرضا على مرضى وصارت العجوز فى كل يوم تعودنى فجاءتنى
يوما وهى تضحك وقالت لى هات البشارة قد طاب خاطر الصبية عليك لما
ذكرت لها انك مرضت بحبها ومن اجلها فقالت لى اقريئه منى السلام وطيبى قلبه
وقولى له ان عندى اضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجئ الى الدار
وانا انزل افتح له الباب واطلع به عندى فى الطبقة واجتمع انا واياه ساعة ويخرج
قبل ان يعود ابى من الجامع فلما سمعت كلام العجوز زال عنى ما كنت اجده من الالم
وفرح اهلى ولم ازل مترقبا يوم الجمعة حتى اتى واذا بالعجوز دخلت على وقالت
هيئ نفسك واحلق راسك والبس احسن ثيابك وامض فى الميعاد وازل
ما عليك من الاوساخ من الحمام فان معك فى الوقت فسحة وخرجت من عندى

فقلت لغلام من بعض غلماني امض الى السوق وائتني بمزين يكون عاقلا جيدا
قليل الفضول فغاب عني ساعة واتاني بهذا النحس لاكان الله له في عون فلما دخل
سلم علي فرددت عليه السلام فقال لي يا سيدي اني اراك ناحل الجسم فقلت له
اني كنت مريضا فقال اذهب الله عنك البأس والاحزان وجميع الآلام وامات
عنك الانتقام ولازلت بك الاقدام وعافاك الله وشافاك ولاشمتت فيك
اعداك وهناك بما اعطاك فقلت له تقبل الله منك دعاءك فقال لي ابشر
يا سيدي فقد جاءتك العافية ان شاء الله تعالى ثم قال لي تريد يا سيدي
ان تقص شعرك او تفتصد ما فانه قد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
من قص شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء من البلاء وروي عنه ايضا
انه قال من احتجم يوم الجمعة لا يأمن ذهاب بصره فقلت له يا هذا قم
الآن واحلق رأسي ودع عنك الهذيان ولقلقة اللسان فاني ضعيف من اثر
المرض فادخل يده في حرمدانه واخرج منديلا كان معه ففتحه فاذا فيه
اصطرلاب فاخذه ومضى الى وسط الدار ورفع راسه الى شعاع الشمس ونظر
فيه ساعة وتامل طويلا وقال اعلم يا سيدي وفقك الله وهداك ورعاك
وعافاك وشافاك وهداك انه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة ثامن
عشر صفر الخير سنة ٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة من هجرة سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم بعد خمسة الاف سنة من تاريخ سيدنا آدم عليه السلام وثلاثة
الاف وعشرون سنة من تاريخ اسكندر الرومي واربعة الاف سنة من التاريخ
الفارسي والطالع في يومنا هذا على ما اوجب في الحساب من المريخ ثمان درجات
وست دقائق اتفق درب الطالع عطارد والمريخ داخل معه في تسديسه على
ان اخذ الشعر جيد ويدل ذلك يا مولاي ايضا على انك تريد الاجتماع بشخص
والطالع في هذا الامر مفسود والحال فيه مذموم فقلت له يا هذا والله لقد اضجرتني
وضيقت منافسي واصغرت روحي وفولت علي بفال غير حسن ولا محمود وما دعوتك
للنجامة ولا للشيء من كثرة الكلام فيما لا يعنيك وانما دعوتك لتاخذ شعري فافعل
ما دعوتك له ومن اجله ودع عنك ما لا اريد والا فاذهب عني ودعني احضر لي
مزينا غيرك فقال يا مولاي احمد الله ان طلبت مزينا فمن الله عليك بمزين ومنجم
وطبيب وعارف بصنعة الكيميا والسيميا والنحو واللغة والمنطق والمعاني والبديع
والبيان وعلم الحديث والفقه والتواريخ والحساب والصرف والعروض والانشاء
وقد قرأت الكتب ودرستها ومارست الامور وعرفتها ودبرت جميع الاشيا
وركبتها وانما كان سبيلك ان تحمد الله على ما اعطاك وتشكره على ما اولاك فقد
قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

العلماء وورثة الانبياء وما يجهل الله عاجز عن الفضيلة حتى تقول لى هذا القول وانما
اشير عليك اليوم ان تعمل ما اقول لك عليه فى حساب الكواكب فانى ناصح لك ومشفق
عليك واود لو كنت فى خدمتك سنة لان حقك على واجب وحق ابيك قبلك واجب
ولا اريد منك اجرا ولو فعلت ذلك لكان اسر الاشياء الى قلبى وكل هذا لاجل
منزلتك عندى واكراما لوالدك رحمة الله عليه لان له عندى اياد متقدمة
وله على فضل لا يحصى لانه كان يحب خدمتى له وما كان يخدمه احد غيرى لما راى
من كثرة أدبى وقلة كلامى وحسن صنعتى وخفة يدى فلهذا كانت رغبته فى
وكان يحبنى كثيرا لقلة فضولى فخدمتى لك فرض قال فلما سمعت منه ذلك الكلام
قلت انت اليوم قاتلى لا محالة من كثرة كلامك وهذيانك فيما لا يعنيك فقال له
يا مولاى ومثلى من ينسب الى الهذيان وكثرة الكلام فوالله لقد كان والدك رحمة الله
عليه اذا حضرت عنده يتمنى ان اتكلم بين يديه سنة كاملة ليقتبس من علمى ويلتقط
من درر نطقى وفهمى وينظر الى حسن صنعتى ونحن سبعة اخوة الاول اسمه بقبوق
والثانى اسمه الهدار والثالث اسمه بقبيق والرابع اسمه الكوز الاسوانى والخامس
اسمه الفشار والسادس اسمه الزعقوق وانا لقلة كلامى يسمونى الصامت
وان اردت ان احكى لك عن اصلى وفصلى ونسبى وحسبى وما جرى لاخوتى الستة
من اول الزمان الى اخره فاستمع ما اقول فلما اكثر على الكلام واطاله بلا فائدة
امرض قلبى وخشيت ان مرارتى قد انفطرت فقلت لغلامى ادفع له اربعة دنانير
ودعه يروح عنى لوجه الله تعالى فما بقيت احلق راسى فى هذا اليوم فلما سمع
ما قلته لغلامى قال لى هذا الخل الخبيث ايش يا مولاى هذا الكلام أيمان المسلمين
تلزمنى لا آخذ منك اجرة حتى احلق راسك ولا بد لى من خدمتك فانها واجبة
على واصلاح شأنك لازم لى ولا ابالى بعد ذلك ان اخذت منك شيأ او لم آخذ
فان كنت يا مولاى لا تعرف قدرى وحقى فانا اعرف حقك وقدرك لمقام والدك
عندى فالله تعالى يرحمه ويطول عمرك فوالله لقد جمع الناس فيه وكان والله جوادا
عظيما كريما حليما سخيا محبا للاخوان ارسل خلفى مرة فى نهار جمعة مثل هذا اليوم
المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من اصحابه فقال افتصد دما فاخرجت
الاسطرلاب واخذت الارتفاع فوجدت الطالع مذموما لاخراج الدم فاعلمته
بذلك وقلت له يصبر المولى ساعة حتى يتغير هذا الطالع واقضى حاجة مولانا
ففرح بكلامى وقال والله ان عندك فضيلة ولو كان احد غيرك لكان اخرج لى الدم
وشكرنى جماعته وحكيت لهم حكايات ظريفة فعجبوا وطرب جماعته منها غاية الطرب
فانشدت اقول

*

اتيت الى مولاى افتصد دمه * فلم ار وقتا يقتضى صحة الجسم

* جلست لحدثهم بكل عجيبة * وبين يديهم انثر العلم من فمي *
* فاعجبه مني السكوت وقال لي * تجاوزت حد الفهم يا معدن العلم *
* فقلت له يا سيد الكل في الورى * افضت علي الفضل لا زلت في حلم *
* لانك رب الفضل والجود والعطا * وكنز العلا في اللطف والجود والعلم *

فلما سمع ابوك رحمه الله حكايتي وشعري طرب وصاح على الغلام وقال اعطه مائة دينار وخلعة فاعطاني ما امر به ثم اخذت الطالع فوجدته جيدا فاخرجت الدم ثم ان هذا الشخص صار يزيد في كلامه وهذيانه فقلت لا رحم الله والدك الذي عرف مثلك قال فضحك هذا الشخص من كلامي وقال لا اله الا الله سبحان من يغير ولا يتغير ما اظن الا ان المرض غيرك لاني ارى عقلك نقص والناس كلما كبر سنهم زاد عقلهم وما اظن الا انك خرفت من المرض والله تعالى يقول والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا ويروى عن انس بن مالك انه قال من ارضى والديه فقد ارضى الله تعالى ومن اسخط والديه فقد اسخط الله تعالى وقال الشاعر

واسي الفقير اذا ما كنت مقتدرا * على الزمان ولا تعسا فاغتنم
الفقر داء دفين لا دواء له * والمال زين بزين المنظر الشيم
وافش السلام اذا ما جزت في ملا * والوالدين فكن عونا لبرهم

لكن يا سيدي انت معذور والله تعالى يقول ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وابوك وجدك ما كانا يفعلان شيئا الا بمشورتي وقد قالوا في المثل من لم يكن له كبير فليتخذ له مشير قال الشاعر

اذا ما عزمت على حاجة * فشاور كبيرا ولا تعصه

وما تجد احدا ادرى بالامور مني ومع ذلك اني واقف بين يديك على اقدامي ولم يضجرت منك فكيف انت تضجرت مني فقلت له يا هذا لقد اطلت علي واوجعت راسي من كثرة الكلام فبالله عليك انصرف عني واظهرت له الغبن واردت ان اقوم وقد دنا مني الوقت الذي انا منتظره والوعد الذي انا طالبه وانا في كرب من هذا الشخص وكثرة كلامه فقال يا مولاي انا ما اعتب عليك ابدا وانا متعجب منك الذي رايتك بهذه الحيل وانا كنت بالامس احملك على كتفي وامضي بك الى الكتاب فقلت له بحق الله احلق راسي وقم عني فقال فعند ذلك لما راني غضبت اخذ الموس وسنه وتقدم الى راسي وحلق منه بعض شعر ثم رفع يده وقال يا مولاي ان العجلة من الشيطان والتاني من عند الرحمن قال الشاعر

تأن ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * وما من ظالم الا سيبلى بظالم

وسير الامور وما كان فيه الثاني واظنك مستعجلا وانت قاصد حاجة وانا اخشى ان تكون حاجة
غير موافقة وامرا غير صالح فاخبرني فان وقت الصلاة قد قرب ثم رمى الموسى من يده
واخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس وقال بقي لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد
ولا تنقص فقلت له بالله يا هذا اسكت عني فقد ضيقت على الدنيا وقد زهقت روحي
منك فتقدم واخذ الموسى وحلق شيئا يسيرا ثم رماه وصار يهدر على في الكلام الى
ان مضى ساعتان وبقي ساعة واحدة وخشيت ان تأخرت عن الموعد لا ادري كيف
السبيل في الدخول اليها فقلت له احلق راسي بسرعة ودع عنك كثرة الكلام فاني اريد
ان اتوجه الى دعوة عند اصحابي فلما سمع هذا المزين ذكر الدعوة قال لي انا لله وانا اليه راجعون
والله يا سيدي ذكرتني جماعة ضيوف عندي ومرادي اضيفهم طعاما وما عندي شيء وانت
تحضر لي بجميع ما اطلبه ولا اروح الا وايالك وتشرفني اليوم وتبيتي احسن من ولمهم اصحابك
فقلت خذ ما تريد واحلق بقية راسي ودعني في حالي فان الوقت ضاق ولا لي حاجة *
في الذهاب الى منزلك واحضرت له جميع ما طلبه حتى البخور والعود ومرادي ان الله يصرفه
عني حتى امضي الى مطلوبي فقال لي يا سيدي وانا الاخر عندي جماعة ملاح زينون الحارات
وضليع القاعي وسلطوح الفوال وعكريشة البقال وسعيد الجمال وسويد العتال وحميد
الزبال وابو عكاش البلان وقنبر الحرفان ولكل واحد منهم قصة ان اردنا نحكيها
لك فاما حميد الزبال فانه يرقص بالطار ويغني على المزمار وفي وصفه اقول

روحي الفداء لزبال شغفت به * حلو الشمائل كالاغصان ميالا
جاد الزمان به ليلا فقلت له * والشوق ينقص مني كان زالا
اضرمت نارك في قلبي فقلت نعم * لا غرو ان اصبح الوقاد زبالا

فامض معي يا سيدي الى اصحابي واترك اصحابك فانك تمضي الى ناس يكثرون الملام
فيشوشون عليك واما انا فاني مثل اسمي صامت ولا اكثر الكلام وكذلك صنوفي
لا يتكلمون كلاما كثيرا فاذا توجهت معي اليهم تأنس بهم وهم في هذا اليوم في منزلي والحظ انك تغب
عليك من الذين انت قاصدهم ربما يكون فيهم واحد فضولي فيوجع راسك وانت قد ضعفت
روحك من هذا المرض فقلت له غير اليوم فان مرادي امضي الى اصحابي وامضي انا الى اصحابي
فقال هذا المزين معاذ يا مولاي ان اتخلى عنك او ادعك تمضي وحدك فقلت له يا هذا
ان الموضع الذي انا ماض اليه لا يقدر احد يدخله غيري فقال لي يا مولاي
اظنك اليوم في ميعاد واحدة من احبابك واصحابك يريد الخلوة معها
لاجل الحظ والخلاصة والانس والمنادمة معها والا كنت تأخذني معك
وانا احق من جميع الناس واساعدك على ما تريده وانا خائف
ان تكون امراة اجنبية مخادعة تحتال عليك وتفعل معك شيئا يروعك
فان مدينة بغداد ما يقدر احد يعمل فيها شيء ولا في بغداد خاصة وربما

يصدقك معها ويخبره احد بخبرك فيرمي رقبتك فقلت له يا اخس الناس يا منحوس
ايش هذا الكلام الذي تقابلني به وقد ملأتني غيظا وها هو قد جاء وقت الصلاة
فلم يزل يلح علي حتى فرغ من حلق راسي فقلت له الآن امضي الى اصحابك بهذا الطعام
وانا منتظرك الى ان تعود وتمضي معي ولم ازل اداهنه ولعله يدعه وهو
يقول لي لا امضي الا معك ولا ادعك تروح وحدك حتى حلفت له اني انتظره
فاخذ جميع ما اعطيته له وخرج ثم انه ارسله مع حمال الى منزله واختفى هو
واما انا فقد قمت من وقتي وساعتي وقد سلم المؤذن وضاق الوقت
فلبست ثيابي وسرت مسرعا وحدي الى ان اتيت الزقاق ووقفت على الدار التي
رايت فيها الصبية وهذا التعيس المزين خلفي ولم اشعر به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت
فوجدت العجوز واقفة خلف الباب تنتظرني فطلعت الطبقة التي فيها الصبية فلم اشعر
الا وصاحب الدار قد عاد من الصلاة ودخل واغلق الباب فاشرفت انا من الطاق
ورايت هذا المزين المنحوس قائم الله قاعدا على الباب فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون
من اين علم هذا التعيس لي حتى ساق الله لهتك ستري ثم ان صاحب الدار
ضرب جارية من جواريه فاتى العبد يخلصها فضرب العبد فصاح فاعتقد هذا
الكلب المزين انه يضربني فصاح ومزق ثيابه ووضع التراب على
راسه وصار يقول قتل سيدي في بيت القاضي واسيداه فاقبل اليه الناس
ثم مضى الى داري والناس خلفه واعلم اهلي وغلماني وقال لهم سيدي
قتل في بيت القاضي فجاؤا الي صارخين فسمع صاحب الدار الضجة
والناس يقولون له تقتل في دارك اولاد الناس * والمزين
يقول واقتيلاه فخرج وفتح الباب والناس يصيحون في وجهه وهذا
النحس يقول الله ينصر مولانا السلطان فقال يا قوم ما هذه
القصة فقال له المزين قتلت سيدنا في دارك وتسألنا ما هي القصة
فقال له القاضي واين سيدك حتى اقتله فقال له هذا
الخبيث المزين انت ضربته بالمقارع وصار يصيح والآن ما بقي
له حس وسبب ذلك انك قتلته فقال له القاضي ومن ادخل سيدك
في داري فقال له عاشق بنتك وقد دخل لها وانت في صلاة الجمعة
حكم الموعد الذي اوعدتم به فلما جئت ورايته ضربته وقتلته وما
بقي يفرق بيني وبينك الا السلطان او تخرجه من
بيتك في هذه الساعة فقال له القاضي وقد اعتراه الحياء والخجل
من الناس ان كنت صادقا ادخل انت واخرجه فنهض هذا
الكلب هذا المزين التعيس الشقي فلما رايته طلبت طريقا اخرج منها وموضعا

اهرب فيه فلم اجد غير صندوق كبير فدخلت فيه ورددت على الغطاء
وقطعت النفس وكتمت النفس فالتفت هذا الخبيث المزين فلم ير غير الصندوق
في المحل الذي كنت فيه فاتى اليه وحمله على راسه وقد ذاب عقلي وخرج
بي مسرعا فلما علمت انه لا يتركني حملت نفسي ورميت روحي من الصندوق
الى الارض فكسرت رجلي وخرجت فرايت خلقا على الباب مثل التراب فصرت انثر
الدنانير على رؤوسهم فالتهوا عني فسلكت الى وعبيد على عوانيتهم وصاروا
يجرون لي في ازقة بغداد وهذا النحس المزين يجري خلفي ويقول الحمد لله يا سيدي
الذي خلصتك من القتل وانا ورائك لا تخاف وما كان لك حاجة بعشق بنت
القاضي وعشق النسا صعب وصار يشنع علي ويهتكني الى ان ادخلني
غلماني في دكان فقلت للبواب بالله عليك امنعه عني فقام عليه البواب
وطرده وقد زهقت روحي واشرفت على الهلاك واحضرت فقيها
وكتبت وصيتي وارسلتها الى اهلي واخذت معي بعضا من غلماني
وجانب دراهم وسافرت من بلدي بغداد وما نقلت منزلي بسبب الفضيحة
التي حصلت لي بسبب هذا الكلب وحلفت لا اسكن في بلدة فيها هذا
النحس فلما جئت الى بلدكم هذه احضرت لي طبيبا وصار يداويني حتى
شفاني الله تعالى ولكن حصل لي من ذلك الكسر عرجا فهذا اول يوم
خروجي من منزلي وقد قابلتني ودعوتني اليكم فلما رايت هذا النحس
جالس عندكم ما طاب لي الجلوس ولا الاكل وانما اسال فضلكم ان تسمحوا
لي بان اخرج من عندكم لاجل خاطر هذا المنحوس وهذه يا جماعة قصتي
قال فالتفتوا اليه وقالوا له هذا الكلام صحيح فرفع راسه وقال نعم
بحمد الله الذي سخرني لكم فخلصتم وانكسرت رجلكم قال لكم بحيلة احسن
من ضرب عنقه فانا قد عملت معه هذا الجميل لله تعالى فقالوا له الحاضرون
قاتلك الله هتكت الشاب وغربته عن اهله وفضحت قاضي بغداد
ثم انهم نهروه وطردوه من عندهم واكرموا الشاب اكراما زائدا وتعجبوا مما
فعله معه هذا النحس وتفرق كل منهم الى حال سبيله *
وفي الغالب كثرة الكلام عند ارباب هذه الصناعة عادة
معروفة وطبيعة جبلية توجد في كبيرهم وصغيرهم خصوصا هذا النحس
ومن المناسبة لذلك ما قاله العلامة القليوبي في نوادره وهو ما حكي عن
الفضل بن الربيع انه قال قال لي الرشيد يوما اطلب مزينا ما اسكت
من الحجر فقلت له ان في غلماني اديبا لم معرفة تامة فقال ابعثه الي
فبعثته واكدت عليه انه يلزم السكوت ولا ينطق بشيء وان يتاهب احسن .

اهبة واكدت عليه ثم بعد ذلك دخلت على الرشيد فوجدته عبوسا منقبضا فقال يا فضل ان لذلك الغلام شأنا وانا لا اراه ابدا بعد ذلك اليوم ثم اني سألت فراشا مختصا به عن خبره فقال يا فضل لما ان الحاجب جاء به الى امير المؤمنين فلما بدا بالحجامة قال يا امير اني اسألك عن شيء فقال له ما هو قال قدمت عهدا على المأمون والمأمون اسن منه فقال لم اخبرك به اذا خلصت ثم قال له ثانيا لم قتلت جعفر بن يحيى البرمكي فقال له اخبرك به اذا فرغت وقال له ثالثا واسألك لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد اطيب منها فقال له نجوابك عن ذلك اذا فرغت فلما فرغ دعا مسرورا واهدر دمه وقال له لا تشرب الماء البارد قبل ان تقتله فانه سألني عن ثلاث مسائل لو سألني عنها المنصور لما اجبته قال الفضل فبينما انا جالس اذ دخل ابو دلامة على الرشيد باكيا وقد تواطأ مع ام دلامة انه يدخل على الرشيد وهي تدخل على زبيده فلما مثل بين يديه يبكي فقال له الرشيد ما يبكيك فقال

وكنا كذي زوجي قطاة في مفازة * من الامن في عيش رخي وفي رغد

فأفردنا ريب الزمان بصرفه * ولم ار شيئا قط اوحش من فرد

ثم اعلن بالنحيب وقال يا امير المؤمنين ماتت ام دلامة وانا محتاج الى تجهيزها فأمر له بمال وكانت ام دلامة قد دخلت على زبيده وقالت لها ان ابا دلامة مضى الى سبيله فاعطتها مالا تجهزه به وذهبت فدخل الرشيد على زبيده فقالت له زبيده يا امير المؤمنين مالي اراك حزينا يا امير المؤمنين فاخبرها الخبر فضحكت وقالت الآن خرجت ام دلامة من عندي لتجهيز ابي دلامة فضحك هو ايضا وقال والآن خرج من عندي ابو دلامة لتجهيز ام دلامة فخرج علينا الرشيد مسفرا مستبشرا فعجبت منه كيف دخل حزينا وخرج مسرورا فاخبرني بما حصل فتشفعت حينئذ في الحجام فقبل شفاعتي واطلقه واستحضر ابا دلامة وقال له ما حملك على هذا فقال السبب يا امير المؤمنين لكي يقال انه لا يتوصل الى اعطاء امير المؤمنين الا بالحيلة وضحكا جميعا من ظرافة حيلتهما واذا احتاج انسان الى مشاورة فليشاور ذكيا فان المشاورة مطلوبة شرعا وقد اثنى الله على عباده بالمشاورة فقال تعالى وشاورهم في الامر وهو تشريع للامة وقال تعالى وامرهم شورى بينهم وقال صلى الله عليه وسلم اذا كانت امراؤكم خياركم واغنياؤكم

سمحاؤكم وامركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كانت امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وامركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها * * (رواه الترمذى عن ابى هريرة) * * وانشد ابو القاسم الحبيبى قال انشدنى ابو عثمان

شعر

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فارسل حكيما ولا توصه
وان باب امر عليك التوى * فشاور حكيما ولا تعصه
ونص الحديث الى اهله * فان الامانة فى نصه

وانشد ابو القاسم الحسن قال انشدنا ابو بكر محمد بن المنذر قال انشدنا ابو سلامة المؤدب

شاور صديقك فى الخفى المشكل
واقبل نصيحة ناصح متفضل
فالله قد اوصى بذاك نبيه
فى قوله شاورهم وتوكل

وقال يحيى البرمكى ثلاثة تدل على عقول الرجال الهدية والكتاب والرسول وسمع ابو الاسود الدؤلى رجلا يقول

شعر

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فارسل حكيما ولا توصه

فقال قد اخطا قائل هذا البيت ايعلم الرسول الغيب وان لم توصه انت فكيف يعلم ما فى نفسك انه قال

اذا ارسلت فى امر رسولا * فافهمه وارسله اديبا
ولا تترك وصيته بشئ * وان كان هو ذا عقل اريبا
فان ضيعت ذاك فلا تلمه * على ان لم يكن علم الغيوبا

ثم ان الناظم عرج على مشايخ الكفر باسمائهم فقال

ص ويجلس بجنبى ابن جرو وابن كل حره * وابن كل الضيف وضيف
وابن فسا التيران وابن الحرى خره * وفلوط والزبله وابن كنيف

ش قوله (ويجلس بجنبى) يعنى مشايخ بلد الناظم الذين افتخر بذكرهم واجرى اسماءهم على لسانه والمعنى انه يقول اذا نزلت من المدينة وانا كالمتلب المنهدم ذكره والحال ان مشايخ البلد المذكورون يجلسوا بجنبى وهم ثمانية رجال * الاول

(ابن جرو) الثانى ابن كل جره الثالث ابن كل الصك المضيف اى المتراسل
بعضه اثر بعض حتى يخلى القفا مثل عام سيدى احمد البدوى
مثلا وقيل الصك المضيف شرطه ان يكون من رجل شديد ويكون
قفا الشخص مصليا خاليا عن شئ يمنع عنه الصك بالاقلام ويراسله
بالصك بسرعة وعجلة حتى يحمر قفاه فعلامة تضاف الصك احمرار
القفا وورمه * (وضيف) * هذا فعل امر على لغة اهل الريا فمن
فى كونهم يثبتون حرف العلة فى فعل الامر كقولهم فى قم قوم بالواو
وفى ضف ضيف بالياء وفى نك نيك بالياء والمعنى انه يقول
لم ضف الصك على الصك اى اجعله متينا بعضا لا ينقطع
بعضه عن بعض حتى لكثرته يصير كانه ضربة واحدة فان المضاف
والمضاف اليه كالشئ الواحد ويحتمل ان يكون قوله وضيف من الضيافة
واتى به لتمام البيت (و) الرابع * (ابن فسا النيران) سمى بذلك
لان اباه كان انقطع مدة فى داره لمرض اعتراه وهو كثرة الفساء *
فاتخذ له محلا بين النيران يسمى طوالة وصار يفسى فيها ليلا ونهارا
فصار كلما شم احد رائحته يقول له ما هذا فيقول فسا النيران
فسمى بذلك (و) الخامس * (ابن خرا الحس) * سمى ابوه بذلك لكثرة
لحسه من الجلة وهو صغير وقلع عرقيته ووضعها على الارض
وصار يخرا حتى ملاها وصار يلحس من حواليها فسمى بذلك *
(و) * السادس قلوط مشتق من القلط على وزن الضرط والحلط
يقال فلان غلظ قلوطه بمعنى انه شبع من الرزق ويحى في الحكم
عظيم الامر يجلس مع المنصر الى ركبه بركبه ويلبس الوطا الاحمر
والشد المشنبر * (والسابع) * من مشايخ البلد الزبلة
سمى بذلك لانه كان فى صغره مشغولا بلم الزبل من محل مرعى الغنم
ومن السكك والكيمان ويبيعه وكان هذا سبب لسعادته
وكان بينه وبين قلوط صداقة فى البلد فكان قلوط دائما
فيهما لا يفارقها والزبلة تارة يسافر وتارة يقعد فيها *
وكان قلوط هذا فى وسطها سواء بسواء والزبلة فى طرفها
وكانوا يهادون بعضهم بعضا وبينهم محبة ومودة
واتحاد غالبا ومناسبة لان الزبلة قريبة من القلوط وان
كان القلوط ارق منها لكن ابن خرا الحس اعظم واكبر
من الكل واشهر من الجميع ولذلك اذا اذيت احدا منهم فى البلد

غلبلسانك الى خرالحس وتجده في وجهك *
ومن النوادر ان بعض الولاة من المغفلين قال لكاتبه
اكتب لفلان واغلظ عليه وقل له يا خرا افعل كذا وكذا
فقال له الكاتب يامولاي لا يصلح هذا الكلام لهذا الرجل العظيم
القدر لانه من ارباب العظمة فقال له حيث كان الامر كذلك
الحس موضع الخرا بلسانك ولا تخل فيه اثرا
(والثامن) * (ابن كنيف) وكان شهيرا معروفا موصوفا يقصده جميع الناس
من كل جهة ويقابلونه بوجوههم يتعاطى مصالح البلد وكان نديما لفلوط
وابن خرالحس قال بعضهم مواليا
* وطواط عشق خفنسا وصبح بها محجوب *
* وبنا لها قصر جوابين خلا من طوب *
* وحصر النقل والماكول والمشروب *
* ما للنديم الخرا الا لدى المحبوب
ثم ان الناظم لما تمنى ان يجتمع عند هؤلاء الجماعة ليحصل له بهم السرور ويفرح
وينشرح بهذه اللمة عنده قال
ص وافرح باللمة وينشرح خاطري * وهذا مرادي يا ابن بنت عريف
ش هذا الكلام خطاب لابن بنت عريف ومراده الفرح والسرور ويقول اني قد كبرت
والزوجة صارت عظيمة زادا من الله على طلبته يبقى رزق مراتي فانه رزاق كريم قال القائل
يا من طلب رزق ونالو * وقال يجي رزق امراتي
فوفي المدجاسرج دقنك * لابد لك عن خبراتي
اوانه اختص بالطلب لنفسه وقال لعقله المراتا كل خرا والعدقن
ولا دقني ثم انه ختم كلامه بالصلاة والسلام على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال
ص واختم قصيدي بالصلاة على النبي * نبي عزيز مكي شريف عفيف
ش قد اقتدى الناظم بالحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في
كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومثل الكتاب النظم وغيره
وفي الشفاء لابن سبع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكثروا من الصلاة علي
فانها تطفئ غضب الرحمن وتوهن كيد الشيطان وبالجملة فالصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم كثيرة مسنونة عقب الدعاء وقال الشيخ الملالي في شرح
ام البراهين ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة من كل مؤمن ودليل ذلك

ما روي ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الاعمال مقبولا
ومردودا الا الصلاة عليك فانها مقبولة وقد ذكروا ان الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم لا يدخلها رياء فهي مقبولة بلا شك * وقد روى * ان الدعاء موقوف بين السماء
والارض حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في ابتدائه وفي انتهائه الخ قال روي عن ابي
بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب
من المياه الباردة وان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب في مقابلة
العتق من النار ودخول الجنة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مقابلة سلام
الله تعالى على اهل الجنة فناهيك بها من منة قال في كشف الاسرار (وعن ابي هريرة)
رضي الله تعالى عنه مرفوعا من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين
سنة قيل يا رسول الله كيف نقول قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك
النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وان كان رواه الدارقطني وحسنه العراقي كما في
مسالك الحنفاء وذكره السيوطي مقيدا له بكونه بعد العصر والله اعلم (خاتمة)
في ذكر نوادر متفرقة نختم بها الكتاب وان كان مر منها البعض استطرادا لمناسبة الكلام
لبعضه آنفا (قيل) تزوج بعضهم بامراة مات عنها خمسة ازواج فلما مرض هذا
السادس صارت تبكي وتقول الى من تكلني بعدك فقال لها الى التاسع الشقي (وحكي)
ان بعض الظرفاء كان يكثر الشراب سرا وكان عليه حجرا ابيه فبلغ والده ذلك فتتبع
اخباره الى ان رآه ومعه زجاجة ملآنة من الخمر فمسكها وقال له ما هذا فقال هذا لبن
فقال ويحك اللبن ابيض وهذا احمر فقال الولد صدقت انه كان ابيض فلما رآك خجل
واستحى واحمر ولعن الله من لا يستحي فخجل ابوه وتركه وانصرف (وقيل) كان رجل نحوي
اسمه زيد فرأى غلاما اسمه بكر فلما اشتغل به قال له يا ولدي حركة الاعراب حركة الاعراب
فانه فاعل بلا ارتياب ومده الحيا استلم كالمد المنفصل واجعل الهمزة له لئلا ينفصل و
اطال الكلام فدخل عليه رجل يسمى عمرا فضحك زيدا وقال له اعرب ضرب عمرو زيدا فقام
الولد وهو يجري ويقول ـــــ واعرب وخرج بكر هاربا * (وقيل) مرض رجل نحوي وكان
بعيدا عن اهله فرأى غلاما يعرفه من اولاد جيرانه فقال له امض الى اهلي وقل لهم ان ابانا
قد اضنا داء وجع ركبتيه واذى خصيتيه واسقم بشرته وزاد علته واسهر مقلته واجرى
عبرته وصار يكثر على الغلام من هذا الكلام فقال له الغلام اختصر انا اقول لاهلك
مات ولا يحتاج لهذا الكلام (وقيل) احتضر بعض البخلاء فقال له ولده اوصني فقال
اذا جلست على مائدة الاكل وتكلم معك انسان فلا ترد على قولهم ولا تنكرها فانك اذا
كررتها فاتتك مضغة ثانية بتحريك فمك بها (وقال بعض الطفيلية) اذا
الشمس على الفقر ولم يتغذ نادى مناد من سماء سقف حلقه الصلاة على جنازة الغريب
وقيل جاء رجل الى امراة بلحم فقال لها اصلحي بعضه فانه ينفع البطن واقلي بعضه فانه ينفع

المظهر واشوى بعضه فانه ينفع للجماع فقالت له يا رجل ما عندنا قدر ولا
حطب والاولى انا نشوى الجميع (وحكى) ان بعض الظرفاء امتدح بعض
الرؤساء بقصيدة فرسم له ببرذعة حمار وحزام فأخذهما على كتفه وخرج بهما
فمر به بعض اصحابه فقال له ما هذا قال انى مدحت مولانا الامير بقصيدة من احسن
القصائد فخلع على خلعة من احسن ملابسه فبلغ الامير ذلك وضحك
وارسل خلعة واجازه بجائزة حسنة (وحكى) عن الاصمعى انه قال رايت
بالبادية جارية حسناء وعلى خدها خال اسود فقلت لها ما اسمك قالت مكة
فقلت ما هذه النقطة السوداء قالت الحجر الاسود فقلت لها قصدى ان اطوف
بالبيت واقبل الحجر الاسود فقالت هيهات لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس
فاخرجت لها صرة فيها بعض دنانير وناولتها اياها فقالت ادخلوها بسلام
آمنين ان شئت تقبيل الحجر الاسود وان شئت ادخل الحرم قال فاذهلنى
حسنها وجمالها قيل سافر رجل مع جماعة وفيهم امراة جميلة ومعها ولد جميل
فزنا الرجل بالمراة ولاط بالولد فقالت المراة للولد اعرفه فلعلنا ان
رجعنا نظفر به ونعرض امره على الحكام فقال لها الولد اما انا فكان ظهرى
لوجهه واما انت فكان وجهك لوجهه فمعرفتك له ابلغ من معرفتى اياه
(ومات مجوسى) وعليه دين وترك ولدا له دارا فقال بعض غرماء الميت
لولده لم لا تبيع دارك وتسدد دين ابيك وتخفف بها عنه فقال لهم الولد اذا
بعت دارى وقضيت دين ابى هل يدخل الجنة فقالوا لا قال دعوه فى النار
وانا فى الدار (وقال المأمون) ليحيى بن اكثم وهو يعرض له من الذى يقول
هذا البيت

قاض يرى الحد فى الزناء * ولا يرى على من يلوط من باس

فقال له القاضى يحيى او ما يعرف امير المؤمنين من قاله قال لا فقال يحيى
هو من قول الفاجر احمد بن ابى نعيم الذى قال

اميرنا يرتشى وحاكمنا * يلوط والراس شر ما راس
لا ارى الجود ينقضى وعلى الا * مة وال من آل العباس

فاحم المأمون وسكت خجلا (وارسل) بعض المغفلين الى صديق له هذه
الابيات

اذا ما ذكرتك يا منيتى * يسيل المخاط على لحيتى
ولينك عندى اذا ما خريت * يكون لسانك فى نقبتى
نسيمك عطر ماء السما * واورثنى الويل فى ركبتى
اذا لم تزرنى انا مدنف * فان الهوى سهل معدتى

ومما ينسب للحريرى رحمه الله تعالى

وعرص وقد واظلم وبالفحش وافتخر * فما رفعت دنيا لذخر ولا تقه
وما فيك غير الدين عيب لو ترى * بدهرك الا الحادا وزنادقه

ومثل ذلك قول الابوصيري الاديب

ستة في الهوى افعالهم * بعد الموت بهم يتذكر
تحول وعرص وافسق * وغن وقام واسكر

ونختم هذا الكتاب بابيات من بحر الخرافات فنقول

تم كتاب الهلس والتحريف * وما جرى في وصف اهل الريف
جعلته جزئين باختصار * فجاء كالزبلة في النار
لكنه مع ثقل المعاني * وخبط عشوي يا ذوي العرفان
ولفظه الكثيف في المقال * وحشوه مسائل الهبال
ابعاثه جاءت كالحسن خرا * يا وجه الاصحاب حقيقة لامرا
فليس يخلو جمعه من فائده * من نكتة او نصة مشاهده
واصل ما الجأني لفعله * وشرحه ونسخه ونقله
العارف الحبر وحيد الدهر * وعالم الاسلام زاكي الفخر
شيخنا امام مصدر الطلاب * وروضة العلوم والآداب
ومعدن الجود مع المطلوب * اعني الامام احمد السندوبي
جزاه رب العرش جنات النعيم * مع النظر لوجه مولانا الكريم
والله يرحم من قرا كتابي * هذا ويرشده الى الصواب
ومن رأى فيه عيوبا وخلل * وسدها فالشخص معدن الزلل
ولا يلمني فالسماح افضل * واعذر اخاك مكرها يا بطل
والحمد لله على التمام * ثم صلاة الله مع سلام
على النبي الهاشمي احمدا * والآل والاصحاب انجم الهدى
ما غردت ساجعة الاطيار * او لاح برق في دجى الاسحار

بحمد الله وعونه تم طبع هذا الكتاب المستطاب والحمد لله اولا وآخرا
ظاهرا وباطنا وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وكل
ناسج على منواله
امين
تم